الهدف

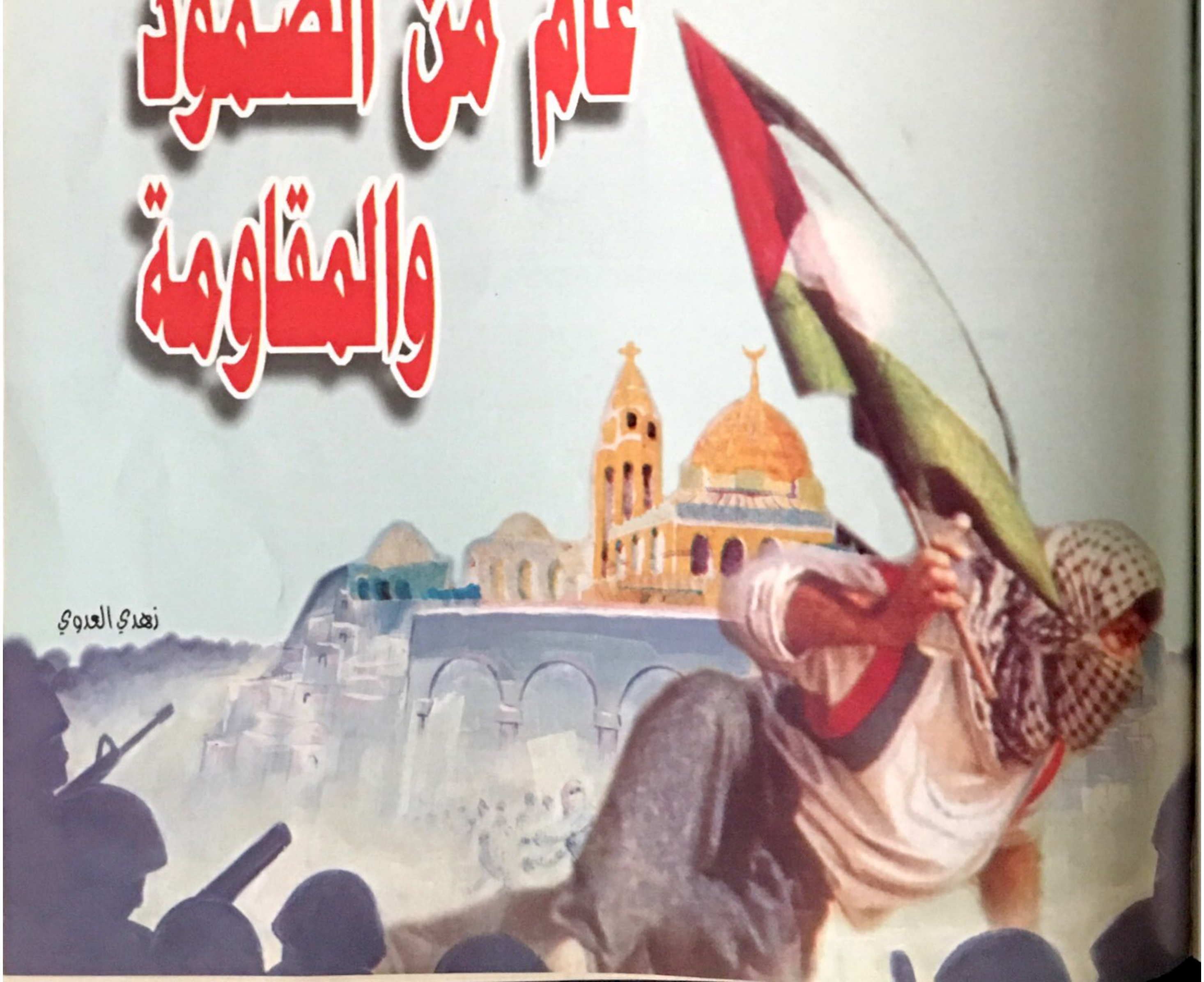
AL - HADAF

سياسية عربية

كل الحقيقة للجماهير

الذكرى الأولى للإنتفاضة

عام من الصمود والمقاومة



لقطات لفرقة سرية رام الله





الوحدة الوطنية والانتفاضة يشقان طريقهما نحو النصر

ما يجري الآن فوق الأرض الفلسطينية هو شكل صارخ من أشكال الإرهاب الذي ترعاه وتخطط له الحكومة الإسرائيلية بكل أجهزتها ومؤسساتها العسكرية والمدنية والإعلامية والأكاديمية قل نظيره في التاريخ. في وقت تتعالى الدعوات على كل مستوى من أجل محاربة الإرهاب والتصدي له فقد سارع مجلس الأمن وتحت وطأة الصدمة الدولية لأحداث نيويورك وواشنطن وضغط وإرهاب أمريكا إلى تبني قرارات للتصدي للارهاب الدولي ومعاقبة الدول التي لا تلتزم بهذا الأمر دون أن يحدد بشكل عادل ومنطقي مفهوم الإرهاب ويميزه عن حق الشعوب في مقاومة الاحتلال الذي أقرته كل الشرائع السماوية والدنيوية ومواثيق وشرائع المنظمة الدولية وكل المنظمات الإنسانية والتي ترعى وتحرص على السهر على حقوق الإنسان. وفي وطننا فلسطين يواجه شعبنا منذ قرن أعتى هجمة همجية فاشية بربرية دون أن تتمكن البشرية من وضع حد لأكبر مأساة عانى منها شعبنا الفلسطيني وغياب الحاسبة لنظام فاشي عنصري يمارس الإرهاب. وتاريخه ضد شعبنا وأهلنا وأمتنا العربية يؤكد حقيقة ممارسته للمذابح والمجازر على مدى قرن دون أن تتمكن «الأخلاقية الدولية» والتي أدانت بعنف ممارسات النازية ضد اليهود واتخذت إجراءات حازمة وصارمة ضد القادة النازيين الذين قتلوا عشرات الملايين من الشعوب في روسيا ودول أوروبا وكانت مواقف المجتمع الدولي على حق حين وقف ضد النازية وممارساتها.

ومن حق شعبنا أن يطالب المجتمع الدولي وكل المنظمات والهيئات الإنسانية بضرورة وضع حد لسياسة التغاضي عن جرائم ومجازر إسرائيل ضد شعبنا خاصة وأن العالم يرى بأم عينه يومياً وعلى شاشات التلفاز فظائع وهمجية وبربرية جيش شارون ـ موفاز ـ بن اليعازر ـ بيرز ـ وقطعان مستوطنيه الذين استباحوا الإنسان والطبيعة ومارسوا جرائمهم ضد الإنسانية بصلف وعجرفة فاقت ما مارسه النازيون ضد الإنسانية في الحرب العالمية الثانية.

وفي ظل التطورات الراهنة وتسارع الأحداث تحت وطأة التهديد الأمريكي لابد لكل قيادة سياسية مسؤولة عن مصير ومستقبل شعبها أن تاخذ هذه التطورات بعين الاعتبار وتدرس بعناية انعكاسها على المستوى المحلي والإقليمي والدولي وتتخذ جملة من الإجراءات الكفيلة بسلامة موقفها السياسي ونجاعته ومن هذا المنطلق فإن شعبنا وقواه الوطنية والإسلامية أكدت بما لا يدع مجالاً للشك حق شعبنا المشروع في مواصلة انتفاضته الباسلة وضرورة المحافظة على زخمها الجماهيري والشعبي وفي نفس الوقت الإبقاء على خيار تصعيد البعد الكفاحي للانتفاضة وأكدت على استمرار إدانة شعبنا ورفضه للارهاب بكل أشكاله على الصعيد الدولي وفي القلب منه إرهاب الدولة الصهيونية ضد شعبنا الفلسطيني الذي ما زال يمارس عليه منذ قرن من الزمان.. وتعلو نبرته اليوم في المناطق المحتلة بشكل صارخ وماثل للعيان ولا يخطئ المرء معاينته..

وعليه فنحن نفرق بين الإرهاب والمقاومة المشروعة التي يمارسها شعبنا وقواه الوطنية والإسلامية..

وما حصل في نيويورك وواشنطن هو إرهاب نتيجة منطقية للتغاضي المتعمد من طرف الإدارة الأمريكية عن الإرهاب الصهيوني وإمساكها بمعايير متعددة ومزدوجة في تعاطيها مع الإرهاب العالمي.

من هذا المنطلق لابد من التأكيد على الثوابت الوطنية الفلسطينية:

١ـ إن شعبنا لا يستطيع أن يبرء ساحة المجرمين الإسرائيليين وهم يواصلون وبشكل مبرمج ومنهج سياسة العدوان المتواصل والمستمر على شعبنا.

٢ـ إن الظروف الدولية سانحة لاتخاذ الدول العربية والإسلامية مواقف سياسية واضحة من شأنها أن تدخل الإرهاب الإسرائيلي والصهيوني في إطار الإرهاب الدولي.. وأن الدولة الإسرائيلية تمارس هذا الإرهاب وعلى نطاق واسع ضد شعبنا الفلسطيني وبشكل رسمي ومنظم وممنهج. وحينها يبدو مفهوماً إدانة الإرهاب بكل أشكاله على المستوى العالمي، وإيجاد المعايير الموحدة في التفاعل مع الإرهاب الدولي.

٣ـ ضرورة أن تتخذ القوى الوطنية والإسلامية في فلسطين مواقف واضحة من الانتفاضة وسبل استمرارها ومحافظتها على طابعها الشعبي والجماهيري دون إغفال بعدها الكفاحي والذي يجب دراسة كافة أبعاده لجهة استمراره من ناحية ومن ناحية أخرى تحديد أهدافه بدقة بشكل يؤمن لنا كشعب وكثورة استمرار حقنا في المقاومة بكافة أشكالها حتى نتمكن من تحقيق أهداف الانتفاضة والمتمثلة في إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس وحق اللاجئين في العودة إلى ديارهم.

٤ـ أن تمتلك السلطة الشجاعة لأخذ مواقف أكثر إيجابية في تنظيم شؤون البيت الفلسطيني بحيث نكون قادرين على تأمين حماية سياسية وتنظيمية واقتصادية وأمنية للانتفاضة وهي إحدى الشروط الأساسية لقدرة شعبنا على مواصلة إنجازات الانتفاضة وتخطي الثغرات لمواجهة المستقبل بتفاؤل اكبر رغم كل ما جرى ويجري من حولنا.

ونحن على ثقة أن شعبنا وانتفاضته الظافرة وهي تودع عامها الأول لتشق طريقها نحو عامها الثاني رغم كل الخسائر وفداحتها في بعض الأحيان، قادر على التصدي لهمجية العدو وبربريته وصلفه وإلحاق الهزيمة بشارون وعصابته ووأد كل المحاولات الهادفة إلى شق الوحدة الميدانية والتلاحم الشعبي وسيتمكن بجهد كل أبنائه المخلصين من تجاوز الخلافات وشق طريقه نحو المستقبل نحو بناء الأرضية السليمة لدحر الاحتلال والظفر بالحرية ■■



أسسها عام ١٩٦٩ الشهيد غسان كنفاني

رئيس التحرير
جـــواد عــقـــل

سكرتير التحرير
أحـمـد جـابـر

المدير الفني
زهـــدي العدوي

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.ل	الجزائر ١٥ ديناراً	المغرب ١١ درهم
سوريا ٢٠ ل.س	ليبيا دينار واحد	أمريكا وكندا ٣ دولار
الأردن ٥٠٠ فلساً	تونس ١,٢٥ د.ت	ألمانيا ٥ ماركات
العراق ٥٠٠ د.ع	صنعاء ١٥ ريالاً	اسبانيا ٣٠٠ بيزيته
الإمارات ١٠ دراهم	السودان ٦ جنيهات	

الاشتراكات

قيمة الإشتراك السنوي بما فيها أجور البريد:
سوريا ٦٠٠ ل.س ـ لبنان والأردن ٣٠ دولار ـ بقية الدول العربية ٥٠ دولار
أوروبا ١٢٥ دولار ـ أسيا وافريقيا ١٠٠ دولار ـ الامريكتين واستراليا ١٥٠ دولار

يتم الاشتراك بإرسال إشعار الإيداع بقيمة الاشتراك السنوي (او نصف السنوي) على العنوان التالي:

بنك بيروت والبلاد العربية. شتورا ـ لبنان
رقم الحساب:
AC. No. 0013 - 373179 - 001

أو بإرسال شيك بنكي باسم «الهدف» دمشق/ص.ب: ٣٠١٩٢

المكاتب

دمشق: ص.ب ٣٠١٩٢ ـ دمشق: ٦٣٢٨٣٦٧ فاكس: ٦٣١٩٣٧٤
بيروت: ٣٠٩٢٣٠/ عمان: ٦٩٦٣٤٠ ـ الجزائر: ٥٩٤٥٤٨ ـ ٣٨٤٣٠٤
بغداد: تليفاكس ٧٧٨٢٦٩٠ ـ صنعاء: ٢٠٥٨٤٩
للموقع الرسمي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على الانترنيت:
بالانكليزية: http://www.pflp-pal.org
بالعربية: http://www.pflp-palestine.org
الهدف على الانترنيت: htt://www.alhadaf.cc
البريد الإلكتروني: alhadaf@mail.sy

التوزيع

- التوزيع في الجمهورية العربية السورية: المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- التوزيع في المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف.
- التوزيع في العراق: الشركة الوطنية للتوزيع والنشر.
- التوزيع في الأردن: شركة الفريد للنشر والتوزيع ـ عمان

AL - HADAF
الهدف
سياسية عربية ـ شهرية

كلمة

يصدر هذا العدد الخاص من الهدف والشعب الفلسطيني البطل يقتحم بصبر لا ينفذ وعزيمة لا تلين وإرادة ثابتة، العام الثاني للملحمة البطولية التي يخوضها عارياً إلا من كبرياء شعب رفض الذل وارتضى الموت في سبيل حريته.

ليثبت للعالم والتاريخ أن العين قادرة على الانتصار على مخرز الجلاد. وأن الشعب الأعزل قادر على أن يمتشق كرامته ويقاتل بروحه ودمه وعيون أطفاله الأبرياء.

لا ينكسر الفلسطيني ولا يعرف معنى الخنوع، وعلى صخرة إصراره تتكسر عواصف الجريمة، يقبض شعبنا على الجمر في كل مكان في الوطن والشتات، في كل مخيم ومدينة وقرية.. في كل مصنع ومدرسة وحقل وأغنية.. لن يمروا.

وبعد.. هل تنفع حسابات الربح والخسارة في عامنا الأول..

٦٥٨ شهيداً و١٥٥٤٨ جريحاً و٥٥٦ منزلاً مهدماً و٣٦٩٦م2 من الأراضي الزراعية المدمرة و ٤ مليارات دولار خسائر حتى ٢٠٠١/٩/٩ مقابل ١٦٢ قتيلاً صهيونياً و٨٥٠ جريحاً في صفوف العدو وملياري دولار خسائر.

ولشهداء فلسطين أهل وبيوت ومدارس وعناوين واضحة: منهم ١٦٦ طفلاً أقل من ١٨ عاماً و٣١ امرأة بينهن طفلة عمرها ثلاث سنوات وأخرى عامان وثالثة أربعة أشهر.

ومن الجرحى ٣١٣٧ بالرصاص الحي و٥١٤٦ بالمطاطي و٤٥٥٨ بالغاز المسيل للدموع و٢٧٠٧ إصابات متنوعة.

وأصيب ١٥٠٠ بإعاقة دائمة من أصل ٤٠٠٠ حالة منها ٢٦ حالة أصيبت بفقدان البصر.

وبلغ عدد الأطفال والجرحى الأقل من ١٨ عاماً ٦٠٠٠ جريح.

حصيلة مؤلمة.. حصيلة الكفاح البطولي المستمر حتى الحرية والاستقلال.



موضوع الغلاف:

الذكرى الأولى
للإنتفاضة
عام من الصمود
والمقاومة

«الهدف» ٨ تشرين اول ٢٠٠١ ـ العدد ١٣٢٢
السنة الثالثة والثلاثون ـ الثمن ٢٠ ل.س/ ١٠٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1322 - 8/10/2001

في هذا العدد

الحدث

عام على الانتفاضة الفلسطينية.. في مواجهة الإرهاب الصهيوني

جواد عقل

مضى عام على اندلاع الانتفاضة الشعبية في فلسطين.. مضى عام من الصمود والتحدي مضى عام وشعبنا يزداد إصراراً على مواصلة طريق المقاومة الشعبية كطريق حضاري وإنساني في مواجهة العدوان والصلَف والبربرية الإسرائيلية. مضى عام وشعبنا الأعزل يتلقى الضربات والأعمال الإرهابية الهمجية لحكومة ما يسمى بالوحدة الوطنية والتي حاولت بحكم طبيعتها اليمينية وتعبيرها عن الانحدار الطبيعي لإسرائيل نحو التطرف واليمين أن تستخدم كل ما توصلت إليه الآلة الحربية الإسرائيلية من وسائل دمار وعدوانية بمباركة ودعم غير محدودة من إدارة بوش التي أطلقت العنان لأكبر مجرمي وإرهابيّ هذا القرن «شارون» فقام باستخدام كل ما لدى كيانه من أدوات تدمير وعدوان ضد مدننا وقرانا ومخيماتنا وأهلنا وأشجارنا وحتى الحيوانات لم تسلم من اعتداءاتهم المستمرة والتي حاولت دون جدوى أن توقف جذوة المقاومة لدى شعبنا الذي أقرته كل المواثيق والشرائع الدولية. مستفيدة من الأجواء الإقليمية والدولية المحيطة بهذا النضال المشروع ضد البربرية والهمجية وضد أشرس وأخطر مجرمي هذا القرن شارون - موفاز - بن اليعازير - وبيريز - مهندسي إرهاب الدولة ومشرّعي القتل والتدمير والحصار واقتلاع الأشجار وحرمان شعبنا من حقه الطبيعي في الظفر بالحرية ونيلها مهما كانت الصعاب، وهذا ما يفسّر إصرار شعبنا وقواه الوطنية والإسلامية على مواصلة الانتفاضة بأبعادها الجماهيرية والكفاحية حتى يتمكن شعبنا من نيل حقه المشروع في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس وحق اللاجئين في العودة إلى ديارهم. وهذا سرّ عدم تمكن الإرهابي الإسرائيلي من النيل من عضد شعبنا وقدرته رغم فداحة الخسائر البشرية والمادية التي خلفها الإرهاب المستمر والمتواصل على أهلنا في كل مكان في الضفة والقطاع. فسنة مضت وشعبنا يزداد إصراراً على مواصلة هذا الطريق طريق مواصلة الانتفاضة طريق الكفاح الوطني حتى التحرير.

وفي ظل هذه الأجواء وفي ظل تنامي الإدانة الدولية للاعمال الإرهابية والهمجية لقادة إسرائيل فجع العالم بالأعمال الإرهابية التي تعرضت لها نيويورك وواشنطن ووسط إدانة مثل تلك الأعمال التي تتعرض للمدنيين العزل انبرت الولايات المتحدة لتشكيل حلف بقيادتها لتقوم بضرب الإرهابيين في العالم والذين يشكلون برأيها الخطر الأساسي على البشرية، والولايات المتحدة سيدة العالم دون أن تكلف نفسها بالسؤال المنطقي لماذا الولايات المتحدة دون سواها تتعرض لمثل تلك الأعمال الإرهابية البشعة؟ بينما اكتوت دول عديدة في العالم من مشرقه إلى مغربه دون أن تحرك تلك الإدارة ساكناً بل أحياناً أيدت هي وحلفاؤها زعماء الإرهاب وما انفكت تساند وتدافع عن إسرائيل وحكومة شارون رغم الإرهاب والعنصرية والفاشية البشعة.

ودون أدنى مبرّر أطلقت العنان لأبواقها الإعلامية والسياسية لاتهام الإسلام والعرب بهذا العمل الذي هزّ مشاعر البشرية ونال إدانتها لتلك الأعمال. فحري بأمريكا قبل أن تطلق العنان لهذه الأصوات أن تترك فرصة للتحقيق ليقف العالم على حقيقة مرتكبي هذه المجزرة. وبدلاً من أن تشكل تلك الصدمة عامل مراجعة ووقوف أمام حقيقة السياسات التي جعلت من أمريكا هدفاً للارهاب ذهب بوش وأركان إدارته في تهديد البشرية من خلال قولهم من ليس معنا فهو ضدنا وفي صف أعدائنا أي منطق هذا والذي تريد من خلاله الولايات المتحدة إعادة الهيبة لها أمام الجمهور الأمريكي المصاب بالصدمة من هذا الحدث وضرب كل من يخالفها الرأي وخلط الأوراق ليصبح المدافعين عن الحرية كأبناء فلسطين في صف الإرهابيين القتلة، فأية شريعة هذه لا يقبلها عقل ومنطق ولا يمكن للدول العربية والإسلامية أن تشارك في حملة ضد الإرهاب دون دليل واضح ومحدّد وعلى أسس محددة تجعل من محاربة الإرهاب بعد تحديد مفاهيمه من «المجتمع الدولي ومؤسساته ومن خلال مؤتمر دولي تشارك فيه دول العالم.. وتجعل من محاربته جهداً إنسانياً متكاملاً.

ولأنه من وجهة نظرنا لا يمكن أن تكون أية



عمليات دولية لمحاربة الإرهاب جادة إذا استثنينا إسرائيل من اعتبارها بؤرة توتر في منطقتنا، ورمزاً صارخاً للإرهاب الذي تمارسه الدولة ومختلف مؤسساتها العسكرية والسياسية والإعلامية، ضد شعب فلسطين الذي يقدم يومياً الشهداء والجرحى. فإسرائيل التي تمارس كل أشكال الإبادة الجماعية ضد شعبنا وترتكب جرائم ضد الإنسانية، وجرائم حرب يجب أن تكون على رأس أجندة محاربة الإرهاب وإلا فالمعالجة على الطريقة الأمريكية ستفتح الباب واسعاً لتنامي الإرهاب وتعدد أشكاله ووسائله، فالوقوف في وجه الإرهاب مهمة إنسانية نبيلة إذا صدقت النوايا وحققت العدل والمساواة، وطبقت البشرية المعايير بطريقة واحدة وبأسلوب موحد فالمجرم والإرهابي واحد، بغض النظر عن هويته وانتمائه القومي والطائفي ولا يجوز أن ترتكب حماقات بحق الأبرياء تحت مظلة الإرهاب، ولا يجوز أن تمرر أمريكا مخططاها ومطامعها الاستعمارية ورغبتها في الهيمنة على مقدرات الشعوب وثرواتها دون رادع.

وشعبنا مصمم أكثر من أي وقت مضى على مواصلة مسيرة الانتفاضة الظافرة حتى يتم دحر الاحتلال، وشعوبنا العربية وقواها الحية الشعبية والرسمية مدعوة أكثر من أي وقت مضى لاتخاذ مواقف صائبة اتجاه الإرهاب على قاعدة وضع إسرائيل ومجرميها وإرهابييها على قائمة أجندة أي ملتقى أو مؤتمر دولي للإرهاب.

وشعبنا بتماسك وتظافر جهود أبنائه من القوى الوطنية والإسلامية قادر على إحباط أية مؤامرات تستهدف النيل من قناته النضالية والكفاحية والتأثير عل معنوياته ولن يتم ذلك إلا من خلال قبر كل محاولة إسرائيلية لزرع الخلافات في صفوف شعبنا وحركتنا الوطنية وضرورة عدم الركون للوعود التي يمكن أن تطلقها الإدارة الأمريكية للأطراف الفلسطينية والعربية لضمان انضمام العرب إلى الحلف الأمريكي المجهول الأهداف والذي يخفي في جنباته حقيقة الموقف الأمريكي المعادي للعرب وتطلعاتهم في بناء مستقبلهم ومشروعهم الحضاري، وهنا لابد أن يلعب العرب دوراً هاماً ومميزاً على المستويين السياسي والإعلامي في دعم الانتفاضة ومطالبها العادلة والمشروعة والمتمثلة في ضرورة إزالة الاحتلال الصهيوني البغيض عن الأرض العربية وحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس وضمان حق العودة ووضع حد نهائي لسياسة الإرهاب والقتل التي تمارسها حكومة إسرائيل. واستمرار الدعم العربي الشعبي والرسمي للانتفاضة المادي والمعنوي لتتمكن من تحقيق أهدافها.

أما على الصعيد الفلسطيني فإن تجربة عام من الانتفاضة كافية لكي يدرك أصحاب القرار الفلسطيني ضرورة الالتزام بما يلي:

١ـ الانتفاضة واستمرار ديمومتها والمحافظة على طابعها الشعبي بالتوافق مع منسوبها الكفاحي والنضالي أحد الركائز الأساسية القادرة على تحقيق النصر على العدو الصهيوني.

٢ـ استمرار المراهنة على مسيرة ما يسمّى بالسّلام على الأسس السابقة مضيعة للوقت والجهد، ووسيلة من الوسائل السلبية التي تقف في وجه مسيرة الانتفاضة وسبل تطويرها واستمرارها فلا يعقل أن تذهب تضحيات شعبنا فداء لاستمرار الرهان الخاسر على تلك المسيرة.

فالسلام العادل والشامل لابد أن يستند إلى قرارات الشرعية الدولية كرزمة واحدة وبإشراف الأمم المتحدة وأطراف دولية نزيهة وليس الولايات المتحدة راعية الإرهاب والعدوان المستمر على شعبنا.

٣ـ من حق شعب الانتفاضة على قيادته أن يقول: آن الأوان لكي نتقاسم الخبز والرغيف ويتم توزيع المساعدات الشحيحة التي تصل إلى أهلنا بطريقة عادلة ومنصفة تساهم في استمرار الصمود وعدم استفراد طرف بالمساعدات واستحواذه عليها.

٤ـ آن الأوان لكي تأخذ القوى الوطنية والإسلامية دورها كاملاً في تحديد سياسات الانتفاضة على مختلف الصعد التنظيمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية حتى نتمكن سوياً من إفشال مخططات العدو ودحره، وتمكين شعبنا من الظفر بالحرية والاستقلال ■■

أنشطة وفعاليات



- وجهت اللجنة الشعبية في مدينة حمص لمقاطعة البضائع والمصالح الأمريكية ثلاث رسائل مفتوحة إلى الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان والأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى وإلى الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش. وذلك في ٢٠٠١/٩/١، وفي رسالتها إلى كوفي عنان استنكرت اللجنة الصمت الدولي على المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني الممثل في صمت الهيئات الدولية معتبرة هذا الصمت موافقة على القتل.

- وفي رسالتها إلى عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية استنكرت اللجنة صمت الحكومات العربية الذي يظهر عجز الجامعة العربية عن التعبير عن الحد الأدنى لمشاعر الشعب العربي. وفي رسالتها إلى بوش أكدت اللجنة أن أمريكا هي شريك للإسرائيليين في جرائمهم بحق الشعب العربي الفلسطيني مستنكرة الدعم الأمريكي للصهيونية.

- وبمناسبة مرور عام على الانتفاضة المجيدة أقامت الجبهتين الشعبية والديمقراطية في مخيم السيدة زينب جنوب دمشق ندوة سياسية تحدث فيها الرفيق عمر مراد عضو اللجنة المركزية العامة في الجبهة الشعبية مسؤول فرع سوريا، متناولاً الأوضاع الراهنة والرفيق علي بدوان عضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية تبع الكلمتين حوار مع الحضور.

- أحيت اللجنة الثقافية لمنظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مخيم جرمانا الذكرى الرابعة والعشرين لمجازر صبرا وشاتيلا فاقامت معرضاً لصور المجزرة في ٢٠٠١/٩/١١ لمدة ثلاثة ايام وأقامت ندوة فكرية في ٢٠٠١/٩/١٦ تحدث فيها كل من د. جورج جبور حول مؤتمر دربان والعنصرية والمحامي ظافر الخضراء حول القانون الدولي ومحاكمة شارون.

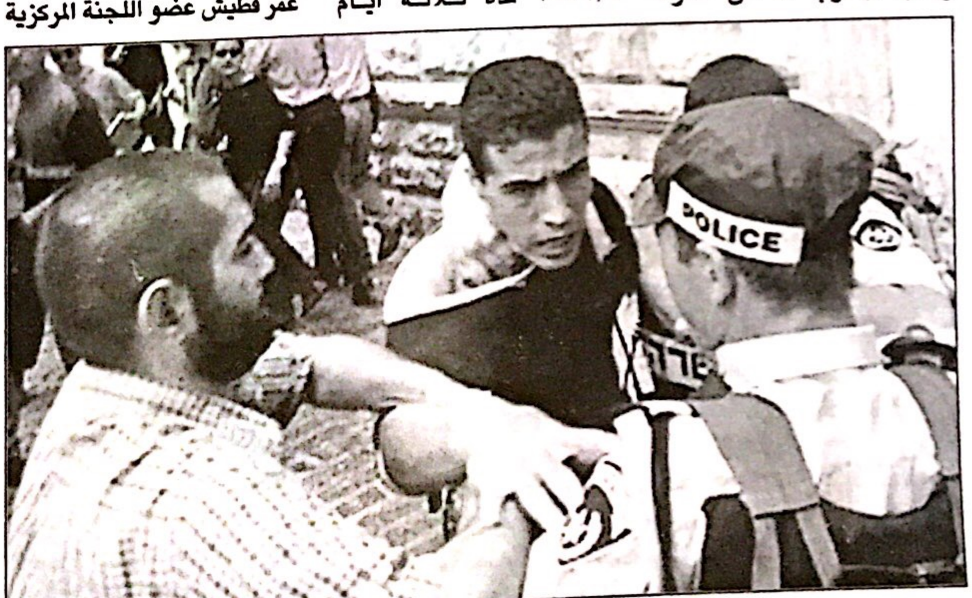
- ونفذت القوى والفاعليات الوطنية في مخيم جرمانا في ٢٠٠١/٩/١٩ اعتصاماً في مستوصف وكالة الغوث وسلمت مذكرة موجهة إلى الأمين العام للأمم المتحدة.

- وفي ٩/٢٧ وفي الذكرى الأولى للانتفاضة تحدث الرفيق عمر قطيش عضو اللجنة المركزية للجبهة في ندوة سياسية تبعها حوار مع الحضور وذلك في مخيم جرمانا.

- وبدعوة من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومناسبة الذكرى الأولى للانتفاضة نفذت القوى الفلسطينية في اللاذقية مسيرة نظامية انطلقت من أمام جامع فلسطين في المخيم، شاركت فيها القوى الفلسطينية والأحزاب الشيوعية السورية وحركة القوميين العرب في اللاذقية وحشد جماهيري كبير.

- وفي درعا نفذ اعتصام جماهيري يوم الاثنين ٩/١٧ أمام مقر وكالة الغوث بمشاركة جميع القوى والفعاليات وتم إصدار مذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة تناشده التدخل السريع لوقف العدوان على الشعب الفلسطيني وتوفير حماية دولية لشعبنا.

- وبمناسبة ذكرى إنطلاق الإنتفاضة أصدرت اللجان الفلسطينية المستقلة في دمشق بياناً بتاريخ ٢٠٠١/٩/٢٨ أكدت فيه على تواصل الانتفاضة وضرورة وضع آليات الاستمرار والتمسك بالوحدة الوطنية وتعزيز خيار المقاومة حتى دحر الإحتلال عن كامل التراب الوطني.



بلاغات عسكرية:

ـ تبنت كتائب الشهيد أبو علي مصطفى ـ الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الهجوم بقذائف الهاون صباح يوم الجمعة ٩/١٤ الساعة الثانية عشرة والنصف والتي استهدفت مستوطنة غوش عتصيون في مجمع غوش قطيف الاستيطاني.

ـ وفي بلاغ آخر أعلنت كتائب الشهيد أبو علي مصطفى أن مجموعة شهداء صبرا وشاتيلا التابعة لها قامت باقتحام جريء لمعبر المنطار شرقي مدينة غزة يوم الخميس الساعة ٥,٥٠ في ٢٠٠١/٩/٢٠ ونفذت هجوم بالرصاص والقنابل وأصابت أهدافها إصابة مباشرة.

ـ وتبنت مجموعة الشهيد غسان كنفاني الهجوم ليلة الاثنين ٢٠٠١/٩/٢٤ والذي تم بالأسلحة الخفيفة مستهدفاً قافلة صهيونية ما بين مستوطنة نتساريم ومعبر المنطار وأصابت الهدف ـ سيارة معادية ـ إصابة مباشرة.



تصريحات صحفية

ـ ردت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على إدعاءات مجرم الحرب بنيامين بن اليعازر وزير الحرب الصهيوني اتهم فيها القائد الشهيد أبو علي مصطفى بأنه كان يخطط لتفجيرات في مدارس ثانوية ورياض أطفال.

وقال الناطق الصحفي إن هذه التفوهات الصهيونية محاولة لتبرير الجريمة الصهيونية باغتيال الشهيد والتي لاقت استنكاراً دولياً وعربياً شاملاً.

وقال الناطق إن الشهيد هو مناضل من أجل الحرية وليس قاتل أطفال كما هو حال قادة العدو. مذكراً بالمجازر التي ارتكبتها الحكومات الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني.

ـ أوضحت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن لا علاقة لها من قريب أو بعيد بتفجيرات نيويورك وواشنطن وأكدت أن الجبهة تناضل من أجل حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وعودة لاجئيه وإقامة دولته المستقلة.

وأكدت الجبهة أن معاداتها للسياسة الأمريكية ناتجة عن دعم الإدارات الأمريكية المتعاقبة للاحتلال الصهيوني وهذا لا يعني مطلقاً العداء للشعب الأمريكي أو استهداف المدنيين الأمريكيين.

ـ وتعقيباً على دعوة ما سمي بوقف إطلاق النار في ظل استمرار الاحتلال قالت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في بيان لها أن مناخات الحمى الدولية لما يسمى مكافحة الإرهاب والتي أطلقتها الإدارة الأمريكية قد خلقت حالة فزع أصابت العالم من ردة الفعل الأمريكية وأن هذه الدعوة تأتي في ظل تأكيد الانحياز الأمريكي والإسناد المطلق لإرهاب الدولة العنصرية في الكيان الصهيوني.

وأمام هذا الواقع فإن الجبهة ترفض الدعوة لوقف إطلاق النار داعية للتمسك بموقف الإجماع الشعبي وقواه الوطنية والإسلامية.

ـ وفي تعقيبها على لقاء الرئيس عرفات ووزير خارجية العدو شمعون بيرس قالت الجبهة أن هذا يشكل عودة إلى الحلقة المفرغة ودوامة التفاوض على تقرير أمني هو تقرير ميتشل. ورفضت الجبهة ما اتفق عليه بيرس وعرفات حول العودة إلى التنسيق الأمني الكامل ودعت إلى التمسك بخيار الانتفاضة والمقاومة.

ـ في ذكرى مجزرة صبرا وشاتيلا اصدرت دائرة الإعلام المركزي في الجبهة الشعبية بياناً جماهيرياً نددت فيه باستمرار سفك الدم الفلسطيني على يد الجزار شارون وحكومته وأكدت أن دم الشهداء لا يزال يلاحق المجرم شارون فشعار (لن ننسى ولن نغفر) بات اليوم حالة مطبقة في إجراءات محاكمته كمجرم حرب.

وقال البيان أن السلاح الذي قتل به شهداء صبرا وشاتيلا وشهداء فلسطين هو سلاح أمريكي والحري بأمريكا أن تستخلص الدروس من سياساتها الإجرامية.

ـ في بيان صادر عن اتحاد لجان العمل الصحي يوم ٢٧/ ٢٠٠١/٩ ندد الدكتور رباح مهنا رئيس مجلس الإدارة بالجريمة الإسرائيلية عبر اقتحام رفح والتي أدت إلى استشهاد ٤ فلسطينيين و٢٤ جريح وهدم ١٥ منزل.

ودعا البيان السلطة للتوقف عن اللقاءات مع قادة العدو أمثال بيرس التي تعتبر غطاء للجريمة الإسرائيلية.

ـ أصدرت القوى الوطنية والإسلامية في ٢٠٠١/٩/٢٣ نداء العهد على استمرار الانتفاضة والمقاومة حتى الاستقلال والعودة، بمناسبة دخول الانتفاضة الباسلة عامها الثاني منددة بجرائم الاحتلال مؤكدة العزم على المضي قدماً في الانتفاضة حتى النصر.

وحذرت القوى الوطنية الإسلامية من استغلال الإدارة الأمريكية لمصيبة الشعب الأمريكي الناتجة عن عجزها في الحفاظ على أمن شعبها بحيث تحول عقدة العجز الداخلي إلى فجور وغطرسة القوة خارجياً.

وقالت (القوى) إن الحكومات العربية والإسلامية وهي تواجه مأزق الاختيار عليها ان تتخذ موقفاً جماعياً ضد الإرهاب وخاصة إرهاب الدولة المنظمة وإن أولويات مواجهة الإرهاب لابد أن تبدأ من الشرق الأوسط ومن الإرهابي شارون وعصابة مجرمي الحرب التي يقودها.

وفد من قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يزور العاصمة العراقية بغداد

بغداد - مراسل الهدف

بدعوة من الأخوة في مكتب حركات التحرر في العراق قام وفد من قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الرفيق الدكتور ماهر الطاهر عضو المكتب السياسي للجبهة ومسؤول قيادتها خارج الوطن المحتل، بزيارة إلى العاصمة العراقية بغداد استمرت بضعة أيام في الفترة الواقعة ما بين ١٥-٢٠٠١/٩/١٩ وقد ضم الوفد الرفاق أبو أحمد فؤاد وأبو علي حسن عضوا المكتب السياسي للجبهة والرفيق فؤاد عبد العزيز عضو اللجنة المركزية والرفيق عز الدين محمد ممثل الجبهة الشعبية في العراق.

وقد أجرى الوفد سلسلة من اللقاءات مع الأخوة المسؤولين في العراق الشقيق

في صباح يوم الاثنين الموافق ٢٠٠١/٩/١٧ تم لقاء مع الرفيق طارق عزيز نائب رئيس مجلس الوزراء، مسؤول مكتب حركات التحرر العربية وحضره عن الجانب العراقي أيضاً الرفاق مدير مكتب حركات التحرر العربية ونائبه، وقد قدم الرفيق طارق عزيز تعازيه باستشهاد القائد أبو علي مصطفى الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وقد تسلم الرفيق طارق عزيز أثناء اللقاء الرسالة الخاصة التي كتبها الشهيد أبو علي مصطفى قبل استشهاده بأيام إلى السيد الرئيس صدام حسين رئيس جمهورية العراق والتي حيا فيها صمود العراق وقيادته الشجاعة في وجه سياسة الحصار والعدوان المتواصل منذ سنوات طويلة، وجرى نقاش معمق تناول الحديث فيه كافة جوانب الوضع العربي والفلسطيني، حيث أكد السيد نائب رئيس مجلس الوزراء على أهمية وضرورة استمرار وتصعيد الانتفاضة وتعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية بين مختلف فصائل العمل الوطني، كما أكد استمرار دعم العراق الثابت لشعب فلسطين، وانتفاضته المتواصلة رغم ظروف الحصار الجائر والذي مضى عليه أكثر من (١١) عام، وأكد كذلك على أن صمود العراق واستمرار تصديه للعدوان الأمريكي البريطاني المستمر في شمال وجنوب الوطن، واستمرار الانتفاضة الشعبية في فلسطين يعبران عن الروح الكفاحية والطاقات النضالية للأمة العربية.

وعرض الرفيق الدكتور ماهر الطاهر، موقف الجبهة من كافة التطورات والمستجدات



الأستاذ طه ياسين رمضان نائب رئيس الجمهورية العراقية مستقبلاً وفد الجبهة الشعبية.



الوفد مع الأستاذ طارق عزيز نائب رئيس مجلس الوزراء.

على الصعيدين الفلسطيني والعربي، حيث أكد إصرار الشعب الفلسطيني على استمرار وتصعيد الانتفاضة، وهي تستعد لدخول عامها الثاني نحو تحقيق هدفها بالحرية والاستقلال والعودة، وكذلك أكد اعتزاز قيادة الجبهة الشعبية بالموقف والدعم الذي يقدمه العراق رغم ظروف الحصار لانتفاضة الأقصى المباركة.

فقد تم في يوم الاثنين الموافق ٢٠٠١/٩/١٧ لقاء مع الأستاذ طه ياسين رمضان نائب رئيس جمهورية العراق، حيث بدأ حديثه بتعزية قيادة الجبهة باستشهاد الرفيق القائد أبو علي مصطفى وعبر عن ذلك بقوله: نحن لا نعزي، بل نهنئ لأن هذا هو خيار المناضلين الذي يجب أن يشكل قوة مضافة لرفاقه، واستذكار «الشهداء» هو عامل قوة، لكل الأحرار والمناضلين.

بعد ذلك تحدث الدكتور الرفيق ماهر الطاهر موضحاً موقف الجبهة من كافة التطورات الخاصة بالوضع الفلسطيني، الانتفاضة، استمرارها، استعداد شعبنا وكافة قواه الوطنية والإسلامية على مواصلة مسيرتها نحو تحقيق هدفها بالحرية والاستقلال والعودة.

وأكد الأستاذ طه ياسين رمضان نائب رئيس الجمهورية على اتفاقة قيادة العراق وقيادة الجبهة في تحليلها للوضع السياسي، حيث أكد على أن لا طريق سوى المقاومة والجهاد الكفيل باستعادة الحقوق وتحرير الأرض المحتلة، وأكد على أهمية استمرار النضال واستمرار الانتفاضة ورفع كلفة الخسائر البشرية وغيرها التي يمكن أن يتكبدها العدو الصهيوني والتي سوف تجبره لاحقاً على التفكير بالانسحاب ومن ثم القيام به مرغمين وهذا يتطلب أيضاً تقديم التضحيات، وأكد على أهمية الوحدة الوطنية في ميدان الانتفاضة.

وتم في صباح يوم الأربعاء الموافق ٢٠٠١/٩/١٩ لقاء مع الدكتور صبري ناجي الحديثي وزير خارجية جمهورية العراق حيث أكد على أن كل العرب الشرفاء يستمدون العزم مما يجري على أرض فلسطين، حيث استمرار الانتفاضة، وكرر التعزية باستشهاد الرفيق القائد أبو علي مصطفى الأمين العام للجبهة، وتم تحليل للوضع السياسي الفلسطيني والعربي.

وتم في يوم الأربعاء أيضاً الموافق ٢٠٠١/٩/١٩ لقاء مع الرفيق سعد القاسم حمودي الأمين العام لمؤتمر القوى الشعبية العربية، حيث تم تركيز البحث بالإضافة إلى التطورات السياسية العربية والفلسطينية على الدور المطلوب من القوى الشعبية العربية ممثلة بالأحزاب والقوى والفعاليات والشخصيات الوطنية تجاه الدعم والإسناد والتضامن مع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، واستمرارها نحو تحقيق أهدافها في الحرية والاستقلال والعودة ودور الأحزاب العربية ومنظماتها النقابية وفعاليتها الشعبية في استمرار وتفعيل كافة أشكال الدعم والإسناد السياسي والمعنوي والإعلامي لانتفاضة شعب فلسطين.

وعلى هامش اللقاءات عقد لقاء بين الرفيق أبو أحمد فؤاد عضو المكتب السياسي للجبهة والرفاق ممثلو فصائل منظمة التحرير الفلسطينية في بغداد يوم الأربعاء الموافق ٢٠٠١/٩/١٩ تم فيه تناول كافة شؤون الوضع الفلسطيني، خاصة الانتفاضة ودعم استمرارها وتصعيدها لحملات الإبادة والاغتيالات التي يتعرض لها قادتها ومناضليها وكذلك من قبل العدو الصهيوني وجنوده وقطعان المستوطنين.

كما تطرق الحديث إلى أهمية تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية في الميدان بين مختلف القوى باعتبارها أحد الشروط الهامة لاستمرار وتصاعد انتفاضة شعبنا وصولاً نحو تحقيق أهدافها في الحرية والاستقلال والعودة، وتطرق الحديث إلى ضرورة القيام بنشاطات سياسية وإعلامية بمناسبة دخول الانتفاضة عامها الثاني ■■

أبو علي مصطفى شهيداً.. وقائداً مضى ولم يركع

د. جورج حبش

حينما فكرت بقول شيء مكتوب عن رفيق النضال الشهيد الرمز القائد أبي علي مصطفى.. جاشت عواطفي بحدة.. وتداعت خواطري وأفكاري بمواقف ومحطات هامة في مخيلتي.. فلم أتذكر محطات هامة في حياة ومسار أبي علي النضالية في حركة القوميين العرب وفي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فحسب، بل وتذكرت تاريخ ونضال شعبنا الفلسطيني كله شهداءه.. قادته.. ورموز نضاله منذ مطلع القرن الماضي وحتى الآن.. تذكرت انتفاضاته وهباته.. تذكرت جمجوم.. والقسام.. عبد القادر الحسيني.. أبو جهاد.. أبو إياد.. وغسان.. وماجد وعياش والشقاقي وغيرهم كثير.

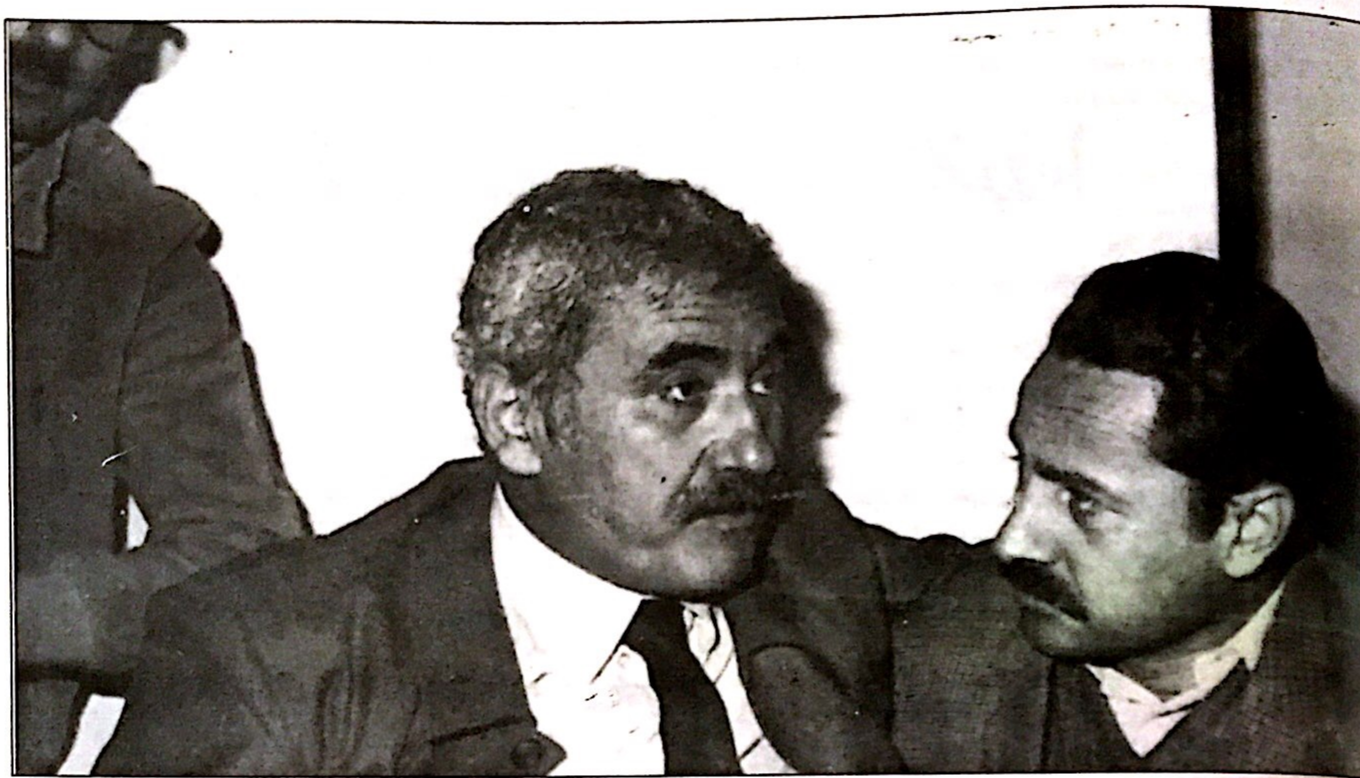
إنهم في لوحة شرف واحدة.. إنهم كوكبة الفرسان الذين ترجلوا عن خيولهم في محطات مختلفة من تاريخ ونضال الشعب الفلسطيني.. ترجل أبو علي ليحرك أوجاع قلبي ونفسي وليضعني أمامها بحدة وقسوة.. فانبعثت في عقلي أسئلة كبيرة وكثيرة: لماذا فقدنا محمد الأسود (جيفارا).. لماذا فقدنا غسان؟.. ولماذا فقدنا وديع؟ لماذا فقدنا أبا علي؟! لماذا فقدنا كل هؤلاء وأولئك الشهداء.. أسئلة كثيرة محملة بالألم والمشاعر.. إننا فقدنا هؤلاء.. وفقدنا أولئك لأنهم أعطوا بدون حدود.. أعطوا فأجزلوا العطاء.. توحدوا مع الوطن فلا تعد تميزهم منه وعنه، إنهم مناضلون وقادة غير عاديين، أصبحوا رماحاً تقاتل وأرواحاً تحلق في سماء الوطن تطلق نيراناً على العدو بالرصاصة والموقف المقاوم والكلمة الثورية.. إنهم يقاتلون بكل كيانهم، بكل أرواحهم لذلك فهم يخيفون العدو ويقضون مضاجعه فيسرع لتصفية الحساب معهم عبر إسكاتهم إلى الأبد.

إن اليد الصهيونية الآثمة التي امتدت لهم، اعتقدت أنها بتصفية القادة والعقول الفلسطينية ستكون قادرة على إطفاء شعلة الثورة.. وسلب ضميرها الحي واليقظ.. هذا الضمير المقاوم والمنتفض والذي لا يساوم على موقف.. أو مبدأ.. فكيف إذا كان الأمر يتعلق بالأرض نعم بالأرض أو الوطن.. إن طيور الظلام القاتلة - طائرات الأباتشي - الأمريكية الصنع والتي استهدفت الشهيد أبي علي قصدت قتل كل هذا وذاك والذي يمثله أبو علي، إنه كتب على روحه فلسطين وكتب بالدم لفلسطين.. إنه حلم بالقضية فتوحد معها وفيها.. إن الفاشية الصهيونية الجديدة المنفلتة من عقالها بقيادة مجرم الحرب شارون استهدفت باغتيال القائد الوطني الرمز أبي علي، اغتيال عنفوان الإرادة الثورية والثقة بالمستقبل.. هدفت لاغتيال الحلم النبيل بالغد.. واغتيال الموقف الصادق والكلمة الصادقة الشفافة والساطعة سطوع الشمس في وطننا الحبيب فلسطين.

منذ عرفت أبا علي في بداية الخمسينات وحتى ترجله قائداً شهيداً.. جرت في النهر مياه كثيرة.. ومررنا في الثورة والجبهة بلحظات حاسمة وصعبة.. بل يمكن القول، صعبة جداً.. وكنا أمام تحديات كبيرة وحقيقية.. وتطلب الأمر منا مواجهة قضايا ومواقف قاسية والدخول في تجارب مريرة وتاريخية عديدة.. في هذه وتلك كان أبو علي حاضراً بقوة بجسده وروحه، بفكره، بمواقفه وقناعاته، إن يكن في المواجهة العسكرية مع «إسرائيل» أو في المعتركات المختلفة التي مررنا فيها في الأردن.. ولبنان، أو في موضوعات أخرى كما الوحدة العربية.. الوحدة الوطنية.. أو في الديمقراطية داخل الجبهة أو خارجها.. أو في فهم طبيعة العدو، أو في قراءة صورة العلاقات والتحالفات العربية والعالمية.. نعم كان أبو علي القائد حاضراً في كل ذلك.

إن أبا علي الشاب ابن السابعة عشرة والذي التقيته في بداية الخمسينات لأول مرة في عيادتنا المشتركة وديع وأنا.. حينما كان يطبع منشوراً لتوزيعه باسم حركة القوميين العرب، هو نفسه أبو علي الشهيد بعدما يزيد عن خمسين عاماً من حيث أنه جم الاحترام.. مقل في الكلام.. لا يتحدث إلا بأشياء أساسية ومهمة وهو لم يكن غير ذلك في محطات هامة أخرى في حياته، فحينما اعتقل وكان عمره حوالي عشرين عاماً، في الضربة التي وجهت إلى حركة القوميين العرب في الأردن ذلك الوقت.. فقد فرض نفسه واحترامه ودوره داخل معتقل الجفر إلى جانب الرفيق الشهيد وديع حداد والذي كان من بين المعتقلين حينذاك.. وأمضى أبو علي حوالي خمس سنوات في معتقل الجفر الصحراوي، خرج منها أكثر قوة ومعرفة وثقافة..

إن أبا علي قد تملك خصائص ومواصفات القائد السياسي والعسكري مبكراً، فحينما فكرت حركة القوميين العرب بالتصدي للموضوع الفلسطيني لجهة الإعداد للعمل العسكري في الستينات، تقدم أبو علي الصفوف في هذا العنوان وكان العنصر الأساسي لهذا الإعداد.. فالقائد يتقدم بالحس السياسي.. ويعبر عنه بالموقف السياسي المستند على أساس ونهج علمي للتحليل.. مع معرفة عميقة للعدو.. وفهم مميز لحركة المجتمعات وقوانين الصراع المتحكمة فيها إضافة لروحية فكرية جمعية مقاومة للانغلاق.. أو الانعزالية مع تزاوج بحس الشعب الشفاف والذي يجعل القائد قائداً



وطنياً وديمقراطياً، وهذا ما كان عليه أبو علي.. نذر حياته لقضية كبيرة.. فقضى من أجلها فتوحد مع الوطن والحياة، وجعل من موته انبعاثاً للوطن بآلاف الرفاق المناضلين والذين عادوا للحزب الذي يحب وينتمي دفاعاً عن الوطن وعن المشروع الوطني التقدمي الديمقراطي، والذي وقف على رأسه ابو علي مصطفى قائداً ومناضلاً.

إن المناضل والذي لا تحرقه معاناة شعبه وثقافة شعبه حرقاً يخترق قلبه وكل شريان من شرايينه حتى تصل إلى نبض الحياة في جسده فتحمله هموم الناس، مرحهم.. حزنهم.. قضاياهم الملحة وغير الملحة لا يمكن أن يكون قائداً وقد كنت يا أبا علي قائداً.. وزرعت جسدك أشجاراً على درب فلسطين الديمقراطية.. فلسطين الأمل والحرية.. فكنتَ وانت حي الشهيد مع وقف التنفيذ، وقررت حينما جاءتك الفرصة العودة للوطن، أن تقبل التحدي وأن تبرهن على أن المناضل الحقيقي يستطيع أن يقهر المستحيل، وأن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قادرة على الانبعاث من جديد لتأخذ دورها الريادي والطليعي في مسيرة الشعب الفلسطيني هذا الدور الذي كانته في مراحل وأطوار مختلفة من نضال وتاريخ الشعب الفلسطيني.. وكان لك ما أردت، وقد قدمت أمثولة المناضل والقائد حينما عمقت مقولة الفيلسوف ميكافللي «إن النبي المسلح هو فقط الذي ينتصر.. أما الأنبياء العزل من السلاح فيعلقون على المصالب».

نعم يا أبا علي جعلت من نفسك وقوداً.. بل زيتاً أبدياً خالداً يشتعل بتوهج في بوتقة النضال الوطني الفلسطيني.. فليس هناك شيء اشرف من العبور فوق جسر الموت إلى الحياة والتي تهدف إلى إحياء الآخرين.. وإعطاء الشعب قوة إضافية للانتصار وترسيخ القيم والمثل بما يعمق قدرة الثورة والانتفاضة على الاستمرار والبقاء.

حينما سيكتب تاريخ فلسطين بعد الانتصار.. ستكون يا أبا علي من الرجال الرجال والذين صنعوا ملحمة حية للشعب الفلسطيني، إن يكن فكراً أو رجالاً وبنادق، فقد وحدت بين سلاح الكلمة وكلمة السلاح.. إنك الوحدوي الروح والهوى فهمت الوحدة العربية وجدل الوطني والقومي.. والوحدة الوطنية.. وحاربت كل من وقعوا في إسار القطرية والانغلاق.. فكنت فارساً يقاتل في مواجهة فلسفة «يا وحدنا» التي جرت الوبال والمصائب على شعبنا وأوصلتنا إلى ما نحن فيه من وضع صعب بسبب اتفاقيات أوسلو.

إنك كنت صادقاً وأميناً لمبادئ وأفكار مشروعنا الوطني التقدمي الديمقراطي، فأنت التقدمي بالموقف والرؤية والإنساني غير المحدود.. لذا كنت قائداً وطنياً فلسطينياً بامتياز وجدارة زرعت وطننا حباً.. وأشجار رمان.. وزينت بواباته باغصان الزيتون والغار..

- أبا علي يا أيها الصديق والرفيق والقائد ترجلت نعم، ولكن ليس هذا هو الرحيل الأخير، بل استراحة محارب في ظل زيتونة هرمة في جبال رام الله الغالية.. لأن من يولّد الأفكار.. والرجال ويزرع البنادق في روابي الوطن.. ويتركها حية تتفاعل وتتجدد في كل يوم.. فإنه ينبعث فينا وفي الوطن كل يوم حتى كل ساعة..

إن نسور فلسطين الآن ونسور الجبهة الشعبية وعشاق حريتها وصناع كرامتها وسكان أعالي قمم جبالها الشامخة يحيطون بك يا أبا علي ويعرفون إنهم بحياتهم حاولوا انتزاع الوطن من المجهول والذي وضعته فيه صكوك أوسلو.. وفي مماتهم يطالبوننا، بأن لا نهدر كرامة الوطن.. كرامة فلسطين.. مع عدو فاشي قاسي وهمجي لأن الصراع معه صراع وجود لا حدود.. نعم سنجعل من الوطن قبلتنا التي لا نحيد عنها نضالاً وصلاة حتى تحقيق كامل الأهداف التي قدمتم حياتكم قرباناً من أجلها.. فلسطين حرة.. عربية.. تقدمية.. وديمقراطية.

تحية إلى كل شهداء فلسطين.. تحية إلى الشهيد القائد والرمز الوطني - أبي علي مصطفى قائد مضى ولم يركع.. وقد زُرعت أشلاؤه أشجاراً على درب فلسطين.. تموت وقوفاً ولا تركع ■■

«سري جداً»

«إشترِ زمناً في القدس!»

خفايا وأبعاد إغلاق «بيت الشرق»!

علي الكردي

بيت الشرق، ليس فقط أحد البيوتات المقدسية العريقة، التي تخصُّ عائلة الحسيني الوطنية المناضلة.. وليس فقط العنوان، أو الرمز الوطني والمعنوي الفلسطيني داخل القدس المحتلة.. وليس كذلك المبنى الذي يرفرف فوقه العلم الفلسطيني فحسب، لاسيما بعد أن أصبح مقر الوفد الفلسطيني المفاوض، الذي تقصده الوفود الأجنبية والشخصيات الرسمية التي تزور المدينة المحتلة.. إنه ليس كل هذا فقط (على أهميته).. وإنما هو العصب الحي، الذي ينهض في مواجهة الاحتلال الاستيطاني السرطاني، ويعمل على الحد من فعالية تهويد المدينة المقدسة.

ماذا نعرف عن بيت «الشرق»؟! وهل أدرك الوعي الفلسطيني والعربي خطورة وأبعاد الخطوة الإسرائيلية في إغلاق هذا العنوان الفلسطيني الوطني الهام؟! ولماذا لم تكن ردود الأفعال العربية والدولية على مستوى ما يمثله هذا الحدث من أبعاد؟!

وهل نستطيع القول: أن إسرائيل تقدمت خطوة باتجاه تفريغ المدينة المقدّسة، وتهويدها بعد إغلاق بيت الشرق والمؤسسات الفلسطينية الأخرى؟!

«الهدف» تلقي الأضواء على أبعاد خلفية إغلاق بيت الشرق، والدلالات الخطيرة التي ترتبت على عملية إغلاقه، وبالتالي أهمية أن نبقي هذه المسألة ضمن أولوياتنا.

قبل الحديث عن بيت الشرق والنبذة التاريخية عنه.. لابد أن نتحدث عن المؤسسة الأم، وهي جمعية الدراسات العربية، التي أنشئت عام ١٩٧٩، من قبل الراحل فيصل الحسيني مع زملاء له، شعروا بضرورة مراقبة وتوثيق كل ما يصدر عن الجانب الإسرائيلي، وأرشفته وتوثيقه بأراشيف تهم الباحث بشكلٍ أو بآخر.. حيث بدأت جمعية الدراسات العربية، بدايةً متواضعة آنذاك، بترجمة ما يصدر في الجانب الإسرائيلي بالعبرية من دراسات سياسية واقتصادية وثقافية، واجتماعية.. ثم تطوّرت جمعية الدراسات العربية، حتى أصبحت أضخم مؤسسة موجودة في القدس الشرقية، ضمت في إطارها العديد من مراكز البحث من أبرزها: مركز المعلومات الفلسطيني لحقوق الإنسان، الذي عمل على فضح الانتهاكات الإسرائيلية، وتحديداً إبان الانتفاضة الأولى.

كذلك عملت جمعية الدراسات على إنشاء المكتبة المتخصّصة بشؤون القضية الفلسطينية باللغات الثلاث، فغدت المكتبة القيّمة الوحيدة بالمنطقة.. وأُنشأ مركز التوثيق، الذي غُني بشكلٍ أساسي بالوثائق التاريخية، حيث ضمّت خزائنه ما يقارب مائتين وخمسين وثيقة تاريخية أصلية، تُعنى بكافة الشؤون الفلسطينية التاريخية.

ضمّت جمعية الدراسات العربية أيضاً مركز أرشيف للمعلومات الصحفية، ومركز أرشيف الشخصيات العامة، بحيث أصبحت مع الأيام واحدةً من المؤسسات المهمة للباحثين والدارسين من مختلف أنحاء الوطن والعالم، ممن يقصدون الجمعية للحصول على المعلومات اللازمة لأبحاثهم.

تعرضت هذه الجمعية للإغلاق المتكرّر عدة مرات.. وأُغلقت من العام ١٩٨٨ إلى العام ١٩٩٢، لمدة أربع سنوات متتالية.

حُظّر على جمعية الدراسات أن تمارس نشاطها في أي مكان من القدس الشرقية، لكنها أصبحت من المؤسسات التي ترعى باقي المؤسسات الموجودة في القدس، التي يعمل فيها معظم الباحثين والدارسين، وقد أنتجت العديد من البحوث والدراسات في مختلف القضايا (الأراضي.. الاستيطان..) وفي هذاالصدد أنشأت أيضاً مركزاً خاصاً لـ الجغرافيا والاستيطان والخرائط.. الذي أضحى المركز - الأساس، الذي يتم من خلاله متابعة كافة أشكال الاستيطان، وعمليات التهويد التي لازالت تجري في القدس، كذلك، يتم من خلاله، متابعة حركة الاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة.. وفي هذا السياق أصدرت العديد من المصوّرات والخرائط التي توضح طبيعة الواقع في الأراضي المحتلة وفي القدس بشكلٍ خاص، وترسم طبيعة النظرة المستقبلية للمخططات الإسرائيلية للاستيطان.

مع بدء العملية السياسية التسووية في المنطقة. ومن خلال جولات جيمس بيكر المتكررة، وبما أن فيصل الحسيني كان من أبرز الشخصيات الفلسطينية التي تقابل بيكر آنذاك، حيث تعقد اللقاءات خارج إطار القدس الشرقية، (إما في الفنادق أو القنصليات الغربية).. حينها أراد الحسيني أن يثبّت شيئاً سياسياً على الأرض، وكانت جمعية الدراسات مغلقة آنذاك، فقرّر إعادة افتتاحها، وكان مقرّها بالأساس ما يُعرف بمبنى «بيت الشرق»، وهو مبنى تاريخي عريق جداً، له جذور تاريخية قديمة.. تعود ملكيته لعائلة الحسيني، أُنشأ في أواسط القرن الثامن عشر، ليكون بيت الضيافة العربية، وقد أُستقبل فيه آنذاك العديد من الشخصيات الرسمية الدولية والعالمية البارزة، كإمبراطورة هولندا وأقام فيه الملك عبد الله الأول، وأصبح مقر الهيئة الإسلامية العليا في بداية القرن العشرين، ثم أصبح محط أنظار العديد من الشخصيات، كواحد من البيوت القديمة العريقة.

يقع بيت الشرق في حي الحسينية في القدس الشرقية.. تحوّل ما قبل احتلال الـ ١٩٦٧ إلى فندق، كان يعتاش من دخله أصحاب البيت من آل الحسيني، واستمر هذا الوضع حتى أواسط السبعينات، ونتيجة الوضع العام الذي ساد الأراضي المحتلة



آنذاك توقف الفندق عن العمل، ومن ثم في نهاية عام ١٩٧٩ استأجره الأخ فيصل الحسيني ليكون مقراً لجمعية الدراسات العربية.

مع بداية العملية السياسية كما ذكرنا، كان الطرف الفلسطيني يعاني من مشكلة أساسية وهي: أن معظم اللقاءات التي تعقد مع كافة المبعوثين السياسيين الدوليين، كانت تعقد إما في فنادق أو قنصليات أو سفارات ولم يكن هناك عنوان فلسطيني ثابت لهذه المسألة، وبرز المعنى العميق لأن يكون هناك عنوان فلسطيني ثابت علىالأرض للجانب الفلسطيني. في هذا الوقت كان الجزء الذي يشغله مبنى جمعية الدراسات العربية في مبنى بيت الشرق، مغلقاً، لكن المباني الأخرى لم تكن كذلك، فجلس فيصل الحسيني في إحدى هذه الأجزاء وقال: «من هنا سيكون عنوان الوفد الفلسطيني المفاوض».

أول رئيس وفد تمّ استقباله في بيت الشرق، كان رئيس وزراء البرتغال، ثم أصبح بيت الشرق (مقر الوفد المفاوض إلى مؤتمر مدريد.. ومن ثم واشنطن) حيث بدأ بتشكيل طواقمه، التي قسمت عدة أقسام هي: قسم العلاقات الدولية وتفرّع عنه عدة مكاتب هي: مكتب الشؤون العربية، ومكتب متابعة الدول الأوروبية، ومكتب متابعة أمريكا.. ومكتب الدول الاشتراكية (سابقاً).. وهناك قسم البروتوكول.. وقسم العلاقات الدولية الذي يعنى باستقبال شخصيات سياسية رسمية.. إضافة إلى مكتب فيصل الحسيني (مسؤول ملف القدس)، وهو مكتب يضم مكاتب تتفرّع عنه، تهتم بكافة إشكاليات وقضايا هذا المكتب، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية.. أو ما يمكن أن نسمّيها «لوجستية» وطنية بشكلٍ عام.

وعلى هذا الأساس، صار هناك تداخلاً ما بين المؤسستين (جمعية الدراسات العربية، وبيت الشرق) التي أصبحت مؤسسة واحدة في أواسط التسعينات تضم الآن ما يقارب ثمانية مراكز هي:

١- قسم العلاقات الدولية. ٢- مركز الشؤون العامة. ٣- مركز الشؤون الاجتماعية. ٤- مركز أبحاث الأراضي. ٥- مركز المعلومات الفلسطيني لحقوق الإنسان. ٦- مركز التوثيق والمعلومات. ٧- مركز الاستيطان والجغرافيا والخرائط. ٨- مركز الإحصاء الفلسطيني.

بيت الشرق.. إنجاز تراكمي

حول كيف واجه الإسرائيليون تطوير بيت الشرق إلى الشكل الذي آل إليه كرمز فلسطيني، تحوّل إلى مركز صراعٍ حاد بين الفلسطينيين والإسرائيليين؟: طرح بيت الشرق وجوده على الأرض بسياسة الخطوة.. خطوة وصولاً إلى الصورة التي آل إليها، هذه العملية لم تتم دفعة واحدة، ولم تكن وليدة الصدفة، وإنما نتيجة إنجاز تراكمي له أبعاده على الأرض، وساعد فيه اتصالات دولية كبيرة مع فيصل الحسيني لها وزنها تمت في بيت الشرق، إضافة إلى الالتفاف الجماهيري حول هذا العنوان الوطني المعنوي، كبديل عن سلطة الاحتلال، ليكون مرجعية للمواطن الفلسطيني يعود إليه لحل خلافاته وإشكالياته اليومية.. كل هذه الأمور ساعدت على تثبيت بيت الشرق، حتى في المسائل البروتوكولية - الشكلية (كرفع العلم الفلسطيني عليه) التي واجهت معركة حقيقية في أواسط التسعينات إلى أن فُرض فرضاً، وأصبح المبنى الوحيد في القدس الشرقية التي يرفرف فوقه العلم الفلسطيني، ويتم التعامل معه من قبل القادمين من الشخصيات الرسمية، مثل تعاملهم مع أي مقر رسمي في العالم، حيث يُرفع علم بلد الشخصية الزائرة إلى جانب العلم الفلسطيني.

هذه الجهود، من قبل فيصل الحسيني وطواقم العاملين في بيت الشرق ثبّتت أن الإسرائيليين، وجنود الاحتلال لم يجرؤوا على اقتحامه يوماً واحداً، ليس خوفاً، وإنما لأنه أصبح في الذهن السياسي العربي والدولي، والذهن المجتمعي المحلي، رمزاً سياسياً كبيراً جداً، ومن هنا تلقى بيت الشرق تهديدات عديدة سواء من قبل يهود متطرفين أو مستوطنين، كانوا يعتصمون يومياً قبالة بيت الشرق للمطالبة بإغلاقه.

اقتحام في جنح الظلام

حول سبب التحوّل المفاجئ، الذي دفعهم إلى اقتحامه في جنح الظلام بعد أن ثُبّتت شرعيته كرمز سياسي وطني فلسطيني على الأرض خلال سنوات.. وكيف استطاعوا إغلاقه خلال أربع وعشرين ساعة حتى نكون واقعيين يجب القول: هناك عدة أسباب أدّت إلى هذه النتيجة منها: أن وفاة فيصل الحسيني، أثّرت تأثيراً كبيراً، خاصة في ظل تأخر الطرف الفلسطيني في ترتيب الوضع الرسمي لبيت الشرق وتعيين خليفة لفيصل الحسيني، وهذا طبعاً يعود إلى أن فيصل الحسيني صار رمزاً سياسياً، يتمتع بكاريزما على المستوى المحلي والدولي، وبالتالي فإن وفاته قد أثّرت بشكلٍ أو بآخر.

ثانياً: واقع الانتفاضة، وما لعبه بيت الشرق في ظل هذه الانتفاضة من دور في تنسيق العمل الوطني الفصائلي وفعالياته، أوصل إسرائيل إلى قناعة بمقولة أن الانتفاضة يديرها بيت الشرق، وكانت زيارة فيصل الحسيني إلى طهران، لحضور المؤتمر الدولي لدعم الانتفاضة مقدمة الحملة الإسرائيلية التي استهدفت بيت الشرق، الذي استطاع خلال سنوات عمله فضح الممارسات الصهيونية وتحديداً تجاه عملية تهويد واستيطان القدس.

هيكلية بيت الشرق.. ومهماته!

مثله مثل أي مؤسسة فلسطينية بيت الشرق مرتّب هيكلياً بالطريقة اللا مركزية، وكل مركز من مراكزه له استقلالية شبه كاملة من الناحية المهنية، لذلك لم يكن فيصل الحسيني يتدخّل بشكلٍ مباشر في العديد من القضايا مثل

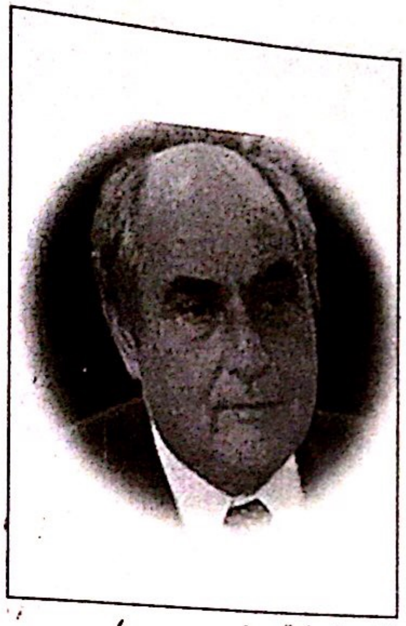
قضايا حقوق الإنسان التي كانت تضم ملفين هما: ملف الانتهاكات الإسرائيلية بحق جماهيرنا، وملف انتهاكات السلطة الفلسطينية تجاه المواطنين الفلسطينيين.

أما لجهة الترتيب الهيكلي، فقد كان فيصل الحسيني يشغل منصب رئيس بيت الشرق، الذي يتكوّن من مجلس أمناء جمعية الدراسات العربية.. وهناك مدير عام لبيت الشرق.. وجمعية الدراسات العربية، إضافة إلى طاقم الشؤون الإدارية، والمالية والمراكز الأخرى التي تحدّثنا عنها، وكل مركز يديره مديراً من هذه المراكز. أما تمويله فيتم بطريقتين: الأولى عن طريق الحصول على دعم لمشاريع الأبحاث من جهات تمويلية دولية معينة، مثلاً كدعم أبحاث مركز الأراضي، الذي يحصل على تمويل لإنجاز دراسات من جهات دولية غير حكومية.. والطريقة الثانية أن يحصل (باعتباره مؤسسة من المؤسسات الفلسطينية) على ميزانية محددة من م.ت.ف، أول مبلغ حصل عليه الراحل الحسيني من أبي جهاد كان خمسة آلاف دولار، أسّس فيه جمعية الدراسات العربية، التي ثبّتها في بيت الشرق، كأحد مؤسسات م.ت.ف.

إضافة إلى الدراسات، التي لها علاقة بالواقع الفلسطيني، التي تنجزها جمعية الدراسات، هناك تقرير شهري يصدر عن كل مركز من المراكز. مثلاً، مركز المعلومات لحقوق الإنسان، يصدر تقريراً شهرياً متكاملاً حول واقع حقوق الإنسان الفلسطيني في الأراضي المحتلة، ومركز أبحاث الأراضي يصدر تقريراً مماثلاً عن أعماله.. وهكذا بقية المراكز.. أما على صعيد العلاقات السياسية، فقد لعب بيت الشرق دوراً كبيراً في مسألة توضيح وجهة النظر السياسية الفلسطينية فيما يتعلق بمسألة الصراع.

هناك مهمات داخلية يقوم بها أيضاً، وتتعلق بالمجتمع المقدسي (التي غالباً ما يغفلها الإعلام) وخاصة ما بعد أوسلو.. حيث اقتصر عمل بيت الشرق على الاهتمام بالواقع المقدسي.. وفي هذا السياق لعب دوراً كبيراً في حل النزاعات والخلافات التي كانت تنشأ ما بين أفراد المجتمع الفلسطيني المقدسي، وشكّل ما يمكننا أن نسمّيه: النظام القضائي الوطني البديل، نلك في ظل عدم وجود السلطة الوطنية، أوسلطة الدولة.

في هذا السياق، برزت لجان التحكيم الوطني في كافة الخلافات التي تنشأ بين المواطنين، ولعب مركز الشؤون العامة دوراً هاماً جداً لحل مثل هذه القضايا وأصبح



الشهيد فيصل الحسيني

مرجعية لحل آلاف القضايا المشابهة بين المواطنين. هذه اللجان صار لها صفة التنفيذ، من خلال توقيع صك التحكيم، وهناك أدوات شعبية معينة تفرض تنفيذ الحلول في هذا السياق. وبهذا المعنى أضحى بيت الشرق سلطة معنوية وتنفيذية ومرجعية لحل خلافات المواطنين المقدسيين ونزاعاتهم بعيداً عن المحاكم الإسرائيلية.

كذلك لعب دوراً في مسألة رفع المعاناة عن جماهيرنا في القدس وخاصة بما يتعلق بالضرائب أو سياسة هدم المنازل من خلال مواجهة سياسة الهدم وتوكيل طواقم من المحامين لديه، عملوا على إيقاف أو تعطيل الكثير من الإجراءات، أو القرارات التي تتعلق بعمليات الهدم، وساعد من جهة أخرى في مدّ الجسر بين المواطنين الفلسطينيين المقدسيين وبين السلطة الفلسطينية لحل مسألة الغرامات الباهظة التي تفرض على المقدسيين في إطار سياسة تهويد المدينة وتفريغها من سكانها العرب. وهذا الأمر كان شكلاً من أشكال مقاومة هذه السياسة ودعم صمود المواطن المقدسي.

من الملفات التي كانت على رأس أولويات الراحل الحسيني عندما سافر إلى الكويت هو ملف عمليات الترميم داخل أسوار البلدة القديمة لمحاربة محاولة تسريب المنازل إلى سلطات الاحتلال والجهات التابعة لها. إذ يوجد داخل أسوار البلدة القديمة ما يقارب ١٢٠٠ منزل بحاجة إلى عمليات ترميم سريعة جداً.. وبحاجة إلى مبالغ طائلة لإنجاز هذا الترميم.

تداعيات إغلاق بيت الشرق

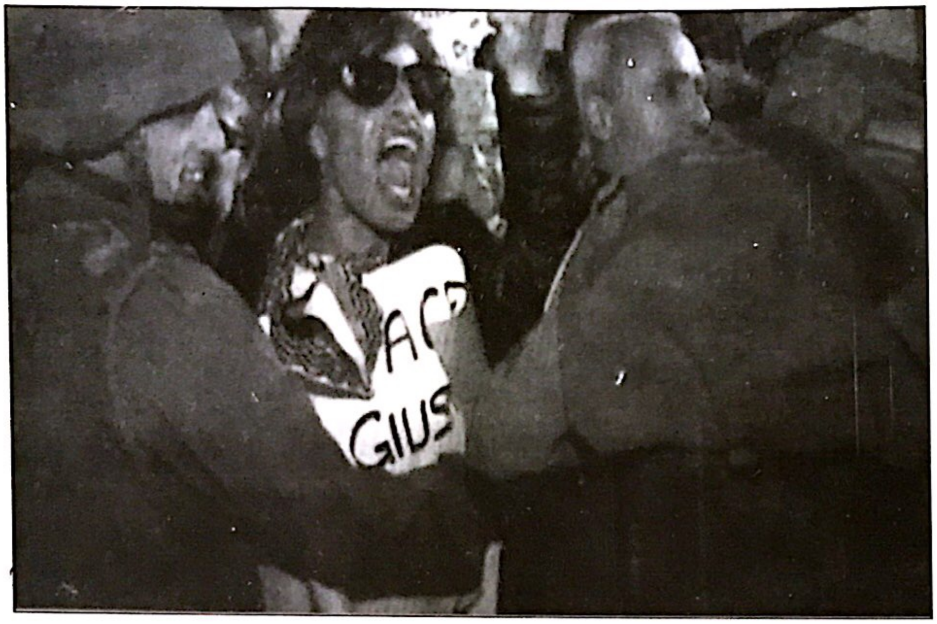
لقد شكّل إغلاق بيت الشرق صدمة ومأساة بالنسبة للمجتمع الفلسطيني، لأن هناك الكثير، بل المئات من القضايا المعلّقة التي لم تحل خلال فترة الإغلاق، وهذه شكلت أزمة حقيقية للمواطن المقدسي، وخاصة بما يتعلق بالهدم وترميم المنازل، ومتابعة قضايا المعتقلين داخل السجون الإسرائيلية. الآن، القدس لا تملك عنواناً سياسياً وطنياً، يشكّل رمزاً يتوجه إليه المواطن.. في حال أراد شيئاً من قبل مثل هذه المؤسسات.

كان بيت الشرق يعمل في الأشهر الستة الأخيرة على دراسة القطاعات الجماهيرية في القدس، ومحاولة فض الاشتباك ما بين هذه القطاعات وما بين ارتباطاتها اليومية المباشرة، المعقدة مع القطاعات الإسرائيلية، التعليمية والصحية والقضائية.. إلخ. وكان هناك محاولة لتشكيل سبعة عشر قطاعاً، بدءاً من التعليم، وانتهاءً بشؤون المرأة والطفل، وشكّلت خطط بديلة لفك الارتباط المباشر مع المؤسسة الإسرائيلية.

ثمة شعور بالخذلان في الشارع الفلسطيني تجاه ردة الفعل الرسمية الفلسطينية والعربية لأنها لم تكن في مستوى الحدث، وفي سياق تحليلنا لهذه المسألة نقول: «لو أن الإسرائيليين كانوا يتوقعون أن ردّة الفعل سوف تكون فقط على هذا المستوى، لقاموا بإغلاقه منذ زمن بعيد..».

أما فيما يتعلّق ببردّة الفعل الجماهيرية، فيجب أن نلاحظ أن جماهير القدس لا تستطيع أن تؤثّر بمفردها على معادلة الصراع على بيت الشرق لأن المقدسيين، إحصائياً باتوا يشكّلون فعلاً أقلية في القدس حالياً، ولو أخرجنا منهم عنصر الشباب، نجد أننا أمام نسبة قليلة جداً، ولو أخرجنا منها أيضاً طبيعة العمل، غير صعوبات لوجستية عديدة.

وحول الوسيلة التي بإمكاننا من خلالها أن نبقي هذه القضية حاضرة وضاغطة، ليس من طريقة سوى أن تظل قضية بيت الشرق حاضرةً في ذهن أي سياسي فلسطيني أو عربي بمختلف أماكن تواجده في أي ساحة، وبغض النظر عن انتمائه السياسي أو التنظيمي.. ويجب أن تكون هذه القضية من الأولويات الأساسية الاستراتيجية في أي ملتقى سياسي فلسطيني أو عربي أو دولي، وأيضاً على المستوى الإعلامي، يجب أن تظل قضية بيت الشرق في الصدارة، ويجب ألا ننسى المؤسسات التسع الأخرى التي أغلقت ومن بينها «غرفة تجارة القدس» التي تعمل منذ أربعينيات القرن الماضي.. والذي يحتاج المواطن المقدسي إلى ختمها في كل معاملاته التجارية وتحركاته، وعندنا أيضاً «نادي



الأسير الفلسطيني»، و«شركة الاتصالات الفلسطينية» و«مكتب اتحاد الجمعيات الخيرية»، وهناك مراكز تابعة لبيت الشرق لكن مقرّاتها خارج بيت الشرق، قد تمّ إغلاقها أيضاً.

سطو على وثائق بيت الشرق

جميع مقتنيات بيت الشرق من وثائق تمّ مصادرتها وتضم: ملفات على نوعين. ملفات «مكنترة» على الأجهزة، حيث صودر سبع وخمسون جهاز كمبيوتر، تحتوي على ملفات ضخمة، وكاملة لمختلف المراكز. كذلك تم مصادرة أرشيف الوثائق التاريخية بالكامل.. ومصادرة مقتنيات مركز الجغرافيا والخرائط بالكامل، ومصادرة أرشيف المعلومات الصحفية، والسطو على كافة وثائق مركز العلاقات الدولية أيضاً بالكامل ـ وجسب محامي بيت الشرق ـ لم يبق في المبنى سوى الأثاث المكتبي.

أما حول إمكانية التعويض.. أو الخطورة التي تمثّلها مصادرة هكذا وثائق فليس هناك معلومات سرّية وإنما الخطورة هي في مجمل هذا النهج الذي يمنع تقديم الخدمات الخاصة بقضايا المواطنين المقدسيين، ويصادر الملفات الخاصة بمشكلاتهم.. ولابد من تحرّك قانوني لاسترداد هذه المقتنيات.

تهويد القدس

مسألة تفريغ القدس من المؤسسات الفلسطينية.. وتهويدها هو نهج دائم بالنسبة لإسرائيل.. بإمكاننا القول: أن إسرائيل تقدّمت خطوة نوعية على هذا الطريق، بإغلاق بيت الشرق، والمؤسسات الفلسطينية الأخرى.

والدليل على ذلك هو تكثيف عمليات هدم المنازل بعد إغلاق بيت الشرق في مخيم شعفاط، وبيت حنينا، ومنطقة سلوان.. ومناطق أخرى في القدس. هذه الخطوة تصب في صميم عملية التهويد وخطوة ساعدت إسرائيل على الأرض، وخصوصاً أنه لم يعد هناك من مقر يتوجه إليه المواطن الفلسطيني لمعالجة هذه المسائل بشكلٍ مهني.

علاقة متوترة

لابد من الإشارة أن طبيعة العلاقة التي كانت تربط بين السلطة.. وبين بيت الشرق ما قبل الإغلاق.. هي علاقة توتر.. ومحاولة لفرض هيمنة النفوذ خاصة مع المراكز التي تعمل بالشؤون المهنية.. كمركز حقوق الإنسان، لأنه تحرّش كثيراً بانتهاكات السلطة. بعض مراكز بيت الشرق، كان له قواسم مشتركة مع مؤسسات السلطة ورغم أنه ليس امتداداً لها، لكنه على تقاطعات كثيرة معها، مثلاً عندما نتحدث عن مركز الخرائط والجغرافيا.. أو مركز الشؤون العامة والشؤون الاجتماعية فهذه المراكز لها علاقات وتنسيق مع وزارة الشؤون الاجتماعية.. أو وزارة الإسكان، وعندما نتحدث مثلاً عن مركز العلاقات الدولية، فلابد أن يكون له علاقة مع مكتب الرئيس عرفات، أو مكتب شؤون المفاوضات العليا.. لاسيما وأن رأس بيت الشرق (الراحل الحسيني) كان له الكثير من المشاحنات مع القيادة السياسية الرسمية للسلطة الفلسطينية، وكان هذا ينعكس بدوره بشكلٍ أو بآخر على بيت الشرق كمؤسسة، وخاصة من الناحية المالية، وليس سرّاً أن فيصل الحسيني ترك بعد وفاته ديوناً على بيت الشرق تقارب ٤,٥ مليون دولار حسب تقرير القسم المالي، مديناً بهم لبنوك وأشخاص. وهذا المبلغ يدلّل على حجم المسؤوليات، والعمل الكبير الذي يقوم به بيت الشرق.

أما من جهة العلاقة مع القوى والفصائل الأخرى، فيجب القول: أن الكثير من العاملين في بيت الشرق هم من كوادر، وحتى قيادات بارزة في الأرض المحتلة من مختلف المشارب السياسية، وتنتمي لكافة الفصائل والتنظيمات الفلسطينية.. خاصة وأن بيت الشرق يحظى باحترام مختلف هذه القوى للدور الهام الذي يقوم به باعتباره، شكّل عنواناً حقيقياً لكافة القوى الوطنية، والحركة الوطنية الفلسطينية في مدينة القدس.

وعندما كان الراحل الحسيني يتصل بأي وفد أجنبي أو عربي كان يعمد إلى تشكيل وفد وطني من كافة الاتجاهات لكي يلتقي هذا الوفد أوذاك، أو هذه المؤسسة أو تلك.

يجب أن نعلم أن بيت الشرق، كان بحاجة دائمة في عمله إلى كمية كبيرة من السيولة النقدية، كانت تصرف بشكلٍ رئيسي على ثلاثة قطاعات هي: القطاع الصحي، وقطاع ترميم المنازل بما في ذلك شراء بعض المنازل، لمنع تسرّبها لإسرائيل، وإسكان مواطنين عرب فيها.. وقطاع الدراسات والأبحاث.

وإذا علمنا أن عدد العاملين فيه يصل إلى مائة وخمسين شخصاً بين عامل وموظف وباحث.. فالميزانية المخصصة من م.ت.ف لا تكفي لتغطية الرواتب.

هناك مصاريف جارية، خيالية لهذه المؤسسة، وليس سرّاً أن التبرعات التي حصل عليها الحسيني، أو غيرها لم تكن تأتي مباشرةً إلى ميزانية بيت الشرق. وإنما إلى ميزانية السلطة، أو م.ت.ف، ومن ثم الأخيرة تمنح لبيت الشرق ميزانية، وكما هو معروف فالسياسة المتبعة تجاه صرف الميزانيات هي سياسة معقدة جداً، تتعلق بالمواقف السياسية والمهنية وأحياناً ترتبط بسياسة فتح «الحنفية» أو إغلاقها.

حاول الراحل فيصل الحسيني، في زيارته الأخيرة للكويت، الحصول على مساعدات مباشرة لتمويل مشروعه الذي رعاه بيت الشرق والقائل: «اشتري زمناً.. في القدس» لكن القدر لم يسعفه.

باختصار مدينة القدس، بمؤسساتها وعملها في أربع قطاعات فقط، هي بحاجة على الأقل إلى ثلاثين مليون دولار سنوياً.. فكيف بإمكاننا أن نترجم شعار: «اشتر زمناً في القدس»؟! في ظل هكذا ظرف؟! ■■

خمسون عاماً على الفراق القسري:

جيل النكبة يصف الزيارة بالمعجزة ويتمسك بحق العودة.. ويدعو لاستمرار الانتفاضة

تحقيق : عصام سلامة

لم يشهد العالم كله على مدار أكثر من نصف قرن مأساة أكبر وأكثر بشاعة وإيلاماً من مأساة الشعب العربي الفلسطيني، فطوال هذه الحقبة من الزمن والتي عانى فيها ولا زال يعاني من ويلات التشرد والضياع والغربة موزعاً في شتى أصقاع الأرض، وتحمل ولا زال يتحمل الكثير من الآلام والأحزان وحرم من أبسط الحقوق الدنية نتيجة اغتصاب وطنه فلسطين في العام ١٩٤٨، وبعد غياب البهجة والفرح وتشتت وتبعثر العائلات طوال هذه الفترة من الزمن عادت الفرحة من جديد لترتسم على وجوه العشرات بل المئات من الناس الذين كانوا محتشدين في «كراج البرامكة» بدمشق مؤخراً، حين جاءت لحظة اللقاء الأول الذي جمع بين الأهل والأقارب من أبناء الشعب الفلسطيني في سوريا وأهلهم وذويهم من فلسطينيي الوطن المحتل في العام (٤٨م)، هذا اللقاء الذي جسد جانباً مهماً من هذه المعاناة، وكشف بشكل واضح لا لبس فيه زيف الإدعاءات الإسرائيلية عن الديمقراطية وحقوق الإنسان؟!، وأحيا لدى العديد من أبناء شعبنا في الشتات الأمل من جديد في العودة إلى وطنهم المغتصب فلسطين، كما أعطى في الوقت ذاته صورة واضحة وجلية عن مدى عمق المشاعر الإنسانية النبيلة التي يختزنها شعبنا الفلسطيني عبر هذا المشهد الإنساني الذي لا يمكن وصفه هنا بالكلمات فقط فهذه الحالة الوجدانية الإنسانية الرائعة كانت بصدق بمثابة عرس شعبي حقيقي وحميمي جداً اختصر المسافة بين الحلم والواقع.

وفجأة تقع المعجزة.. ويتحقق الحلم أخيراً..بعد أن كان في حكم المستحيل وتم إعادة التواصل الإنساني بين الأهل بعد انقطاع قسري دام أكثر من (50) عاماً هي عمر النكبة، وليشكل هذا الحدث التاريخي الإنساني نقطة تحول هامة في حياة شعبنا الفلسطيني وخاصة في مخيمات اللجوء في سوريا، ويستمر التواصل الإنساني من خلال هذه الزيارات التي تمت عبر دفعات متتالية وعلى مدار ما يقارب العام، وكل دفعة عبارة عن حافلة ركاب كاملة تضم حوالي خمسين شخصا وقد تسنى لعدد كبير من فلسطينيي المخيمات في سوريا مشاهدة بعض أقاربهم في الوطن المحتل من العام 48م، وكانت هذه اللقاءات بمثابة أعراس شعبية عائلية اختلطت فيها مشاعر الألم والحزن والتشرد والحرمان بمشاعر البهجة والسرور والفرح العارم .

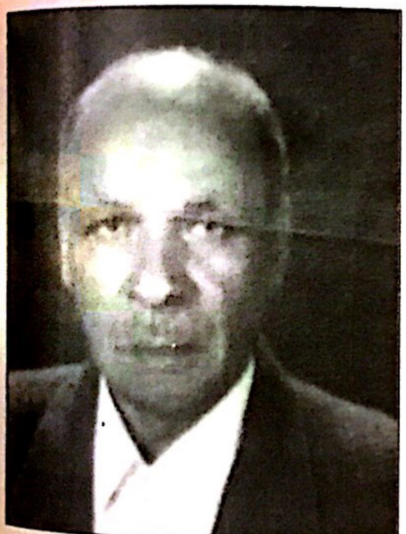
ونظراً لأهمية هذا الحدث سواء من الناحية الوجدانية الإنسانية أو من الناحية السياسية الكفاحية، قامت مجلة" الهدف" بإجراء تحقيق صحفي على هذا الموضوع الهام وتسليط الضوء عليه، وحاولنا جاهدين أن يكون هذا التحقيق شاملا لمعظم المخيمات الفلسطينية في سوريا ، ولكن نظراً لضيق الوقت وبروز بعض الصعوبات الفنية الطارئة.. اكتفينا بإجراء بعض المقابلات مع أفراد يمثلون أهم المخيمات والتجمعات الفلسطينية في سوريا. وقد أتيحت لنا أيضاً فرصة اللقاء ببعض الأخوة الزائرين من الدفعة الأخيرة التي زارت سوريا في بداية شهر آب (اغسطس) الحالي، الذين عبّروا لنا عن سعادتهم العميقة لزيارة أهلهم في سوريا وشكروا القيادة السورية بشكل خاص على هذه الخطوة الهامة والإيجابية وعلى كرم الضيافة والاستقبال الحافل الذي قوبلوا به .

وتوجهنا إلى أقارب الزوار بالسؤال التالي:

■ على ضوء الزيارة الأولى لأقاربكم من فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، وبعد غياب قسري دام أكثر من (٥٠) عاماً هي عمر النكبة، ما هو انطباعك عن هذه الزيارة لحظة هذا اللقاء..؟، وهل ترى آفاقاً قريبة للعودة إلى الوطن المغتصب فلسطين، أرض الآباء والأجداد.. خاصة بعد اندلاع انتفاضة الأقصى المجيدة؟

وفيما يلي إجابات هذا الاستطلاع

السيد: حسين اسماعيل حسين العمر (٧٣) عاماً.



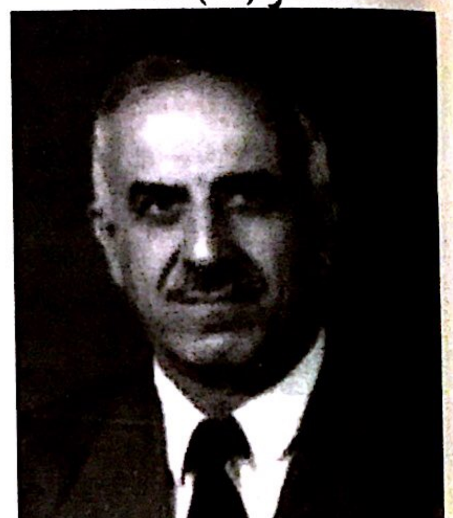
الإقامة الحالية: مخيم سبينة بالقرب من دمشق، البلد الأصلي: قرية تليل/ قضاء صفد/ الجليل.

الزائر: ابن العم/ أحمد محمد الخطيب - العمر (٧٠) عاماً ـ فلسطين

□□ عندما علمنا بخبر وصول أقارب لنا من فلسطين العام ١٩٤٨م، أصابتنا الدهشة وكاننا في حلم.. فرحتنا كانت كبيرة جداً حتى قبل اللقاء بهم.. وفي يوم وصولهم إلى دمشق، كان اللقاء مؤثراً جداً وحميمياً.. وحينها تملكتنا مشاعر لا توصف.. من فرح وحزن ودموع وبكاء وكأننا أمام عرس شعبي كبير ودامت زيارتهم لنا مدة أسبوع، وأقاربنا كانوا من الدفعات الأولى التي زارت سوريا، ربما الدفعة الثانية أو الثالثة على أكثر تقدير، وكانت كل دفعة مكونة من (50) شخصاً تقريباً.

اما بالنسبة لموضوع العودة إلى فلسطين.. فانا شخصياً مؤمن بحق العودة وعندي أمل كبير بالعودة إلى وطني فلسطين، فنحن قوم جبارون وشعبنا الفلسطيني شعب مكافح.. لذا لابدّ من العودة إلى فلسطين.. طال الزمان أم قصر.. وكل يوم يتعزز أملنا بالعودة.. خاصة بعد اندلاع انتفاضة شعبنا البطل في فلسطين وتقديم شلالات الدم من الشهداء يومياً وبإذن الله سوف ننتصر على العدو الصهيوني.. وهذا يتطلب من الدول العربية تقديم المزيد من الدعم المادي والمعنوي للإنتفاضة ونحن مستعدون للجهاد في سبيل فلسطين والقدس.

السيد: محي الدين عيسات العمر (٥٧) عاماً



الإقامة الحالية: دوما بالقرب من دمشق ـ

البلد الأصلي: قرية عيلبون ـ قضاء طبريا ـ فلسطين.

الزوار: ابن العم عبد الله عيسات وزوجته علياء

الزيارة تمت في شهر شباط ٢٠٠١م

□□ غادرتهم طفلاً وقابلتهم كهلاً..

كان حلماً فخاطراً فاحتمالاً.. ثم أضحى حقيقة لا خيالاً. لقاءٌ جمع الأهل والأحبة بعد غياب استمر أكثر من خمسين عاماً.. تلاقت به الأرواح قبل الأجساد... حبسنا الدمعة في العيون.. والضحكة في الشفاه.. والنبضة في العروق.

تعانق الأحباب وامتزج الخوف مع الفرح واليأس مع الأمل..

لقد حضنّا الوطن.. ما أروع أن يحتضن الوطن؟!

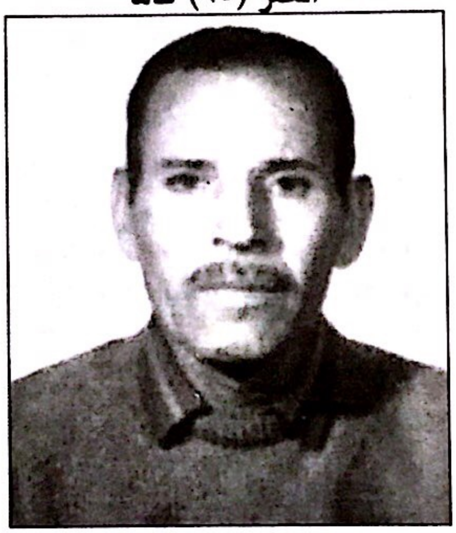
وكانت أسئلة كثيرة تطرح نفسها:

كيف حال الأهل والجوار؟... كيف حال الأرض والديار؟ ماذا حلّ بدارنا وزرعنا في عيلبون؟ وكيف أصبحت أشجار التين والزيتون؟ حدّثنا أيها الغائب العزيز عن أرضنا.. عن أهلنا عن أجدادنا عن مقدساتنا.. وإليك أيها الحاضر الغائب بعضاً من مشاعرنا:

فمنذ فارقناكم لم يجف الدمع من مآقينا.. وفي كل يوم الأمل يكبر فينا.. على أن نلقاكم فوق ربوع رَوابينا.. فمع كل رمية حجر، مع ضربة مقلاع، مع زغرودة أم ثكلى، مع كل قطرة دم تنزف على أرض فلسطين.. هم سوف يرحلون.. وإننا سوف نبقى... والألم والأحزان وآثار النكبة سوف تمحى.. وتعود إلينا القبة والأقصى.

وبعد أيام قلائل ودّعنا أقاربنا والغصة في الحناجر.. والدمعة في المقل والأمل في النصر والعودة يكبر.. ويكبر.. ويكبر..

السيد: أحمد خليل جنداوي العمر (٦٥) عاماً



الإقامة الحالية: مخيم اليرموك بالقرب من دمشق

البلد الأصلي: غابة شفا عمر ـ قضاء حيفا ـ الجليل ـ فلسطين

الزوار: أخي إبراهيم الخليل (٧٥) عاماً وزوجته

□□ بعد انقضاء وقت طويل من الانقطاع بيننا وبين الأهل في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م، دام أكثر من (٥٢) عاماً، شعوري بالفرح كان لا يوصف.. شعورٌ اختلطت فيه مشاعر مختلفة.. كنا نبكي ونضحك في نفس الوقت.. بدأت هذه المشاعر تنتابنا منذ يوم ٢٠٠١/٥/٢٣م الماضي، عندما اتصل بنا الأهل من الداخل وقالوا لنا بأنهم سوف يصلون إلى دمشق غداً مساءً، وفوراً أخبرنا كل عائلة الجنداوي وتوجهنا في الموعد المحدد إلى كراج البرامكة، وكان مشهداً إنسانياً رائعاً حيث تجمع عشرات بل مئات من الناس بانتظار أقاربهم، وعند وصول الحافلة التي تقل الأهل الذين جاءوا من فلسطين، بدأت الزغاريد ومشاعر كبيرة من الفرح والبكاء تعم الأهالي حيث حملوا أقاربهم على الأكف وبدأوا بالهتافات لفلسطين.. كانت فعلاً لحظات مؤثرة جداً.. لحظات لا يمكن وصفها بالكلمات أبداً.. وبهذا الخصوص نشكر القيادة السورية والدكتور عزمي بشارة الذين ساعدوا في تحقيق هذه اللحظات الإنسانية الرائعة في تواصل العائلات بعد انقطاع طويل.

وبالنسبة للشق الثاني من السؤال: نحن على يقين تام بأن العودة إلى فلسطين سوف تتم إن عاجلاً أم آجلاً.. لأننا أمضينا حياتنا كلها في كفاح من أجل العودة إلى وطننا واسترجاع أرضنا وحقوقنا الوطنية من العدو الصهيوني.. فمثلاً: أبي مات هنا في سوريا ولم يتمكن من العودة إلى فلسطين وأنا ربما أعود إلى فلسطين وربما لا أعود.. لكن المهم أن ابني سوف يعود أو ابن ابني.. الخ، والانتفاضة الحالية في فلسطين زادت الأمل في النصر على العدو والعودة إلى فلسطين، أما ما يقال عن التعويض.. فهذا كلام فارغ لا معنى له، لأننا نريد العودة لا التعويض لأن الوطن لا يباع.. عائلتنا قدمت العديد من الشهداء وشعبنا قدم آلاف الشهداء وهذا كله من أجل العودة إلى فلسطين لا من أجل التعويض ؟!، والانتفاضة لابد من استمرارها حتى نحقق أهدافنا الوطنية في دحر الاحتلال وإقامة دولتنا الوطنية المستقلة.

السيد: شحادة محمد شحادة ـ العمر (٤٨) عاماً.

الإقامة الحالية: مخيم السيدة زينب ـ حجيرة بالقرب من دمشق.

البلد الأصلي: عرب الزنغرية ـ قضاء صفد ـ فلسطين.

الزوار: أبناء العم أحمد علي الأسعد ومحمود شحادة ومحمد علي جمعة وآخرون.

□□ استمرت دفعات الحب والشوق والحنين بين الأهل من داخل الوطن وخارجه تتواصل بفضل المساعي الخيّرة للدكتور عزمي بشارة مع سوريا بقيادة الرئيس الراحل حافظ الأسد ومن بعده الرئيس بشار الأسد، والتي تركت أثراً طيباً جداً لدى شعبنا العربي الفلسطيني في سوريا.. وبهذا الخصوص لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من ساهم في هذه المبادرة الإنسانية الطيبة. فالحنين إلى الوطن والأهل في فلسطين حمله والدي على مر الزمان بأشكال متعددة وكان حلم والدي لقاء الأهل والعودة إلى فلسطين.. وشاء القدر أن يتوفاه الله قبل أن يحقق حلمه في رؤية الأهل... فحفظت الأمانة من بعده وقمت باستقبال أهلنا نيابة عنه.. فكان لقاءً حميمياً تعانقت فيه الصدور والأعناق بين أبناء



عرب الزنغرية وفرحة لقاء الأهل

العشيرة، واختلطت مشاعر الحرمان والتشرد والغياب بمشاعر الفرح والسرور في هذا اللقاء الوجداني الرائع الذي جمع كل العشيرة والجيران من أبناء فلسطين والجولان.

إن اندلاع الانتفاضة الأخيرة هي المعبّر الحقيقي عن إرادة شعبنا الفلسطيني داخل وخارج الوطن، ولهذا فهم يحملون الآن عبئاً كبيراً في الدفاع عن حقوقنا الوطنية وفي مقدمتها حقنا التاريخي في العودة إلى فلسطين باعتبارهم يشكلون الخندق الأمامي للأمة العربية التي تتطلع إلى صمودهم الأسطوري الباهر والذي يسجل في هذه الأيام أروع ملاحم التضحية والبطولة أمام همجية العدو الصهيوني وعنصريته الفاشية وما يقوم به يومياً من قتل وتدمير وإرهاب بحق شعبنا الفلسطيني وذلك بهدف محاولة طمس الحقائق التاريخية والقومية والوطنية والدينية في فلسطين، ولكن إرادة شعبنا في الصمود والتصدي أقوى من طغيان العدو، وأن استمرار النضال هو وحده الكفيل بتحقيق أمانينا الوطنية في التحرر والاستقلال والعودة.

السيد: صلاح غميرد ـ العمر (٥٦) عاماً

الإقامة الحالية: مخيم اليرموك قرب دمشق.

البلد الأصلي: قرية سمخ ـ قضاء طبريا ـ فلسطين.

الزوار: أولاد العمة أمينة وإبراهيم مالك وإخوته وبعض من بنات عمومته.

الزيارة: هي الدفعة الأخيرة التي وصلت إلى دمشق في شهر آب الحالي.

□□ قال الشاعر:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما
يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

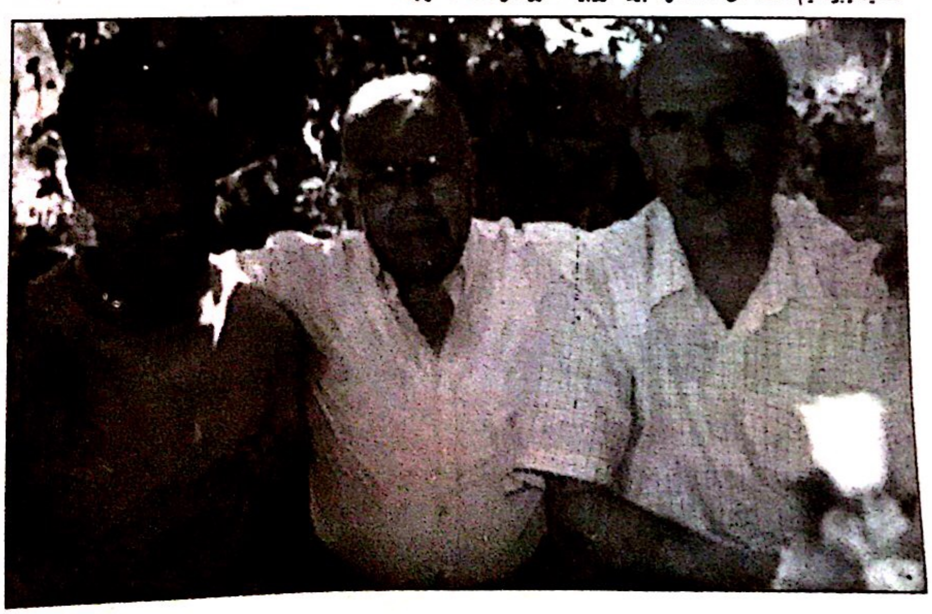
غادرت سمخ مسقط رأسي في فلسطين وأنا طفل صغير، وعانيت من مشاعر الغربة ومرارة الفراق.. لأن الأسى يعصر قلب الإنسان عندما يشعر أنه محروم من وطنه وأن أقارب له يخضعون تحت ظل الاحتلال..

وبعد يأس قاتل.. فجأة يفتح عينيه على حقيقة غير متوقعة أن يرى أقاربه بعد مرور أكثر من نصف قرن، فإذا بي أشعر بفرحة ودمعة تسيل من عيني وغصة تحجز الكلمات فتتلعثم شفتاي بكلمات مضطربة بسبب وقع المفاجأة غير المتوقعة، هل حدثت المعجزة؟!، نعم، فالتقيت بأبناء عمتي، كنت أسمع أنهم في مثل سني، كانوا أطفالاً، ولكني أراهم كباراً رجالاً بل أجداداً شابت رؤوسهم وتجعدت قسمات وجوههم.. كيف حدث هذا؟ هل غفل الزمان عنهم؟ أم أنّي كنت أعيش في كابوس؟! نعم إنه كابوس الغربة والاحتلال والتشرد.. إذ تفتحت عيناي على انتهاء كابوس مرعب لاحقني أكثر من (٥٠) عاماً، وفتحت ذهني على الواقع الجديد الذي فرض على الاحتلال تخفيف بعضاً من قيوده على الأهل جزئياً.. مع استمرار التهديد.. وهذه التبدلات بسبب الانتفاضة التي حققت توازناً مع العدو وعزته أمام العالم.. فلا هو راغبٌ بالسلام.. ولا هو قادرٌ على استمرار فرض هيمنته.. وتكشّف وجه العدو الصهيوني الحاقد الدموي على حقيقته العنصرية أمام العالم أجمع.. وهذا أحيا في نفسي مشاعر التفاؤل بالمستقبل وزيارة الأقصى والعودة إلى الوطن ولقاء الأهل والأقارب.. وبشّر الصابرين.

السيدة: كاملة أحمد البيك
العمر (٧٠) سنة



السيد إبراهيم مالك من الناصرة بين قريبيه غميرد وأحد الأقارب.





الإقامة الحالية: حمص ـ مخيم العائدين

الزوار: اثنان من أبناء العمومة.

□□ لم أكن مصدقة عندما سمعت أن ابن عمي وإبنة عمي قد وصلوا إلى سوريا قادمين من أرض الوطن من فلسطين من ترشيحا عروس الجليل، إثنان وخمسون عاماً تفصل بيننا، وفجاة يتلاشى الزمان وكأن اللجوء قد انتهى في لحظة التوحد بيني وبين أهلي القادمين من الوطن المحتل، وكأن ترشيحا كلها قد التقيتها بلقاء الأهل، بهذا اللقاء كأنني عُدت إلى ترشيحا حارة حارة، شارعاً شارعاً، بيتاً بيتاً، حجراً حجراً، زيتونة زيتونة، جامعاً وكنيسة ومدرسة.

إن لقاء الأهل هذا هو بمثابة تغذية الأمل المكنون في صدورنا بأن العودة إلى أرض الوطن قادمة لا محالة.. فإن لم أعد أنا فسوف يعود أولادي أو أحفادي، ففلسطين بالنسبة لنا هي في تركيب الدم الذي يجري في عروقنا.. والانتفاضة التي يعيشها شعبنا اليوم هي انتفاضة فلسطين كل فلسطين، فهي انتفاضة الاستقلال والعودة، وأن هذه الانتفاضة اختصرت زمن العودة لأن شعبنا توحّد من أرض العام ٤٨م إلى أرض الضفة والقطاع إلى شعبنا في الشتات، الذي يؤكد بنضاله اليومي المستمر على تمسكه بأهدافه الوطنية المشروعة في إقامة الدولة الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس.

وقد علمتنا التجارب أن العدو لا يفهم سوى لغة القوة، وعلى أمريكا وإسرائيل أن تعي أنه لا أمن ولا سلام ولا استقرار في المنطقة إلا بالإقرار بحقوقنا الوطنية المشروعة وعودتنا إلى فلسطين أرض الآباء والأجداد.

السيد: جمعة خالد الشامي
العمر (٦٥) عاماً

الإقامة الحالية: حلب ـ مخيم النيرب.

البلد الأصلي: عكا ـ فلسطين

الزائر: أخي محمد الشامي ، العمر (٧٥) عاماً ـ عكا ـ فلسطين

□□ بعد انقطاع مع الأهل في فلسطين لأكثر من (٥٠) عاماً، لقد كانت فرحتي لحظة اللقاء مع أخي لا توصف، حيث أنني لم أكن أتأمل أن أرى أخي، دموعنا كانت تنهمر من قلوبنا حينما رأيناه، وكذلك الفرحة كانت لا تقدر.. من شدّة الشوق والحب والحنين للأهل في فلسطين حتى انني كدت لا أصدق عيناي من وقع المفاجأة السارة وإن انتفاضة شعبنا البطل في فلسطين بعثت فينا الأمل من جديد بالعودة إلى فلسطين ونامل ان تستمر وتتصاعد في مقاومتها للاحتلال الصهيوني العنصري، كما وأنني أرى ضرورة أن تتوحد كافة القوى الوطنية الفلسطينية فنحن نريد وحدة ميدانية ووحدة سياسية ونطالب القيادة الرسمية بالإقلاع عن نهج المساومات والمفاوضات غير المجدية مع العدو الصهيوني كما أننا بحاجة ماسة لدعم عربي حقيقي وفعال لانتفاضة شعبنا الفلسطيني البطل حتى دحر الاحتلال وتحقيق حقوقنا الوطنية في التحرر والاستقلال والعودة ■■

اضراب عن الطعام واعتصام تضامني في دمشق

تحقيق: إلهام الحكيم

إجراءات إسرائيلية متشددة.. قمع وإرهاب.. مجازر إبادة جماعية بحق الشعب الفلسطيني (الطفل والشيخ.. الرجل والمرأة).. حصار على البشر والحجر وتقطيع الشجر.. منع الأغذية والأدوية والأموال من الوصول لأبناء فلسطين كل هذا دفع مجموعة من الشباب الفلسطينيين في سوريا لإعلان الإضراب المفتوح عن الطعام اعتباراً من يوم ٩/٤/٢٠٠١، وقد حدد المضربون مطالبهم في بيان طالب الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان بإدانة العدوان الإسرائيلي على الأطفال الفلسطينيين والعمل على الإفراج عن المعونات الطبية والمادية المحتجزة لدى قوات الاحتلال، وتنفيذ قرارات الشرعية الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية خاصة منها ما يتعلق بحقوق الطفل.. ومنذ اللحظة الأولى للإضراب تداعت اللجان الوطنية الفلسطينية المستقلة لدعم الانتفاضة لتشكيل لجنة تضامن مع المضربين وتوافدت اللجان والفعاليات والهيئات السورية والفلسطينية المختلفة معلنة تضامنها مع المضربين وتأييدها لمطالبهم العادلة في حماية الشعب الفلسطيني الذي يواجه أدوات القتل والدمار الأمريكية الصهيونية، وأكد البيان التضامني الذي وقعته عشرات اللجان والروابط والمنظمات السورية والفلسطينية على استمرار الانتفاضة حتى دحر الاحتلال الصهيوني وتحقيق مطالب الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

كما طالب البيان الأمة العربية والإسلامية بعدم التفريط بالمقدسات، والعودة لحالة الغليان التي ظهرت في بداية الانتفاضة والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني ودعمه بكل الوسائل، وعدم تركه وحيداً في معركة الإبادة الجماعية التي لم يسلم منها حتى الأطفال والشيوخ والنساء والمقدسات.. بقعة ضوء نلقيها على مطالب المضربين والمتضامنين في هذه اللقاءات:

- الأخ يوسف فخر الدين.. مضرب عن الطعام: عامل

هذا الاضراب نتاج حركة عامة بالساحة الفلسطينية، أنتجت خلال الفعاليات التضامنية مع الانتفاضة.. هذه الفاعلية دفعت العديد من الناس لتطور وعيهم وعلاقتهم بالنضال السلمي وحق العودة.. ومنذ اللحظة الأولى للإضراب كان لابد من الشارع السوري والفلسطيني التفاعل مع الحدث بمستوى متميز ويزداد هذا التفاعل يوماً بعد يوم مما يزيدنا إصراراً على متابعة الإضراب حتى تحقيق المطالب المحددة بالبيان.. مع الإشارة إلى أن أكثر من ٢٠٠ شاب سوري وفلسطيني طلبوا الانضمام للإضراب لكن ضيق المكان حال دون ذلك مؤقتاً.. نحن نخوض تجربة جديدة ومتميزة ويتطور التعامل والتفاعل مع التجربة يوماً بعد يوم مما يرفع معنوياتنا للتواصل والاستمرار..

- **يداً بيد لإعطاء أطفال فلسطين فرصة للحياة.**
- **هيئة الأمم المتحدة وأمينها العام على المحك..**
- **الاضراب صرخة بوجه العالم ومؤسساته الشرعية..**
- **لتفق الشعوب العربية والإسلامية وأنظمتها من السبات قبل فوات الأوان..**
- **لتتوقف الإبادة الجماعية بحق الشعب الفلسطيني..**
- **أمريكا وإسرائيل صنوان لا يختلفان**
- **إرادة الشعوب لابد ستنتصر**

- الأخ عامر حمد، مضرب عن الطعام.. صحفي

مع نهاية الأسبوع الأول من الاضراب ماذا تقول؟!

في الحقيقة لم أكن أتوقع بالبداية إمكانية الصمود بهذا الشكل في وجه حرب الأمعاء لهذه المدة، لكن مع مرور الأيام أشعر مع إخواني المضربين عن الطعام بأننا أكثر قوة وقدرة على الاستمرار، فاليوم أفضل من الأمس، خاصة وأن الالتفاف الجماهيري والتفاعل الشعبي مع هذه التجربة الإضرابية ألقى على عاتقنا مسؤولية كبيرة بضرورة الاستمرار حتى تحقيق مطالبنا الداعمة لشعبنا بالداخل.. والمسؤولية تتمحور بضرورة التمسك بالشعار الأول /الإضراب المفتوح/ والتمسك بمطالبنا الإنسانية فنحن سنبدأ بالعمل بوسائل جديدة لمحاصرة العدو الصهيوني الذي لا يتوانى عن اتباع كافة الأساليب الإرهابية ضد شعبنا ثم يتحدث بالتعايش السلمي.. بينما نحن لا نمارس الحرب ولا السلم بالشكل الأمثل، فلنفتش عن الوسائل التي تدعم قضيتنا العادلة..

بعيداً عن الشعارات والخطب والمؤتمرات!!

الشاب أمجد صالح أصغر المضربين

قال أن أمه أرضعته حب فلسطين وهو يهدي حياته للوطن.

الأخ خالد عليان، مدرب فرقة سرية رام الله الأولى للتراث الشعبي الفلسطيني

■ شاركت فرقتكم في مهرجان بصرى الدولي وها أنتم تتضامنون مع أخوة لكم يتضامنون مع انتفاضتكم الباسلة، إلى أي مدى التواصل بين الداخل والخارج؟

□□ مهما تحدثت فأنا عاجز عن نقل جزء مما نشعر به الآن، إن مجيئنا لسوريا الشقيقة واحتضاننا من قبل الإخوة السوريين رفع معنوياتنا كثيراً خاصة ما لمسناه من تفاعل خلال الحفلات التي أقمناها في بصرى ودمشق كما أن وجودنا مع أهلنا الفلسطينيين المتواجدين في سوريا أعطانا شحنة كبيرة سنحملها للوطن للاستمرار بعطائنا، فنحن نرى أن المسؤولية كبرت وواجبنا تضاعف من



صورة جماعية للشباب المضربين.

أجل تكثيف النضال لتحرير فلسطين وتحقيق العودة لكل لاجئ فلسطيني في الشتات.. وما رأيناه اليوم يعتبر كبيراً بالنسبة لنا.. فمن يتحمل الجوع من أجل فلسطين فهذا يعني استعداده للتضحية بشكل أكبر. ونأمل عما قريب من خلال نضالنا ونضالهم في الداخل والشتات أن نحقق أمانينا المشتركة في الحرية والعودة والاستقلال ورفع علم فلسطين فوق مآذن وكنائس القدس..

هذا علماً أن أعضاء الفرقة زاروا المضربين عن الطعام تضامناً معهم قبل مغادرتهم سوريا في طريق العودة إلى فلسطين..

ـ الأخت ميساء لبيب.. راقصة شعبية بفرقة رام الله..

نحن نتضامن مع إخواننا المضربين عن الطعام ونتمنى لهم القوة والصحة والعودة مع أهلنا للوطن.. وطبعاً استمرارهم بالاضراب يوضح حقيقة الشعب الفلسطيني وقدرته على النضال وقوته وتضحيته في سبيل فلسطين.. عندما أتيت إلى سوريا شعرت أنني بين أهلي وأننا لسنا وحدنا الذين نعاني من الاحتلال فالضغوط الإسرائيلية على شعبنا أينما وُجد وأنكم في الخارج تعانون من هذه الضغوط، وسوف تكون المقاومة مستمرة بكل الأشكال أينما كنا فشعبنا واحد وقضيتنا واحدة وفلسطين لشعبها.

ـ الأستاذ عمر فالوجي ـ متضامن. مدرس متقاعد:

منذ اللحظة الأولى للإضراب تم تشكيل لجنة متابعة يومية للتواصل مع الإخوة المضربين والوفود المتضامنة التي تتزايد باستمرار، ونحن نعتبر أن رسالة المضربين تتفاعل بإيجابية في الشارع السوري والفلسطيني ونأمل تجاوزها للحدود وانتقال هذا الشكل من العمل للشارع العربي، كما نأمل المزيد من هذا الاهتمام الإعلامي من الفضائيات العربية لتسليط الضوء على الإضراب ونقل مطالبنا إلى العالم العربي والإسلامي والدولي، والهيئات الدولية لتنفذ قراراتها، فالإعلام جزء هام وأساسي من المعركة مع العدو الذي يجيد هذه الحرب وعلينا مجابهته بالمثل.

ـ الفنان سميح شقير.. متضامن

حضرت للتأكيد على تضامني مع الشباب الرائعين الذين يعيشون بأعماقهم كل جراحات شعوبهم، ونؤكد لهم أن الكثيرون جداً من الشباب معهم وهم في قلوبهم وما يفعلوه الآن أشبه ما يكون بأغنية جميلة للوطن.. سلوك الشباب وإصرارهم وعنادهم لإيصال صوت شعبهم للعالم بهذا الشكل سيكون مؤسساً لمستويات متعددة من التعبير عن الهمّ الذي نعيشه ورسالة ضاغطة على الهيئات الدولية.. وأيضاً نؤكد على وعي الشباب لاستنفاذ كافة الوسائل الممكنة للضغط على العدو الصهيوني لوقف جرائمه ضد شعبنا ويثبت للرأي العام العالمي الذي لا يقدم على شيء ملموس بأننا أصحاب حق لكن على المدى الطويل سيرفع وعي المواطن الأمريكي والأوروبي ليرى الحقيقة بتجرد..

هذا وبالإضافة للوفود الشعبية والرسمية المتضامنة مع المضربين فقد وصلت العديد من رسائل التضامن هاتفياً من المناضلين في فلسطين والأردن وكندا وأبرزها من المناضل مروان برغوثي وأبو ليلى والمناضلة ليلى خالد، واللجنة الكندية الفلسطينية للتضامن مع الانتفاضة.

والجدير ذكره المساهمة المميزة والفاعلة للأطباء السوريين والفلسطينيين المتطوعين للسهر على صحة المضربين عن الطعام حرصاً على سلامة كل شخص فيهم لمواصلة دوره النضالي، وقد استدعت الحالة الصحية إسعاف بعض الحالات إلى المشفى لتلقي العلاج بسبب تدهور الوضع الصحي، مما زاد الشعب إصراراً على مطالبهم ومواقفهم ولو أدى ذلك لرحيلهم جميعاً.

إن القلم عاجزاً عن نقل كل المشاعر والأحاسيس التضامنية فالقلوب النابضة مفعمة بالحب والأمل بتحقيق المطالب الإنسانية العادلة لشعب آمن احتلت أرضه ومازال مصراً على النصر والتحرير وبناء دولته المستقلة وعاصمتها القدس.. ■■

أعمال الندوة السياسية بمناسبة مرور عام على الانتفاضة

بمناسبة الذكرى الأولى دعت مجلة الهدف إلى ندوة سياسية يشارك فيها بعض من قادة الفصائل الفلسطينية المتواجدين في دمشق في محاولة للإجابة على الأسئلة الإستراتيجية التي تطرحها الانتفاضة فلسطينياً وعربياً ودولياً.

ما هي الظروف التي أسست الانتفاضة؟ وكيف يمكن أن تستمر وتنتصر وماهي المخاطر التي تحيق بها؟.

تلك بعض من العناوين الهامة التي طرحتها ندوة الهدف واستضافت السادة: خالد عبد المجيد الأمين العام لجبهة النضال الشعبي ود. موسى أبو مرزوق عضو المكتب السياسي لحركة حماس ود. رمضان عبدالله الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين ود. طلال ناجي الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة والرفيق أبو علي حسن عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ود. ماهر الطاهر مسؤول الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خارج الوطن.

وأدار الندوة الزميلان جواد عقل رئيس التحرير ود. محمد أبو ناموس.

جواد عقل

يسر أسرة تحرير مجلة «الهدف» أن ترحب بالأخوة والرفاق قادة الفصائل الوطنية والإسلامية الفلسطينية وتشكرهم لتلبية دعوتنا لحضور هذا اللقاء بمناسبة الذكرى الأولى لانتفاضة الأقصى المجيدة، ونعتقد أن شعبنا بحاجة إلى أن يسمع رأياً فلسطينياً علمياً حول الانتفاضة. هذه الانتفاضة التي جاءت رداً على سياسة إسرائيل وعقم اتفاقات أوسلو ووصوله إلى طريق مسدود، جاءت لتعبر عن الرفض الشعبي الفلسطيني، ورغبة فلسطينية شعبية لمواصلة النضال حتى تحقيق الأهداف الوطنية الفلسطينية، لكن (كما تعلمون) هذه الانتفاضة جاءت في ظل ظروف عربية ودولية مجحفة وحتى فلسطينية بحق النضال الوطني الفلسطيني.

الآن: السؤال الكبير الذي يطرح نفسه، هل الانتفاضة الفلسطينية المجيدة والباسلة هي مرحلة من مراحل النضال الوطني الفلسطيني؟ أم أنها المرحلة الأخيرة التي ستمكن الشعب الفلسطيني وقواه الوطنية والإسلامية من تحقيق الانتصار؟ هذا سؤال بحاجة إلى إجابة من القوى الوطنية والإسلامية الفلسطينية. كذلك: هل الانتفاضة مرحلة من مراحل النضال الوطني الفلسطيني. يمكن أن تؤسس (رغم الحالة المخيفة والمجحفة للنضال الوطني الفلسطيني) لنقلة نوعية في النضال الوطني الفلسطيني يمهد الطريق لقدرة الثورة الفلسطينية على تحقيق الانتصار على هذا العدو الذي يملك ترسانة حربية هائلة وبمساندة ودعم الدولة الأولى في العالم وهي الولايات المتحدة، في ظل غياب دعم وإسناد حقيقي على المستويين الرسمي والشعبي العربي.. أي هل الانتفاضة لوحدها تستطيع الانتصار على هذا العدو.. أم أن الانتفاضة تؤسس أيضاً لبدايات نهوض شعبي عربي يمكن أن يضغط على الحالة العربية.. وبالتالي يأتي بثماره في مواقف عربية أكثر اقتراباً من الموقف الوطني الفلسطيني.. بمعنى.. أن يدفع العرب باتخاذ إجراءات ضد المصالح الأمريكية في المنطقة. وحتى لا يذهب النقاش بعيداً، نحن فضلنا أن نركز على ثلاثة (٣) محاور.

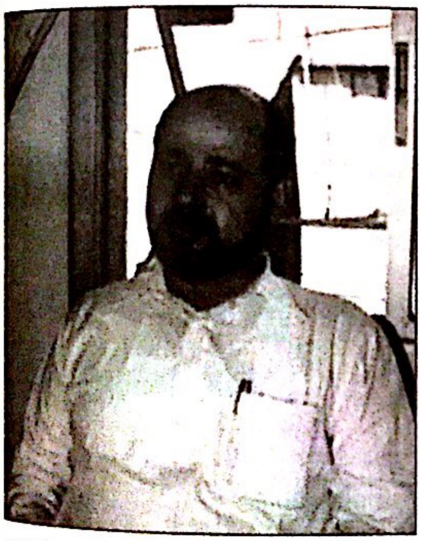
المحور الأول: الانتفاضة والحالة الفلسطينية.. والذي يتعلق بكيفية صيانة الانتفاضة وحمايتها؟ ما هي ثغراتها وما هي إيجابياتها.. ما هو الواقع الفلسطيني.. وهل هذا الواقع يمكن الانتفاضة بفعل ظروفها من أن تواصل مسيرتها وتحقق الانتصار؟

ونحن نعتقد بصراحة.. أن أي تطيّر في رؤية الانتفاضة يميناً أو يساراً يؤدي إلى إجهاض الانتفاضة.. ويؤدي إلى خسائر يمكن أن لا تحمد عقباها على الوضع الفلسطيني وعلى القضية الفلسطينية وعلى الحالة النضالية التي يعيشها شعبنا الفلسطيني.

لهذا نريد أن نسمع منكم، عن الانتفاضة والحالة الفلسطينية.

مثل: الوحدة التنظيمية ـ الوحدة السياسية ـ مقومات الانتفاضية ـ كيف يمكن أن نوفرها في ظل حالة الحصار الإسرائيلي وفي ظل وضع صعب.

د. موسى أبو مرزوق



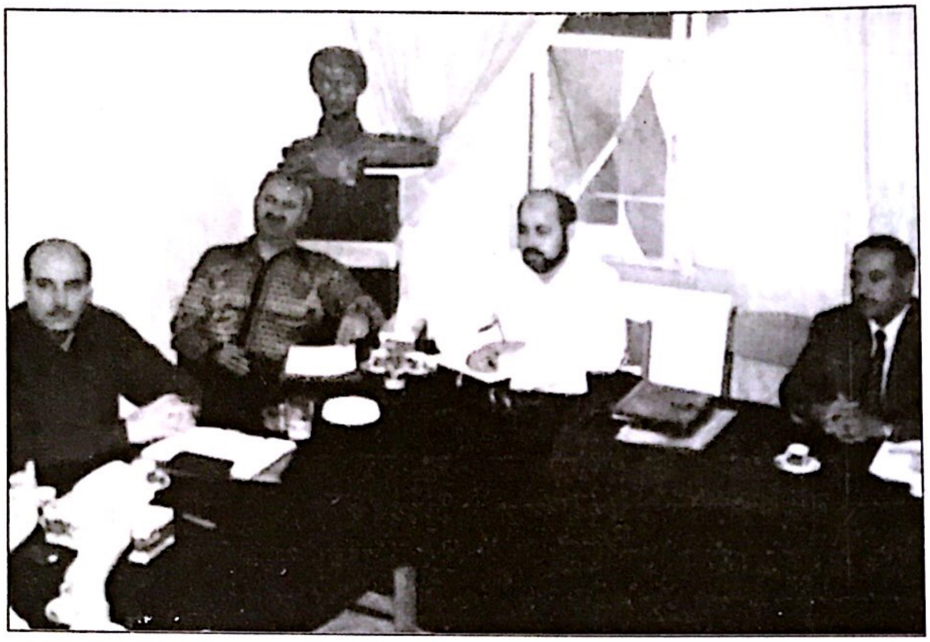
لاشك أن الانتفاضة «كحالة فلسطينية» لابد أن ناخذ في عين الاعتبار الأسلوب الذي تناولته الانتفاضة كحالة مواجهة مدنية عنيفة، مواجهة الاحتلال من ناحية، والوضع الفلسطيني العام من ناحية ثانية سواء أكان توزيعه الجغرافي أم توزيعه السياسي.. كل هذا أسهم بشكل أو بآخر في الانتفاضة شكلاً وموضوعاً، لكن المهم قبل الحديث عن موضوع الانتفاضة والحالة الفلسطينية أن نعرف بأن الانتفاضة لم تاتِ هكذا بدون مقدمات.. فمن أبرز مقدماتها موضوع التسوية أو السلام، موضوع التسوية جاء كمقدمة طبيعية للانتفاضة لأنه كان مجحفاً للغاية حيث وصل الفلسطينيون فيه إلى وضع في منتهى

السوء، فمن المعروف أنه قبل دخول المفاوضات مباشرة كان هناك رسائل اعتراف، رسالة الاعتراف التي دخلت بناءً عليها م.ت.ف أو الفريق الذي وقع اتفاقية أوسلو اعتراف بوجود إسرائيل، فهو دخل ابتداءً من المفاوضات وهو تارك (٨٠٪) لإسرائيل قبل أن يبدأ؟!، وبشكل مباشر إذن هو دخل المفاوضات على أساس أن يفاوض إسرائيل على الـ (٢٠٪) الباقية من فلسطين، فدخل بسقف أعلى ٢٠٪ وبالتالي كان وضعه منذ البداية في منتهى الحرج، دائماً عندما يدخل الإنسان في التفاوض يدخل بسقفه الأعلى، يدخل بتحرير كل فلسطين حتى يستطيع أن يحصل ٢٠٪، هذا دخل منذ البداية بـ ٢٠٪ من أجل أن يحرر كم من المساحة؟ الله أعلم..

- النقطة الثانية أيضاً، أن الحكومات الصهيونية في إطار مفاوضات السلام التي استمرت فترة من الزمان سواء أكانت السرية أم العلنية والتي استمرت حتى اللحظة كانت الخططات الإسرائيلية غير مجمّدة وتمشي بوتيرة أسرع لأنها أوقفت كل حركة الرفض الفلسطينية وصولاً إلى اتفاقيات أوسلو، وبدأت تعمل دون توقف وخاصة في مسألة الاستيطان فالطرق الالتفافية أخذت مساحات واسعة جداً أكثر من مساحة المستوطنات القائمة في الضفة الغربية، والقدس تغيرت معالمها، فقد وصلت مساحة الأراضي التي ضُمت إلى القدس حوالي ١٠٪ من مساحة الضفة أي حوالي (٥٥٠) كم2 من مساحة الضفة الغربية والتي هي (٥٥٠٠)كم2 بمعنى (١٠٪) من مساحة الضفة الغربية، فخلقوا وقائع جديدة على الأرض في ظل أيضاً المفاوضات نفسها التي كان من المفترض أن لا يحصل أي تغيير خلالها على الأقل.

- والنقطة الثالثة: في الحقيقة أن الأوضاع العربية كانت في منتهى السوء وغير مواتية للطرف الذي دخل التفاوض في ظل صمت عربي وصمت إسلامي وصمت أممي أو إنساني، هو دخل في أسوأ الحالات التي قد تكون داعمة للموقف الفلسطيني في التفاوض، إذن فهو دخل في هذه الحالة المتردية وبالتالي كان الوضع في منتهى السوء من حيث أنه كان من المفترض أن يدعم من خارج الإطار الفلسطيني وهذا لم يكن ممكناً، وكذلك هو دخل هذا التفاوض في أسوأ الأوضاع العالمية، حيث كان الاتحاد السوفييتي منهار، دخل وأوروبا كلها منصاعة للقرار السياسي الأمريكي، دخل وأمريكا في أوج انتصارها بمنطقة الشرق الأوسط بعد معركة الخليج الثانية إذن هو دخل هذه المفاوضات في أسوأ الأوضاع العالمية.

- النقطة الأخيرة: في مفاوضات التسوية أو السلام التي خاضها الطرف الفلسطيني المفاوض، «حيث الانتفاضة جاءت نتيجة لهذا



من اليمين: خالد عبد المجيد وموسى أبو مرزوق وطلال ناجي وماهر الطاهر.

الوضع السيء»، دخل إلى مرحلة التفاوض وهو معتمد على طرف واحد هو الطرف الأمريكي، والطرف الأمريكي في الحقيقة لم يكن طرفاً أمريكياً.. بل كان طرفاً إسرائيلياً بطريقة مهذبة وبوجه مبتسم وبضغط وبمال يستطيع ان يضغط مرة بالمال وأخرى بالقوة، فكان الموقف الأمريكي يحمل الرأس الإسرائيلي بلغة أمريكية وبالتالي دخل المفاوضات وهو معتمد على وسيط ليس نزيه ووضع كل أوراق القضية بيديه.؟! فهذا بالنسبة للمفاوضات التي فاوض بها.

هذا بالنسبة للسلام.. أما بالنسبة للمفاوضات: فهي أسوأ أيضاً فالمفاوضات بشكل عام فيها مضمون وفيها انطباع، المضمون يعتمد على ما أملك من قوة وما أملك من طريقة لعرض وجهة نظري في التفاوض. أما الانطباع فيعتمد على أشياء أخرى مثل: شكل إظهار نفسك. على الطريقة التي تقدم فيها نفسك للآخرين، أنا في المضمون، مضمون المفاوضات مختلف في النقاط التي ذكرناها سابقاً، وفي الانطباع أنا عارضت الشارع العربي كله.. ودخلت في مفاوضات مباشرة، أنا أسأل الشارع الفلسطيني منذ النكبة..-كنت مع التحرير.. وفجأة أعتقد أن إسرائيل لها حق في الوجود.. وفجأة لها ٨٠٪ ثم أفاوضها..؟! إذن حتى في الانطباع خسره الفريق المفاوض بين جمهوره الأساسي الفلسطيني والعربي، وفي الدولي ظهر الأمر وكأن إسرائيل عقلانية تعطي الفلسطينيين كذا وكذا وكذا إلخ.. وبالتالي.. في المضمون خسرنا وفي الشكل الانطباعي في المفاوضات أيضاً خسرنا إذن أنا دخلت في مأزق عندما حصرت نفسي في العام ١٩٦٧، واعتمدت معادلة السلام «الأرض مقابل السلام» و٢٤٢-٣٣٨، ولا تعترف أيضاً هذه القرارات بدولة فلسطينية وتنازلت عن أهدافي الأساسية، إذن التنازل المسبق أضعفني بشكل كبير، والتوقعات الشعبية للفلسطينيين دائماً كانت عالية، وفعلاً كان هذا إشكال كبير.. حتى جاء كامب ديفيد. فمثلما حصل في أوسلو حصل في كامب ديفيد، ففي أوسلو ظهر للعالم كله بأنني أريد أن أُعيد الضفة الغربية وقطاع غزة، وخسرنا كل فلسطين في أوسلو وفي كامب ديفيد حصل نفس الخطأ، حيث ظهر في الانطباع بأن إسرائيل ستعيد الضفة الغربية وقطاع غزة، لكن في الحقيقة هي لم تقدم شيء، فجزء كبير من الأرض تم الاستيلاء عليه، والمستوطنات باقية والطرق الالتفافية باقية، والقدس غير معروضة للتفاوض إلخ، ولم يحصل الفلسطينيون سوى على اقل من ٤٢٪ من أراضي الـ ١٩٦٧م فقط؟!، لكن في الانطباع ظهر للعالم وللأمريكيين بأننا عرضنا عليهم عودة ٩٧٪ من أراضي الضفة وغزة في كامب ديفيد ولكن الفلسطينيين لم يوافقوا؟! الشعب الفلسطيني عندما رأى الوضع بهذا الشكل وأماله كلها بأن تنسحب إسرائيل من الضفة الغربية وقطاع غزة، وعندما لم يحصل ذلك تبخرت آماله سواء بالانسحاب أم بإقامة دولة مستقلة وعودة اللاجئين وفي النهاية ظهر بأن العودة المطروحة تبخرت إلى (١٠٠) ألف فقط وكلهم كبار في السن، وحتى هذا ليس على أساس حق العودة بل على أساس جمع شمل العائلات وبالتدريج وعلى مدار سنوات الخ.. وهنالك مثل حي على ذلك مخيم كندا في

رفح، عندما أراد المصريون أن يعيدوا سكان هذا المخيم إلى رفح الفلسطينية وعددهم حوالي خمسة آلاف فقط، والآن لهم منذ العام ١٩٨٠ وحتى الآن هم لا يزالوا كما هم خمسة آلاف، أي بمعنى أنهم عندما يوافق الإسرائيليون على عودة أسرة فقط كل شهر، يبقى العدد كما هو، لأن عدد الأسرة يزيد بنفس النسبة تقريباً الخ..

إذن الانطباع الذي تركه باراك كان قوياً، وفي الحقيقة هو لم يعطِ شيئاً، وبالتالي هذه المفاوضات بمجملها خلقت حالة غير طبيعية لدى الشعب الفلسطيني، حالة يأس من الموقف الرسمي ومن المفاوضات التي هي كانت أصلاً وإلى حد كبير في رأي قسم كبير من الشعب الفلسطيني والذي رحّب بما أعطي له من وعود بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة.

- أما بالنسبة للانتفاضة: نعم كان هناك مأزق حقيقي في الانتفاضة وهذا هو لب القضية، فالانتفاضة التي شاركت فيها قوى فلسطينية مساهمة في برنامج السلطة وبأسلو مباشرة، لكنها عندما وصلت إلى مأزق «كامب ديفيد» ومأزق المفاوضات أرادت أن تغير الحالة من خلال إدخال عنصر جديد في الصراع حتى يتم التحسين في شروط المفاوضات لهذا أدخلت العنصر الشعبي الذي هو الانتفاضة، ولذلك فإن السلطة وفتح وكل من كان في أوسلو كان يريد الانتفاضة، لكن كان يريد الانتفاضة كعامل ضغط على طاولة المفاوضات، لأنه فقد كل أسلحته ويريد بأن يأتي بسلاح جديد ليغير الوضع العام ويدخل الانتفاضة في هذا السياق إذن هو دخل الانتفاضة لتحسين شروطه، أيّ أنه يريد انتفاضة منضبطة بإطار التفاوض، لكن في النهاية هناك قوى أخرى موجودة وهذه القوى حافظت على برنامجها وقت طويل من الزمن، ودفعت ثمن كبير من أجل المحافظة على هذا البرنامج، هذه القوى حماس والجهاد وكل من كان يرفض أوسلو ويستخدم العمل المسلح ويستخدم العمل المقاوم وحافظ عليه حتى ولو كانت ممارسته في فترة من الفترات ضعيفة أو قوية ليست هنا المشكلة، المشكلة أنه كانت هناك قوة على الأرض كانت تواجه أوسلو وكان برنامجها واضح الذي هو القوة أي استخدام المقاومة المسلحة في مواجهة العدو، وهذه القوة أيضاً لم تكن تستخدم على أساس أن تخدم الانتفاضة في المفاوضات.

إذن في الانتفاضة هناك برنامجان سياسيان، برنامج يريد من الانتفاضة أداة تحريك شعبي لخدمة المفاوض الفلسطيني بعد أن عجز في وسائله المعهودة أن يقدم شيئاً، بمعنى أنه يريد للانتفاضة أن تكون تكتيك لخدمة هدف سياسي معين، بينما الطرف الآخر يريد الانتفاضة أن تستمر لخدمة استراتيجية معينة في استمرار المقاومة وهذا هو جوهر الاختلاف في الأهداف الأساسية للانتفاضة.

وكذلك هو أخطأ مرة ثانية في توجيه خطابه إلى الشارع الفلسطيني لأنه مربك ومن غير الطبيعي أن يبيع الفلسطيني أرضه ويفاوض على الجزء الباقي منها لهذا فإن خطابه ارتفع عالياً في ظل الانتفاضة وعلى المقاومة أيضاً، ومن كان يظن أن الانتفاضة حدودها حدود الانضباط لطاولة المفاوضات.. لذلك كان يقول أن المقاومة يجب أن لا تمتد إلى مناطق الـ ٤٨م، يجب أن تكون في حدود المناطق المتنازع عليها أي الضفة والقطاع، لكن الطرف الآخر المقاوم يعتبر أن الانتفاضة والمقاومة على كل الأرض المتنازع عليها وهي كل فلسطين وبالتالي فمن حقي أن اضرب في تل أبيب مثلما هو حقي أن أضرب في الضفة والقطاع إلخ.. فهذا الاختلاف الاستراتيجي في النظرة للانتفاضة هو الاختلاف الأساسي، ولم يكن هذا الاختلاف مجرد خلاف نظري بل له تطبيقات عملية، لأن برنامجي في هذه الانتفاضة هو أن تكون مستمرة لأنها جزء من المقاومة أي أن حدود الخلاف بيني وبين عدوي هو كل مساحة الأرض، إذن أنا من حقي أن أضرب في جنين وفي نابلس وفي تل أبيب ونهاريا وفي كل مكان من الأراضي التي أطالب فيها، بينما هو يقول أن حدودي التي أستخدمها في طاولة المفاوضات هي حدود الضفة وغزة ويجب أن انضبط في المقاومة ضمن هذه الحدود؟!

لكن المشكلة الأساسية أن خطابه كان شاحن للشارع الفلسطيني.. فتوحد الشارع الفلسطيني على هذه القضية، إذن القضية الأولى هي استمرار المقاومة والانتفاضة فتوحد الشارع الفلسطيني على هذا الأساس وفي إطار تعاوننا مع بعض يجب أن يكون هنالك انضباطاً، لا اعتقالات سياسية على خلفية المقاومة.. والتنسيق الأمني مع العدو أصبح مرفوض، والعدو الذي استوعبته في اتفاقات أوسلو بنص صريح بالنسبة لاستيعاب كل المتعاونين مع الاحتلال.. أصبح الشارع الفلسطيني يرفض هذا السلوك، وأصبح يضغط على السلطة لمحاكمتهم وحتى هو نفسه أصبح يطاردهم.. أي أنه أصبح هناك إجماع شعبي من خلال شحن الشارع الفلسطيني حيث أصبح خيار السلطة في التفاوض وحصر الانتفاضة والمقاومة في إطار محدد يخدم هدف معين.. كل هذا جعل من أصحاب أوسلو في مأزق حقيقي، لأنه لم ينجح لا في خطابه ولا في الهدف الذي وضعه للانتفاضة، لأن الأهداف الاستراتيجية لازالت متنازعة بين تيارين وبين طرفين في الانتفاضة.

إذن أقول: إذا حصرنا هذا التحليل في داخل فلسطين وكذلك في الخارج (لأن الحالة الفلسطينية هي داخل وخارج)، لأن الحالة الفلسطينية في الخارج أكثر عمقاً وأكثر تشدداً لأن الفلسطيني في الخارج منذ اتفاق أوسلو وقبل ذلك يرفض هذه الحالة التي وضع أوسلو فيها نفسه بما يتعلق فريق الفلسطيني، حيث أصبح هناك تقريباً إجماع وطني فلسطيني في الداخل والخارج حتى في مناطق الـ ٤٨م، على المقاومة والانتفاضة، وضعف خيار التفاوض بسبب الفشل في عرض وجهة النظر أو التفاوض أو خطاب الشارع الفلسطيني، وبالتالي أصبح من الصعوبة بمكان أن يتجاوز هذا الوضع بمعنى أن يوقف الانتفاضة بقرار، أو أن يوقف الانتفاضة بمخطط، من هنا أو هناك، وبالتالي، فإن كل الدعوات التي طرحت لوقف الانتفاضة فشلت وأعتقد أن هذا هو التوصيف الحقيقي بما يتعلق بالانتفاضة والحالة الفلسطينية.

الرفيق خالد عبد المجيد



عندما اندلعت الانتفاضة في ٢٠٠٠/٩/٢٨م، لابد من الإشارة أنه لم يكن أحد يتوقع لا على صعيد الفصائل ولا على الصعيدين الفلسطيني والعربي.. أن يكون زخم الانتفاضة وتفاعلاتها وأساليب تطويرها إلى الشكل الذي وصلت إليه خلال عامها الأول، وفي بداية الانتفاضة طرحت تساؤلات عديدة حول اندلاع الانتفاضة وأسبابها وأهدافها وتفاعلاتها وبدأت الأمور تتطور باتجاه خيار شعبي عارم جسّد إرادة حية للشعب الفلسطيني بكل قواه وفصائله وتياراته الوطنية والديمقراطية والإسلامية والقومية.

وأصبحت السياسة السائدة بعد ثمان سنوات من اتفاقات أوسلو والثقافة التي تسود المجتمع الفلسطيني هي ثقافة الانتفاضة والمقاومة سواء كان ذلك داخل الوطن المحتل أو في الشتات وأصبح هذا الخيار الشعبي

الذي شمل كل فئات الشعب الفلسطيني وقطاعاته تعبيراً حياً عن الإرادة الوطنية الشاملة للشعب الفلسطيني، كما جاءت الانتفاضة في الحالة الفلسطينية تعبيراً عن حالة من الإحباط واليأس الذي وصل إليه الشعب الفلسطيني بعد مرور سنوات من التسوية السياسية واتفاقات أوسلو، لهذا نعتقد أن شعبنا الفلسطيني من خلال التفاعلات التي جرت خلال العام الماضي وما أفرزتها اتفاقيات أوسلو والنتائج الخطيرة لهذه الاتفاقيات جعلت شعبنا بكل قواه وفئاته وتياراته يجدد خياره الوطني الذي اختاره خلال السنوات الماضية، والتي حاولت بعض القوى خلال مرحلة أوسلو أن تطمس هذا الخيار خلال التزاماتها مع العدو الصهيوني من اتفاقات أوسلو وما نتج عنها من مآسي، وتحولت الانتفاضة من خلال هذا الخيار الشعبي إلى ثورة شعبية عارمة وحّدت الموقف الوطني الفلسطيني من خلال أهداف سياسية طرحتها الانتفاضة وحددت شعارات لها بغض النظر عن المواقف الذاتية لكل فصيل، وبتقديرنا أن هذه الشعارات وهذه الأهداف التي طرحتها الانتفاضة أصبح هناك إجماعاً فلسطينياً عليها، فشعار الحرية والاستقلال وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس وإنهاء الاحتلال عن كل الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م وتحقيق حق العودة لشعبنا هو الهدف المباشر للانتفاضة من أجل تحقيقه دون قيد أو شرط أو التزامات مع العدو الصهيوني في ضوء الشروط التي وضعت في اتفاقات أوسلو، واعتبر هذا البرنامج الذي أجمعت عليه كل القوى البرنامج المرحلي للشعب الفلسطيني وهو برنامج الانتفاضة الذي يجب أن يجسّد وحدة كل شعبنا وراء هذا الخيار، واتسعت إطارات المشاركة الفصائلية والشعبية بفعل الانتفاضة والحركة الجماهيرية، وتطورت أشكال وأساليب النضال التي جددت خيار المقاومة المسلحة والفاعلة، والذي لم يتوقف خلال الـ «ثمان» سنوات الماضية من أوسلو بفعل القوى الوطنية والإسلامية وخاصة الاتجاه الإسلامي الذي ساهم في استمرار هذا الخيار بشكل فاعل خلال المرحلة الماضية، واستطاع أن يوجع العدو والمستوطنين وأن يقوم بضربات مؤلمة في عمق دولة الكيان الصهيوني مما أحدث تفاعلات كبيرة داخل هذا المجتمع.

وبرأينا لقد أحدثت الانتفاضة خلال عامها الأول نتائج إيجابية هامة أعادت قضية فلسطين إلى الصدارة على الساحتين العربية والدولية ووحّدت كل فئات شعبنا داخل الوطن والشتات وإنها اليوم تمثل خندق أمامي للدفاع عن الأمة العربية والتصدي للمشروع الصهيوني والأطماع الأمريكية في المنطقة، وتشكل بنظري العمق القومي للأمة العربية في الدفاع عن الحقوق الوطنية والقومية، برغم أن الشعار الفلسطيني الذي كنا دائماً نلتزم به ولازلنا ندعو له، بأننا بحاجة إلى عمق قومي لإسناد الشعب الفلسطيني، الآن الانتفاضة الشعبية ونضال الشعب الفلسطيني يمثل العمق القومي للأمة العربية والأقطار العربية التي تتهددها مخاطر حقيقية من المشروع الصهيوني، والانتفاضة أثّرت تأثيراً ملحوظاً لم يسبق له مثيل بالنسبة لإحباط المشروع الإسرائيلي، وأحدثت تأثيرات كبيرة في عدم الاستقرار الأمني والسياسي والاقتصادي لهذا الكيان الصهيوني.



من اليسار: الرفيق أبو علي حسن ود. رمضان عبدالله والزميل محمد أبو ناموس.

إن الانتفاضة في عامها الأول تؤكد من جديد أنها انتفاضة غير قابلة للاحتواء، وقد جرت محاولات عدة ومشاريع متعددة بدءاً من المبادرات الأمريكية والعربية التي طرحت مثل المبادرة المصرية الأردنية وخطة تينيت ومشروع ميتشل وغيرها من المحاولات التي كان لها أهدافاً، ومنها إحتواء الانتفاضة والإلتفاف عليها والعودة إلى طاولة المفاوضات على قاعدة الاتفاقات السابقة.. لكن كل هذه المحاولات بفعل الانتفاضة والمقاومة، فشلت، لأن الانتفاضة تجذرت بين صفوف الشعب فكراً وممارسة وسياسة ونهجاً، إضافة إلى نتائج حجم العدوان الصهيوني تدميراً وقتلاً وحصاراً واغتيالاً إلى الكثير من الإجراءات التي أثّرت في كل نواحي الحياة في الوضع الفلسطيني، ولا يمكن للشعب الفلسطيني ولا يمكن لأي قيادة فلسطينية أن تثني الشعب الفلسطيني عن القبول بأدنى مما طرحته الانتفاضة وأهدافها وبرنامجها بعد كل حجم هذه الخسائر والتضحيات التي قدمتها.

وإذا توقفنا خلال هذا العام أمام بعض العناوين الرئيسية والتي بنظرنا لابد من مناقشتها ووضع برامج وآليات عمل وطنية بعد الاستخلاصات التي يتم استنتاجها في العام الأول من الانتفاضة.

أولاً: مستقبل الانتفاضة وسبل إدامة خيار المقاومة واستمرار الصراع مع العدو.

ثانياً: ما هي أساليبنا مع الاحتلال.

ثالثاً: ما هو المطلوب لتعزيز وحدة الشعب الفلسطيني ووحدة قواه وراء برنامج الانتفاضة.

رابعاً: كيف سيتم تفعيل الموقف الرسمي العربي والشعبي واستمرار الانتفاضة والمقاومة للاحتلال.

خامساً: تعميق تأثيرات وتفاعلات استمرار الانتفاضة داخل الكيان الصهيوني، وما هي الخطوات التي تساهم في إحداث هذه التفاعلات بشكل أكبر داخل هذا المجتمع.

سادساً: ما هو مستقبل التسوية السياسية في ظل استمرار الانتفاضة.

سابعاً: كيف سيتم توفير مقومات الصمود في ضوء تجربة العام الماضي وفي ضوء الثغرات التي حصلت على هذا الصعيد قومياً ووطنياً وكيف سعى لتفعيل الإسناد والدعم العربي والعالمي.

ثامناً: ما هي النظرة للسلطة الفلسطينية.. وكيف يتم لجم الاتجاهات التي تدعو للعودة للمفاوضات بأي ثمن، وكيف تنظر السلطة للمعارضة والمعارضة للسلطة؟ وتتعامل معها وتحت أي سقف؟ وتحت أي برنامج؟

تاسعاً: ما هي الخطوات المطلوبة لتحشيد

موقف دولي وتفعيل التعرف الفلسطيني والعربي على الساحة الدولية.

قد تكون هذه الأسئلة جزء من أسئلة عديدة بحاجة إلى مناقشة حتى نستطيع الاستمرار بالانتفاضة والمقاومة وتحقيق الأهداف الوطنية لشعبنا، حيث أن هناك هواجس حقيقية وتخوفات مشروعة تطرح بدءاً من حجم المعاناة وحجم الخسائر وتأثير العدوان والحصار والتدمير والاغتيال والقتل لشعبنا التي تقوم به قوات الاحتلال، وكيف سيتم توفير مقومات الصمود، وهل ما جرى خلال العام الماضي كافٍ لاستمرار هذا الصمود الوطني الفلسطيني، وانتهاءً بالمحاولات الدولية والإقليمية والعربية التي تجري للالتفاف على الانتفاضة. قيل إن إنجاز الأهداف الوطنية وتحقيق برنامج الانتفاضة يقود إلى العديد من الهواجس التي تطرح في الحالة الفلسطينية والعربية حول الدور المطلوب في المرحلة القادمة، وبالتحديد حول دور السلطة الفلسطينية ومستقبل «م.ت.ف» ووحدة القوى الوطنية والإسلامية والديمقراطية والقومية في برناج موحد وتحقيق هذه الوحدة بعيداً عن الصيغ الفضفاضة التي تجري سواءً في الداخل أو الخارج.

وإذا ما حاولنا أن نضع نقاطاً برنامجية لإدامة نهج الانتفاضة فإننا نرى أن هناك العديد من النقاط لابد من التوقف أمامها.. وهذه القضية قد ننتقل لها في المحاور الثانية لكن أريد أن استخلص: أن الانتفاضة الفلسطينية في عامها الأول جذّرت حالة وطنية فلسطينية شعبية عارمة بين كل الفئات الشعبية المناضلة، وبالتالي ليس من السهل وليس بمقدور أي قيادة أن تثني جماهير شعبنا عن الاستمرار في هذا الخيار الوطني والشعبي دون تحقيق البرنامج والأهداف التي طرحتها الانتفاضة «والذي يمثل البرنامج المرحلي» دون قيد أو شرط وهو برنامج حق العودة وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس على كل الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م ودون أية التزامات للعدو.

الرفيق رمضان عبد الله شلّح

انا سأنطلق من السؤال الذي طرحه الأخ العزيز: هل الانتفاضة هي مرحلة من مراحل النضال الوطني الفلسطيني أم أنها المرحلة الأخيرة القادرة على تحقيق الانتصار؟

ببساطة نستطيع ان نقول بكل تأكيد انها مرحلة من مراحل النضال في سلسلة متواصلة من نضال شعبنا الفلسطيني... لماذا؟ لأن من يحدد ذلك هو حجم الانتصار المطلوب، لأن الإجابة التفصيلية على هذا السؤال تتحكم فيه



عن أي انتصار نتحدث؟ وما هو الهدف المراد تحقيقه؟ إذا كان الهدف هو تحرير فلسطين كامل فلسطين، بالتأكيد أن الانتفاضة هي حلقة في سلسلة حلقات النضال الفلسطيني، لأن مشروع تحرير فلسطين مشروع كبير ولا تستطيع الانتفاضة بإمكاناتها الراهنة ومستوى الدعم العربي والإسلامي والأممي المتوفر لها إنجاز هذا الهدف.

أما إذا كان الهدف هو الحديث عن تحرير الضفة الغربية وقطاع غزة؟ قد تكون الانتفاضة هي المرحلة الأخيرة، وهنا أقول ولا أجزم من باب الرؤية الموضوعية للمشهد الموجود أمامنا، ولأن هناك قوى عديدة تلتزم في الانتفاضة الآن، كما أن هناك تباين في هذه القوى مثل: ما هي الانتفاضة بالنسبة لها ولرؤيتها.. هل هي مشروع تحرير أم مشروع تحريك للعملية التفاوضية من جديد، وهو مشروع استثماري لتحسين شروط أوسلو فبوجود هذه النظرة عند فئة ليست بسيطة بل فئة أساسية تتمثل بالسلطة تضعف قدرتنا على الجزم بأن الانتفاضة هي المحطة الأخيرة للتحرير وانجاز النصر على صعيد الضفة وغزة فقط، فهنا لابد طالما أننا نتحدث في ندوة فكرية.. أن نتوقف عند مرحلة أساسية في مسيرة النضال الفلسطيني من باب المراجعة وهي الإشارة إلى البرنامج المرحلي.

أنا أعتقد أن هناك التباس كبير وقع في الساحة الفلسطينية، هذا الإلتباس ربما كان موجوداً لدى الشارع الفلسطيني، لكن بالنسبة للنخب السياسية والفكرية والقيادية واضح، إلا أن هناك فئة استفادت من هذا الالتباس ووظفته لصالحها وكأن الشارع لا يدري بما يجري في حقيقة الأمر، الإلتباس يتمثل بأن هناك فرق بين الحديث عن استرداد جزءٍ من أرض فلسطين سواء كان ٢٠٪ أو ١٠٪ ضمن مشروع المقاومة والكفاح، وبين استرداد هذا الجزء بمشرع مقايضة، اي أن تقايض الـ (٨٠٪) بـ (٢٠٪) ضمن اتفاقيات دولية ملزمة وستصبح جزء من القانون الدولي ومحمية بقوة العالم كله، ثم يقال لك هذا ما هو لك من فلسطين من حق ١٠٪ أو ١٥٪، والآخر له ٨٠٪ أو ٨٥٪ من فلسطين.

هناك فرق كبير بين أن نسترد جزء من الأرض ضمن سياق كفاح ومسيرة نضال ومشروع مقاومة وبين أن نوهم أنفسنا باتفاقات دولية تضع سقف لطموحاتنا وحقنا في أرضنا، الذي حدث أن قيادة «م.ت.ف» استفادت من البرنامج المرحلي والذي يتحدث عن استرداد جزء من الأرض ضمن مشروع كفاحي وعدم الاعتراف بإسرائيل، وظّفت هذا البرنامج لإنجاز مشروع مقايضة والدخول إلى طاولة المفاوضات بالتسليم المفرط بـ ٨٠٪ من الأرض على أنها ليست لنا.

وأنا أذكر أنه عندما وقّع اتفاق أوسلو حينها كنت في أمريكا وشاهدت نبيل شعث على الـ «سي. إن. إن»، ورأيت بعيني وسمعت بأذني عندما سأله الصحفي عن شعوره كفلسطيني في هذا اليوم وهذا المشهد.. فأجاب شعث «أشعر بأن ٨٠٪ من فلسطين ضاعت إلى الأبد ونسبة الـ ٢٠٪ الباقية نفاوض عليها الآن ولا نعرف مصيرها، دخلنا في مغامرة لا نعرف إلى أين نصل فيها؟!، هذا هو شعوري كفلسطيني في يوم توقيع اتفاق أوسلو»، عندها كان في حديقة البيت الأبيض.

طبعاً هذا المشروع وهو تجيير لفكرة البرنامج المرحلي لتمرير مشروع مقايضة وليس مشروع تحرير لجزء من الأرض، في الحقيقة مهما تحدثنا عن أوسلو وعن نتائج أوسلو على الأرض وحصيلتها خلال السنوات العجاف، لن ينتهي الحديث لكن انا أود أن أشير هنا إلى نقطة مفصلية في موضوع أوسلو، وما هي أهمية الانتفاضة في تصويب ومعالجة هذه المرحلة؟ أوسلو لم يرتكب جريمة بحق الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية فقط، بل ارتكب جريمة بحق الإنسانية، وهذا ليس من باب البلاغة أو الخطابة.. بمعنى: نحن نعرف في تاريخ الاستعمار وتجارب الشعوب والأمم، أن الاستعمار كان ينشئ علاقة واضحة بين المستعمِر والمستعمَر (بكسر الميم وفتحها)، على أنها أسياد وعبيد وفي ظل النظام الدولي الجديد، واطروحات شمعون بيريز من نظام الشرق أوسطي، والحديث عن أخلاقيات هذا النظام، فالإسرائيليون والأمريكيون يعرفون بأن نمط الاستعمار القديم لا يصلح بعد انتصار أمريكا في عصر العولمة والنظام الدولي الجديد، لابد من انتصار سياسي يستطيع تسويق الاستعمار بشكل مغلّف بالسلوفان.. يعني أنه استعمار نظيف، ولهذا كان الانتصار في أوسلو بأن ينتدب الإسرائيلي وكيل وطرف من داخل الشعب

الفلسطيني ليقوم بالدور نيابة عنه في سحق الشعب الفلسطيني. لذلك وفي ظل أوسلو أصبحت السجون ليست سجون إسرائيلية بل سجون فلسطينية للسحق والقمع، واستمر هذا الوضع الذي حاول أن يفصل الحالة الفلسطينية عن كل الحالات السابقة في تاريخ العالم، وإلا لما كنا نحن اليوم أمام عنوانين، عنوان اسمه العبودية للافارقة وعنوان آخر اسمه العنصرية وإسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، فكله عنوان واحد، لكن التفريجة الحاصلة في موضوعنا، يعني شوية الضفة وغزة سيصبح الشعب الفلسطيني في ظلها مثل موضوع مناطق الـ (٤٨)، موضوع حقوق وطنية ومدنية في ظل نظام ديمقراطي محترم؟! مثل بعض إخواننا في الـ ٤٨ رايحين يحكوا في هذه اللغة..

الانتفاضة أهم ما فيها أنها شكلت انقلاب على هذه الصيغة، لأن الذي خُدع والذي سكنه الوهم في موضوع أوسلو رفع يديه ولم يعد يستطيع أن يكمل هذا الطريق، وأصبح هناك نوع من خلط الأوراق في الشارع الفلسطيني من جديد وفرز جديد على أن الشعب الفلسطيني لديه استعداد أن يعيد ترتيب أوراقه على أساس الشراكة الداخلية بين قوى الشعب الواحد، لأن أوسلو كان عنوانه الشراكة مع العدو الإسرائيلي شريكنا في السلام رابين، شريكنا باراك الخ، كيف يمكن لهذه المعادلة أن تنطلي على عقولنا، كيف يمكن أن تتقاطع دائرتين، دائرة شراكة مع عدو أنت تقاتله وشراكة مع شعب يُقتل بسلاح هذا العدو، وهاتين الشراكتين لايمكن أن يركبوا مع بعض.. فإما أن تكون شراكة مع الشعب الفلسطيني في دائرة الشعب الفلسطيني التي تحدد موقفها من دائرة الآخر بأنه العدو، أو أن تكون شراكة مع هذا العدو ويصبح جزء من الشعب الفلسطيني هو العدو، وهذا الذي حصل عندما تم تصنيف حماس والجهاد والمعارضة الفلسطينية بأنهم أعداء السلام.

إذن فلسطينياً الانتفاضة مثّلت حالة من القطع مع هذه المرحلة، وخلق إعادة فرز وتصويب لهذه المفاهيم في الساحة الفلسطينية خلال سنوات أوسلو.

الآن إذا أردنا أن نعود مرة أخرى للسؤال، هل يمكن أن تكون الانتفاضة مرحلة من مراحل النضال أو مرحلة أخيرة؟، نستطيع هنا أن نحذف كلمة «قد» والتي خففت درجة التأكد إذا كان هناك اطمئنان لموقف السلطة، على هذا البرنامج الذي سماه أخونا «أبو العبد» البرنامج المرحلي والذي وافقت عليه كل القوى والذي هدفه الآن للانتفاضة تحرير الضفة وغزة أي برنامج الانتفاضة.

السلطة والعلاقات الداخلية الفلسطينية الناظم الأساسي فيها مسألتين الموقف من التسوية والموقف من المقاومة، فهل السلطة على استعداد أن تقطع مع مشروع التسوية وتنهي رهاناتها مع الأمريكيين وإسرائيل، وتحذف من عقلها مسألة الشراكة مع العدو الصهيوني؟، وتنتقل إلى مربع الشراكة الحقيقية مع قوى شعبها؟، هذا سؤال مطروح على الساحة الفلسطينية، ومطلوب من السلطة أن تقدم إجابة صادقة عليه، ومن الجميع الذي يراقب آراء السلطة أو يتقاطع معها.

وهل يمكن أن تصبح الانتفاضة مشروع تحرير لكامل فلسطين؟ فهذا الصراع لم يكن صراعاً على مساحة محددة من الأرض، فهو صراع على كل فلسطين، وديناميات هذا الصراع وتداعياتها، طالما أننا نقول إن الانتفاضة لم يكن يتنبأ بها أحد، ولم يضع لها حساباتها الخاصة على ورق، وخاصة إذا قرأنا وضعنا بدقة ووضع الآخر، ووضع الآخر، أنا بتقديري كعدو أهم اليوم، لأن الانتفاضة أصبحت الآن تمازق التاريخي بشكل غير مسبوق، اليوم مثلاً: ماذا حصل بالنسبة للمجلس المصغر للعدو والذي يبحث في كيفية الفصل بين مناطق الضفة وغزة ومناطق الـ (٤٨)، لأن مسألة الفصل خلقت لهم مشكلة، فهم لا قادرون أن يفصلوا نهائياً ولا هم قادرون أن ينسحبوا نهائياً ولا هم قادرون أن يحققوا انتصار ساحق على المقاومة والانتفاضة، والحديث عن الترانسفير وغيره الكثير، كل هذه الأمور لها كوابح، فهو لا يستطيع أن يأخذ خيار لا باتجاه الحرب ولا باتجاه السلم، فهو مأزوم ويراوح في المكان.. ومرعوب من العمل داخل العمق الصهيوني بالذات، وهنا أنا أريد أن أشير إلى نقطة، بالنسبة لمناطق الـ (٤٨) يعني حتى على المستوى التكتيكي الإسرائيلي تاريخياً (ونحن نعرف جميعاً) أن حرصه الشديد طوال مسيرة المقاومة أن أهل تل أبيب والقدس يكونوا مرتاحين في بيوتهم أو في المقاهي والمطاعم والملاهي إلخ، بعيدين عن الصراع أو ما يحصل داخل الضفة وغزة، فلماذا نخرج ورقة مناطق الـ (٤٨) حتى على المستوى التكتيكي مجانياً، في حين أن الإسرائيلي يجتاح كل مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة. فهو عندما يغتال الأخ أبا علي مصطفى لم يتبق أمامه سوى الأخ ياسر عرفات رئيس السلطة الفلسطينية، والأخ ياسر عرفات أصلاً هو باق بالنسبة لهم على أساس حسبة معينة وهذا مفهوم بالنسبة لنا جميعاً وللعالم كله.

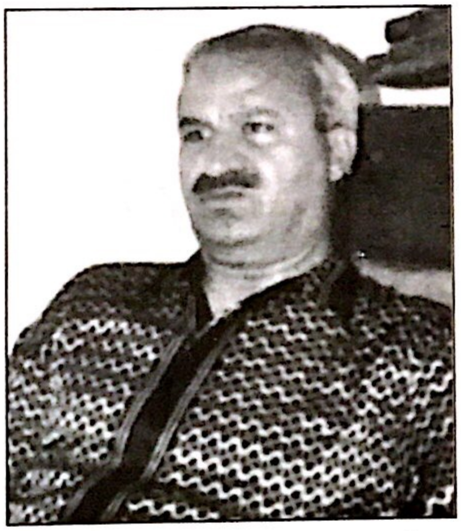
فهم فيما يتعلق بالمقاومة، والشعب الفلسطيني تجاوزوا الخط الأحمر ووصلوا إلى أعلى سقف ممكن أن يصلوا له ولذلك في اللحظة التي يُصعّد فيها الإسرائيلي إلى أعلى سقف، فلماذا نحن نسقط ورقة الـ (٤٨)، فمثلاً الرفيق ماهر حكى كلمتين، هاجت أمريكا وهاج العرب، فهذا ممنوع، خط أحمر هذا، إذا لماذا لا نستخدم ورقة الـ (٤٨)؟

أريد أن أختم بالآتي:

نحن لا نستطيع ان نحدد بشكل نظري مسبق ديناميات وتداعيات هذا الصراع، فعدونا من الهشاشة بحيث نعرف جميعاً في كل مرحلة وخاصة في المنعطفات الخطيرة التي كان يحشر فيها مثل عام ١٩٧٣م أو غيرها من المواقف كانوا يتكلموا عن خطر الإبادة وأنه قد دقّت ساعة الحقيقة الخ.. وما حدث في جنوب لبنان يبقى إشارة مهمة بالنسبة لنا في تداعيات وديناميات الصراع، ممكن أحياناً أن تسير لصالحنا أو العكس بشكل لم يتوقعه الناس الذين يرسموا آفاق وأبعاد هذا الصراع.

إلى أين يمكن أن تصل الانتفاضة، هذا يبقى في العنوان الآخر والذي له علاقة بالعرب وبعمق الانتفاضة.

الرفيق طلال ناجي



في الذكرى السنوية للانتفاضة لابد أن أوجّه التحية لشعبنا العظيم في فلسطين هذا الشعب الذي مضى على انتفاضته سنة كاملة تقريباً، برغم الظروف الصعبة والقاسية التي يعيشها، وبرغم الواقع الأليم والمرير سواءً على الصعيد الفلسطيني أو العربي أو الدولي، ولكنه بالرغم من ذلك صمد في هذه الانتفاضة العظيمة التي تشكل بنظري دفاعاً عن شرف الشعب الفلسطيني وكرامته وشرف الأمة العربية وكرامتها وشرف وكرامة الأمة الإسلامية.

نحن أيها الأخوة الأعزاء.. قبل الانتفاضة كانت النظرة للشعب الفلسطيني قد تراجعت إلى الحدود الدنيا، حتى من أشقائنا العرب، والمسلمين ومن العالم، وكانت القضية الفلسطينية برمتها قد تراجعت إلى الحدود الدنيا، وتذكرون بأن الشعب اللبناني الشقيق - وهذا محل فخر واعتزاز لنا - كان قد حقق

نصراً عظيماً على العدو الصهيوني، وإن كان هذا النصر ليس نصراً لبنانياً بحتاً، وإنما نصراً لبنانياً وعربياً وإسلامياً وكان لنا نحن في الثورة الفلسطينية وفي المعارضة الفلسطينية شرف المساهمة بشكل أو بآخر في تحقيق هذا النصر، ولكن يبقى في المحصلة النهائية أنه دحر لقوات الاحتلال الصهيوني من جنوب لبنان، في حين أن ما يجري في فلسطين كان عملية مفاوضات بين السلطة الفلسطينية والعدو الصهيوني لم تأتِ للشعب الفلسطيني لا بالخير ولا بالنصر ولا بالنتائج الإيجابية، من هذا المنطلق نقول: بأن الانتفاضة أعادت الكرامة لنا وأعادت الاعتبار لنا وللشعب الفلسطيني ورفعت رؤوسنا عالياً في الحقيقة، واليوم الشعب الفلسطيني محل اعتزاز وافتخار العرب والمسلمين وكل أحرار العالم، حيث ينظر للشعب الفلسطيني على أنه الشعب المجاهد والمكافح الذي تحدّى قوة إقليمية كبرى، تصنف على الصعيد العالمي بأنها القوة الرابعة أو الخامسة، فالعدو الصهيوني أصبح له ترتيب في السلم العالمي، حيث يعتبر من الخمسة الكبار في العالم بسبب الإمكانات الهائلة التي قدمتها ومازالت تقدمها له الولايات المتحدة الأمريكية من دعم مادي وعسكري هائل، وبالتالي عندما يتمكن الشعب الفلسطيني بإمكاناته المتواضعة أن يصمد لمدة عام كامل ومازال صامداً في الاستمرار في وجه هذا العدو، ويجعل هذا العدو في حالة عجز برغم كل ما لديه من إمكانات في قمع هذه الانتفاضة ووقفها، فقد جرّب كافة أنواع الأسلحة من طائرات الـ (ف 15) والـ (اف 16) وجرب الدبابات والصواريخ وكل الأسلحة باستثناء السلاح النووي الذي لا يستطيع أن يستخدمه بحكم الواقع الجغرافي للضفة والقطاع وتداخلها مع عمق الكيان الصهيوني، فهذا السلاح محيّد في الانتفاضة الفلسطينية.

إذن دعونا نقول: بأن هذه الانتفاضة في الحقيقة بعد مضي عام هي حدث عظيم في حياة الشعب الفلسطيني وفي تاريخ كفاح الشعب الفلسطيني.

ولكني أستعير من بعض ما قاله الأخوة الأعزاء الذين سبقوني في الحديث عن الانتفاضة في هذا المجال الملاحظة التالية: نحن لا نستطيع أن نتحدث عن نصر كامل في هذه الانتفاضة، لأنه في البداية الشعب الفلسطيني بسبب السياسات العاجزة والقصيرة النفس والمساومة التي اتبعتها السلطة الفلسطينية والقيادة الرسمية الفلسطينية على مدى السنوات الماضية، حصرت أهداف الشعب الفلسطيني في حدود الـ (٢٢٪) التي تمثلها الضفة الغربية وقطاع غزة، وبالتالي فإن الانتفاضة الآن تدور على هذه المساحة فقط، ولهذا لا نستطيع أن نقول أن الانتفاضة هذه تستطيع أن تحرر كل فلسطين من النهر إلى البحر، أو أنها تجسّد كل طموحات الشعب الفلسطيني في العودة إلى حيفا ويافا والناصرة واللد والرملة وصفد الخ، لا نستطيع أن نتحدث عن ذلك، وليس بمقدورها للأسف الشديد أن تحقق ذلك، والسبب في ذلك هو من يتحمل حصر الأهداف هو السلطة الفلسطينية والقيادة الفلسطينية الرسمية.

وهنا نحن نتحدث عن تقييم موضوعي للأمور في ندوة هادئة ولسنا في مهرجان خطابي، وبالتالي: فإنه في قمة انتصار الانتفاضة هناك جانب سلبي وهو أن السلطة الفلسطينية في اتفاقات أوسلو تنازلت عن (٧٨٪ أو ٨٠٪) من فلسطين للعدو الصهيوني، حتى نحن في المعارضة لم نُعد نستطيع أن نتحدث إلا عن تحرير الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية وفي أحسن الحالات المطالبة بحق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، وليس تحرير ما أُحتل من فلسطين عام ١٩٤٨م، هذه الصورة المطروحة الآن وحتى أن العالم العربي والعالم برمته لا يقبل منا الحديث عن التحرير من النهر إلى البحر كما كانت اللغة السائدة طوال سنوات الثورة من عام ١٩٦٥ إلى توقيع اتفاق أوسلو بصراحة، واليوم في الأخبار تقول: بأن الجامعة العربية تتحدث من ضمن الأهداف والعناوين التي طرحت على جدول أعمالها وزراء الخارجية العرب مناقشة أفكار تتعلق بالاعتراف بإسرائيل في حدود الـ ٤٨م أي تقديم مبادرة سلام بالاعتراف بالكيان الإسرائيلي في حدود الـ ٤٨ وفق شروط الانسحاب من الضفة والقطاع وحق العودة للاجئين الفلسطينيين وحل عادل لمشكلة القدس مقابل الاعتراف بإسرائيل..؟! تخيلوا بأن هذا مطلب من المطالب العربية الرسمية الجماعية.

إذن الذي أردت أن أؤكد عليه بأن هناك جانب إيجابي في الانتفاضة ولكن أيضاً هناك جانب سلبي في تقييم مسألة الانتفاضة وهي محدودية الهدف وحصر سقف سياسة النضال الوطني للشعب الفلسطيني في الضفة وغزة والسبب هو كما قلت سياسة المساومة التي اتبعتها القيادة الفلسطينية الرسمية على مدى السنوات الماضية من توقيع اتفاق اوسلو وحتى الآن.

هذا جانب.. ومن جهة أخرى.. لاشك بأن الانتفاضة حققت وحدة ميدانية على أرض المعركة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولكن أيضاً لا نستطيع أن نغالي ونقول بأن هناك وحدة حقيقية بين صفوف الشعب الفلسطيني وقواه الوطنية، فالكل يعلم بأن القيادة الرسمية الفلسطينية لا تريد استمرار الانتفاضة وهم يجاهرون بذلك، ويقولون بأنه كفى يجب أن تتوقف الانتفاضة، وإن الانتفاضة يجب أن لا تتجاوز الخط الأخضر إلخ.. إذن هم يستخدمون الانتفاضة استخدام منفعي وتكتيكي بهدف تحسين شروط المفاوضات فقط.

إذن هم لا يتمسكون بسقف موحد للانتفاضة مجمع عليه من كافة القوى الوطنية فإذا سألنا أنفسنا السؤال الذي طرح في مقدمة الندوة، هل هذه الانتفاضة هي المرحلة الأخيرة من كفاح الشعب الفلسطيني؟ والجواب على هذا السؤال يتحدد بمعرفة ما هي أهداف النضال النهائي للشعب الفلسطيني، فإذا كان المقصود بأهداف النضال استمرار المفاوضات والعودة إلى المفاوضات من أجل المساومة مع العدو الصهيوني للحصول على بعض المكتسبات على غرار ما وقع منذ أوسلو وحتى الآن، ربما يصح القول هنا بأن الانتفاضة هذه هي المرحلة النهائية في كفاح الشعب الفلسطيني، أما إذا كان المقصود بأنها المرحلة النهائية لكفاح الشعب عموم الشعب الفلسطيني الذي انطلق منذ قرن من وعد بلفور وحتى الآن نقول هنا بالتأكيد لا، وأنا أؤكد هنا كما قال بعض الأخوة بأن الانتفاضة هي مرحلة من مراحل النضال الوطني للشعب الفلسطيني.

ربما تتوقف الانتفاضة بعد حين بسبب ضغوط السلطة أو بسبب ضغوط أطراف عربية أو بسبب ضغوط دولية، وبالتالي يجب أن لا نرهن سقف نضال الشعب الفلسطيني بهذه الانتفاضة، لأنه سبق أن قام الشعب الفلسطيني بانتفاضة (المقصود الانتفاضة الأولى) التي استمرت لستة أعوام وماذا كانت النتيجة؟، كانت النتيجة أن هذه الانتفاضة استثمرت ووظفت من القيادة الرسمية لـ (م.ت.ف) لإبرام اتفاق أوسلو وتوقيع صك التنازل عن (٧٨٪) من فلسطين، وأخشى ما أخشاه أيضاً في هذه الانتفاضة الحالية بأن يجري استثمار الانتفاضة (وهذا ما لا أتمناه) مرة أخرى لإبرام صفقة جديدة مع العدو الصهيوني، ولا ندري عن ماذا ستتنازل في هذه الصفقة مرة أخرى وربما على حق العودة للاجئين الفلسطينيين كما نسمع، نحن لا نتمنى ذلك، ونتمنى أن تكون القيادة الرسمية الفلسطينية قد تعلمت الدرس الذي وقع في عامي ٩٣-٩٤ بمؤامرة اتفاق أوسلو ووقعت فيها وثيقة تنازل عن فلسطيني عام ٤٨م، الوثيقة الشهيرة بوثيقة الاعتراف المتبادل، وأتمنى أن تتمسك هذه القيادة لمرة وحيدة بأهداف الكفاح الوطني لعموم الشعب الفلسطيني، وبتطلعات الشعب الفلسطيني التي عُبر عنها مراراً حتى في صفوف الانتفاضة وتنظيم «فتح» تنظيم السلطة الفلسطينية المشارك في هذه الانتفاضة، في الحقيقة.. اتمنى أن تستمر الانتفاضة،

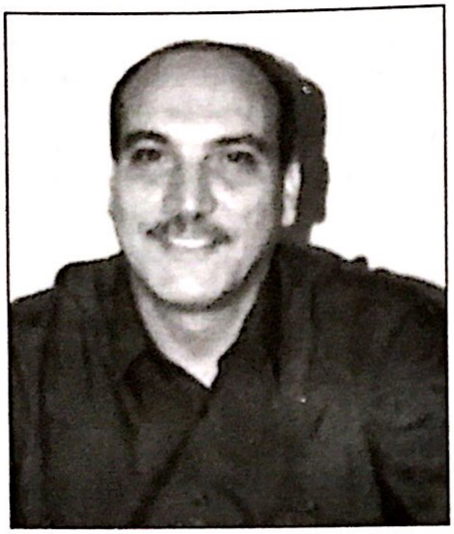
وأتمنى أن نضع برنامج وخطط مشتركة لاستمرار الانتفاضة.

ولكن اسمحوا لي بأن أقول لكم بأنكم جميعاً أجمعتم على أن هذه الانتفاضة انطلقت بشكل عفوي في البداية، بمعنى أنه لم يكن هناك قرار مخطط لاندلاع الانتفاضة، فالمعروف أنه بعد زيارة شارون للقدس هبّ الشعب الفلسطيني بكل فئاته للرد على هذه الزيارة ثم عمّت الشرارة عموم الضفة وغزة فاندلعت الانتفاضة ومازالت مستمرة منذ قرابة العام، أي انتفاضة في تاريخ الشعوب التي سبقتنا، وعندما تتوفر قيادة سياسية وتتمسك بهدف محدد وتضع برنامج واضح لتحقيق هذا الهدف عندها نستطيع أن نقول بأن هذه الحركة أو هذه الانتفاضة ستصل إلى تحقيق هذا الهدف، ولكن بظروفنا وحالتنا الراهنة وحال الانتفاضة الحالية نقول بصراحة لا يوجد حتى الآن أهداف مشتركة ومتفق عليها ولا برنامج واضح أو هدف واضح للانتفاضة الحالية، فالإنتفاضة الشعبية اندلعت تعبيراً عن التمسك بأهداف النضال الفلسطيني وبحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية في العودة وتقرير المصير والاستقلال الوطني والقدس الشرقية وإزالة المستوطنات، ولكن كما قال أخي الأستاذ خالد هي تعبير عن حالة من الاحباط واليأس التي يعيشها الشعب الفلسطيني على مدار السنوات الماضية من مسألة المفاوضات والتسويات والوعود التي قدمت، فهناك حالة من اليأس والإحباط وبالتالي هذه الحالة تدفع الشعب الفلسطيني إلى التمرد وإلى الثورة إلى الانتفاضة للتعبير عن هذا التمرد والرفض..

إذن هناك جانب إيجابي وجانب سلبي، وبما أن الانتفاضة اندلعت بشكل عفوي تعبيراً عن حالة اليأس والإحباط من التسوية الخ..، إذن علينا نحن أن نفكر معاً في قوى المعارضة الفلسطينية وبالتعاون مع تنظيم السلطة والخيرين في تنظيم السلطة «فتح» كي نجعل الانتفاضة تستمر ولا تجهض على الطريق ولا تستثمر وتوظف باتجاه غير الاتجاه الذي أجمعت عليه كافة القوى وجماهير الانتفاضة، بصفة جديدة تجعل حالة الجماهير الفلسطينية أكثر سوءاً مما كانت عليه هذه الجماهير قبل الانتفاضة بصراحة، إذا ما أنتجت الانتفاضة صفقة ما بين العدو الصهيوني والقيادة الرسمية الفلسطينية.

نتمنى أن لا تفعل القيادة الرسمية الفلسطينية ذلك، نتمنى أن نستطيع أن نصون الانتفاضة ونحميها ونحافظ عليها، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى خطة عمل مشتركة فيما بيننا ككل حتى نستطيع أن نفعل ذلك.

الرفيق ماهر الطاهر



عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومسؤول القيادة خارج الوطن المحتل

أنا عندي بعض النقاط، وأحب أن أطرح بعض الأسئلة والتي أعتقد بأن الانتفاضة الحالية قد أثارتها وهي ذات طبيعة استراتيجية وكذلك أثارتها أيضاً الانتفاضة السابقة في العام ١٩٨٧م، أسئلة نظرية أسئلة سياسية كبرى، وأرغب في العودة قليلاً إلى الوراء إلى انتفاضة الـ ١٩٨٧ والتي برأيي أحدثت تحوّلاً استراتيجياً في النضال الوطني الفلسطيني لأنه قبل هذه الانتفاضة كان التصور أن عملية التحرير من الخارج وبالتالي كانت المقاومة موجودة في الأردن وبعد ذلك في لبنان وكان مطروحاً العامل العربي أو هانوي العربية وبالتالي سوف نقوم بعملية التحرير، بعد انتفاضة العام ١٩٨٧م أظن أنه حدث تحوّلاً استراتيجياً في هذه الرؤيا باتجاه الداخل وهو الأساس، وأن عملية التحرير هي من الداخل وليست من الخارج ارتباطاً بالظروف العربية والواقع العربي المحيط.

وبالتالي.. أنا أتذكر بعد اندلاع انتفاضة الـ ٨٧م قرأت بحثاً لـ (٤٠) باحث إسرائيلي، وهؤلاء كانوا يناقشون كيفية التعامل مع انتفاضة العام (٨٧)م والبحث عن كيفية الخروج من هذا الوضع، وبدأت الخيارات من خيار سحق الانتفاضة كلياً أي باستخدام كل القوة العسكرية، مروراً بموضوع تسليم قطاع غزة إلى مصر، ودرست عدة احتمالات حيث طرحت في حينها (١٠) خيارات، من ضمنها الشروع بحل سياسي يتم من خلاله الموافقة على دولة فلسطينية، وفي النهاية قدّم هؤلاء الباحثين للحكومة الإسرائيلية واستقروا على رأي أن أفضل حل لإجهاض هذه الانتفاضة والتعامل معها هو أن تجري مفاوضات مع قيادة «م.ت.ف» لمحاولة التوصل إلى حل يتم بموجبه تقديم قطاع غزة للمنظمة، (وهذه الدراسة موجودة)، بمعنى أن يتم الانسحاب من قطاع غزة مقابل ثمن سياسي يتم الحصول عليه من قيادة «م.ت.ف»، وفعلاً هذا شكل مقدمات أوسلو، ثم حصل بعد ذلك مشروع أوسلو، لكن مع تعديل طفيف من إصرار قيادة المنظمة على إضافة أريحا أي (غزة وأريحاً أولا) بمعنى إشراك شيء بالنسبة لموضوع الضفة، وتمّ بعد ذلك الدخول في المفاوضات على هذا الأساس إلخ.. وعملية أوسلو بالنسبة لوجهة النظر الإسرائيلية كانت عبارة عن مدخل لتقويض المشروع الوطني الفلسطيني..، ولكن من وجهة نظر من وقّعوا أوسلو وبعض قطاعات من الشعب الفلسطيني في تلك المرحلة كانوا يعتقدون بأن هذا من الممكن أن يكون بداية لكيانية فلسطينية أي وضع القدم باتجاه بناء شيء على صعيد الوضع الداخلي في فلسطين نحو بناء دولة فلسطينية في المحصلة.

تجربة ما بعد أوسلو أفرزت نتائج واضحة للجميع، وقامت الانتفاضة الثانية كتدخل شعبي حازم أراد أن يقول بأن طريق أوسلو مسدود، وبالتالي كفى تنازلات، وأرادت هذه الانتفاضة التي اندلعت في ٢٠٠٠/٩/٢٨م أن توجّه رسائل متعددة، رسالة لإسرائيل بأننا لن نستسلم، ورسالة للقيادة الرسمية الفلسطينية تقول كفى تنازلات أوقفوا هذا المسلسل الذي نتج عن أوسلو وهذا هو السؤال الأول الذي أحب أن أطرحه هنا، ففي دراسة نُشرت في العام ١٩٧٥م على ما أعتقد للدكتور يوسف الصايغ، وأنا أعتبرها دراسة مهمة جداً (لازالت موجودة) عنوانها: التسوية في الأفق التاريخي، عندما طرح بعد حرب أكتوبر مسألة الحل المرحلي، الموضوع الذي تحدث فيه الدكتور رمضان، ويحتاج الآن إلى نقاش، فعندما انقسمت الساحة الفلسطينية بعد العام ١٩٧٤م بعد حرب أكتوبر وكذلك الساحة العربية حول من هو مع الحل المرحلي ومن هو ضد الحل المرحلي؟، نشرت دراسة تقول: لماذا هذا الانقسام وتبديد الطاقات؟، وبرأي الكاتب حيث يقول: ليتفق الجميع فلسطينيون وعرب على الهدف المرحلي، إذا كان الهدف المرحلي هو حق العودة وتقرير المصير والدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، ليتفق الجميع على هذا الحل، ولكنهم سيكتشفون بعد (٢٠) عاماً أن إسرائيل لن تقبل إطلاقاً بالحل المرحلي..؟!، وبالتالي ستعود الساحة الفلسطينية والعربية لتتوحد، على أن هذا الحل غير قابل للتحقيق من زاوية أن الحركة الصهيونية وإسرائيل لن

تقبل بهذا الحل، وفعلاً أنا سألت هذا السؤال للمرحوم فيصل الحسيني والذي مفاده «هل تعتقد بأن الحل المرحلي وبرنامج «م.ت.ف» قابل للتحقيق الآن على ضوء ٢٠ عاماً من التجربة، كان الجواب: لا، إذاً ماقاله هذا الباحث الفلسطيني صحيح وهو ما يقوم حالياً على أرض الصراع، إذاً لا يوجد هناك حل مرحلي.. فهنا السؤال. (وأنا هنا أتفق مع الدكتور طلال بأن هذه الانتفاضة لا تستطيع أن تحرر فلسطين) إذن.. هل تستطيع هذه الانتفاضة أن تحقق الحل المرحلي؟ كما قُدِّم فلسطينياً وعربياً، أيضاً برأيي الجواب: لا - بمعنى برنامج حق العودة وتقرير المصير والدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. أيضاً الجواب: لا.

والسؤال الثالث: هل تستطيع هذه الانتفاضة أن تفرض جلاء العدو الصهيوني عن أراضي الـ ٦٧م دون المساومة عن حق العودة، بمعنى أن ترغم إسرائيل على الانسحاب من الضفة وغزة والقدس دون قيد أو شرط ودون ثمن كما حصل في جنوب لبنان؟ هذا سؤال برأيي يستحق البحث والنقاش في الساحة الفلسطينية.

وأعتقد بأنه لو توفرت المقومات الفلسطينية ووضع عربي معين من الممكن أن يصبح مثل هذا الاحتمال قابل للتحقيق، لكن المشكلة في ذلك، وهذا هو التساؤل الثالث: أن الانتفاضة أظهرت وكشفت الكثير من العورات في الواقع الفلسطيني وفي الواقع العربي برأيي.

فعلى صعيد الواقع الفلسطيني أفرزت الانتفاضة أزمة المجتمع السياسي بما يخص القوى السياسية، سواءً من ناحية السلطة التي مازالت حتى الآن تنظر للانتفاضة كورقة مساومة لتحسين شروط التفاوض والسلطة دخلت في مأزق عميق، حيث تعمق هذا المأزق الآن فبعد اندلاع الانتفاضة وجدت السلطة نفسها في مأزق فلا هي قادرة أن تنفذ هذا الدور المطلوب إسرائيلياً ولا هي قادرة أيضاً أن تدفع بالانتفاضة باتجاه إرغام العدو على الانسحاب بدون قيد أو شرط باعتبارها مقيدة باتفاقات، وهذا هو المأزق الذي تعيشه السلطة الآن، وإسرائيل باعتقادي مستعدة لتقويض السلطة عن بكرة أبيها إذا شعرت بأن السلطة حسمت خيارها باستمرار المقاومة والانتفاضة.

وهذه رسائل واضحة توجّه للسلطة الفلسطينية، ولكن السلطة لازالت تناور مرة هنا ومرة هناك الخ..

والشيء الآخر هو مأزق المعارضة الفلسطينية، وفعلاً أنا برأيي، أن هذا هو مأزق جديد وهذه أيضاً نقطة هامة فالتيار أو الاتجاه الإسلامي السياسي في الساحة الفلسطينية دخل بقوة وأصبح قوة رئيسية في الساحة الفلسطينية وهذا أمر لم يكن موجوداً قبل انتفاضة العام ١٩٨٧م، ولكن تعزز دور الاتجاه الإسلامي في الانتفاضة الأولى وكذلك تعزز أكثر في الانتفاضة الحالية انتفاضة ٢٠٠٠/٩/٢٨م، وبات قوة رئيسية في الساحة الفلسطينية، الآن فيما يتعلق بموضوع المعارضة أيضاً لا يوجد برنامج ملموس أو مطروح لكيفية التعامل مع هذه الانتفاضة وتحقيق أهدافها، فالمأزق برأيي، لا يقتصر على السلطة فحسب، بل المأزق هو مأزق السلطة والمعارضة معاً، لكنه مأزق من طبيعة مختلفة فالمأزق الذي تعيشه السلطة يختلف عن المأزق الذي تعيشه المعارضة، وبرأيي، إن مأزق المعارضة، أنها لم تستطع أن تبلور جبهة وطنية فلسطينية عريضة برؤيا سياسية وفق قواسم مشتركة تحدد ما هي الأهداف التي نستطيع أن نحققها في هذه المرحلة من النضال الوطني الفلسطيني.

لم تنجح المعارضة في هذا، فلا زالت قوى المعارضة فيها اتجاهات مختلفة الرؤى وهذا الأمر برأيي هو أحد الأسباب الأساسية التي ساهمت في إبقاء السلطة قوية بهذه الدرجة أو تلك حتى هذه اللحظة.

يتعلق الأمر هنا بواقع المعارضة الفلسطينية، الأمر الذي يتطلب.. وكذلك يجعلني أدعو كل قوى المعارضة الفلسطينية أن تقف فعلاً أمام هذا الواقع السياسي وأن تبحث عن السبل والرؤى التي يمكن أن تشكل قواسم مشتركة بين جميع القوى الوطنية والإسلامية من أجل تحديد أهداف سياسية واضحة وقواسم مشتركة ومحددة.

وهناك نقطة أخرى أحب أن أشير إليها وهي:

موضوع هبوط منسوب الحركة الشعبية للانتفاضة وارتفاع منسوب مستوى العمل العسكري، فهذا الموضوع يوجد حوله اجتهادات بمعنى: أيهما أسلم أن يبقى المنسوب الجماهيري هو الأساس أم ارتفاع المنسوب العسكري؟ وبالتالي عسكرة الانتفاضة هو المظهر الرئيسي، أيهما أسلم من زاوية القدرة على استمرار الانتفاضة لسنوات عديدة؟ وأيهما أسلم من زاوية الصمود وقدرة الناس والجماهير على التحمل.. لأن إسرائيل أيضاً سترد بشكل عنيف وقاسي والوقائع أيضاً على الأرض تدل على ذلك بكل وضوح، وهذا الأمر برأيي يحتاج إلى نقاش.

وهناك نقطة أخرى أحب أن أشير إليها وهي: مسألة الانتفاضة ودور الخارج: إن من أبرز الأخطاء التي وقعت فيها الثورة الفلسطينية المعاصرة برأيي حقيقةً، عندما كُنّا في الأردن ومن ثم في لبنان (أي العمل من الخارج) وبعد أن انتقل مركز الثقل إلى الداخل، يصبح السؤال المطروح ماذا بشأن الخارج؟ برأيي، الخارج يستطيع أن يلعب دوراً بالحد الأدنى إذا نُظم بشكل صحيح من الممكن أن يتضاعف عدة مرات عما هو عليه الآن، لكن المشكلة التي نعيشها أننا نفتقد لجبهة وطنية عريضة متفقة على برنامج كما أشرت، ومرجعية «م.ت.ف» أيضاً ضُربت.

فالسؤال الآن: هل التيار الإسلامي أو الاتجاه الإسلامي لديه استعداد جدي لبحث موضوع «م.ت.ف» كإطار جامع وموحد للشعب الفلسطيني باعتبارها هي الصيغة القائمة الآن، وللحقيقة لا توجد أي صيغة أخرى تجمع الشعب الفلسطيني في مختلف أماكن تواجده سواء بالضفة والقطاع أو مناطق الـ (٤٨) أو الشتات، إذن ما هي رؤية الاتجاه الإسلامي من مسألة «م.ت.ف»؟، وهل هذا الأمر قابل للبحث باتجاه العمل على إحياء «م.ت.ف» كمرجعية وعلى أساس برنامج سياسي محدد لندفع بهذا الاتجاه جميعاً؟ أم أن هناك رؤية أخرى لدى هذا الاتجاه؟

نحن في الحقيقة نعتقد أنه حتى الآن لا توجد أي صيغة سوى صيغة «م.ت.ف» هذه الصيغة التي أفرزها النضال الوطني الفلسطيني، حيث أنه تأسست «م.ت.ف» أساساً قبل الثورة الفلسطينية المسلحة. تأسست في العام ١٩٦٤م وتسلمها أحمد الشقيري وبالتالي هي التي شكلت الإطار المعبر عن الهوية الوطنية الفلسطينية ولا يوجد حتى الآن إطار آخر، لذلك نحن نرى أن الدفع باتجاه إحياء «م.ت.ف» وإحياء مؤسساتها ومشاركة كل القوى السياسية في الساحة الفلسطينية ضمن إطارها، من الممكن أن يلعب دوراً في إسناد الانتفاضة وبلورة برنامجها الملموس لكي تحقق هدفها بإمكانية دحر الاحتلال دون أن نساوم على مسألة حق العودة وحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة.

هذه هي فقط النقاط والإشارات التي أردتُ أن أشير لها بشكل أساسي، وأختم حديثي بالتساؤل الذي طرح حول مسألة الحل المرحلي، وهذا الأمر يعيدنا إلى طرح سؤال.. هل هذا الصراع هو صراع وجود أم صراع حدود؟

لأنه لا توجد الآن أية معطيات تعزز تحليل أو رؤى تقول: أن إسرائيل قابلة أو من الممكن في النهاية أن تقبل بحل يقوم على قاعدة حق العودة وتقرير المصير ودولة فلسطينية في الضفة وغزة وعاصمتها القدس، فحق العودة يعني إذا تحقق بداية نهاية المشروع الصهيوني، يعني عدم بقاء هذا الكيان، فهل هذا الأمر يحتاج إلى بحث، بمعنى هل أن الصراع هو صراع وجود وغير قابل للحلول المرحلية؟، أم أنه لا زال هناك أفق؟ يقول: أنه

من الممكن أن يكون هناك حل مرحلي تفرضه موازين قوى معينة في مرحلة معينة موازين قوى دولية وموازين قوى عربية وموازين قوى محلية.

ـ تعقيب قصير من الدكتور موسى أبو مرزوق على موضوع الشعار الذي طرحه الرفيق ماهر حيث قال الدكتور أبو مرزوق: أن الشعار نفسه هذا مشكلة.. لأن الصراع نفسه يدور حول المشروع الصهيوني، فهو إن وجد عليه أن يختفي، لماذا نحن نضع وجود لمقابل وجوده والحدود هي الفاصل بين وجوده واختفائه، في الواقع أنه من المفروض هو فقط الذي يجب أن يوضع في مأزق الاستمرارية أي النجاح أم الفشل، لأننا نحن موجودون سواء نجح هذا المشروع أم فشل، فنحن موجودون لأنه هو العنصر الطارئ على المنطقة، إذن هو المعرض للزوال، لأنني أعتقد في الحقيقة بأن هذا المصطلح غير دقيق لتوصيف الصراع. «إشارة فقط للمصطلح».

أبو علي حسن



الإجابة على السؤال الذي طرح منذ البداية: أن هذه الانتفاضة هي محطة من محطات النضال الوطني الفلسطيني فرضتها وتفرضها طبيعة المرحلة التي تعيشها كما فرضتها المرحلة السابقة في ١٩٨٧ أي أنها وليدة مرحلة قد تطول أو تقصر وقد تتطور أو تتوقف لكن السؤال يبقى قائماً: ما هي مسؤولية المسكون بدفة الانتفاضة، هل يبثون لها عوامل الاستمرار ومقومات الاستمرار ويولدون ويساهمون في توليد ظروف موضوعية وذاتية جديدة من شأنها أن تعمل على تطوير الانتفاضة، هل نستطيع أن نسبق الانتفاضة بمستوى شعبي هائل ومستوى كفاحي هائل لا تستطيع أي جهة فلسطينية أو عربية أو دولية أن تطالها بعد ذلك، إذا أرادت أن توظفها في العملية السياسية؟ هذا سؤال يجب أن نطرحه على أنفسنا، لذلك أنا أقول: إن الانتفاضة هي فعل كفاحي متطور لدى الشعب الفلسطيني، وينتمي هذا الفعل إلى الفكر السياسي الفلسطيني من هنا أقول: إن الانتفاضة ليست انتفاضة عفوية، صحيح لم نقدّر متى ستتفجر هذه الانتفاضة، أو متى ستكون موجودة، لكنها تنتمي إلى الفكر السياسي الفلسطيني، الفكر السياسي الذي عرف الانتفاضات ليس لأول مرة وإنما عرفها إبان ثورة الـ ٣٦ التي استمرت ٦ شهور، ثم انتفاضات وهبات متقطعة تستمر لأيام وشهور، ثم انتفاضة ١٩٨٧ ثم وصولاً إلى هذه الانتفاضة، إذاً نحن لا نستطيع أن ننزع عن هذه الانتفاضة الفكر السياسي الفلسطيني، أي هي الابن الشرعي لهذا الفكر السياسي المتطور وأعني بالفكر السياسي، كيف تشكل النضال الوطني الفلسطيني في المراحل السابقة؟ كيف تطور النضال الوطني الفلسطيني من مفهوم الكفاح المسلح كأسلوب وحيد للنضال الوطني الفلسطيني إلى مفهوم آخر متطور، مفهوم جديد اسمه الانتفاضة بمعناها الأشمل وبمعناها الشعبي، وأنا برأيي هذا المفهوم متطور جداً للصراع، لذلك ليس صدفةً أن تأتي الانتفاضة على أسس أزمة سياسية وطنية يعاني منها الفلسطيني بشكل خاص والعربي بشكل عام من أزمة مركبة ومتشعبة أنا برأيي جذر هذه الأزمة هي غياب الرؤية السياسية لطبيعة الصراع الفلسطيني الرسمي والعربي. الرسمي غابت عنه في المراحل السابقة الرؤية السياسية الصحيحة لطبيعة الصراع وأهداف هذا الصراع وأصبح هناك في المرحلة الأخيرة خلط بين تعقيدات الصراع وبين استحالة تحقيق الأهداف، كيف أن تعقيدات الصراع لا تعني على الإطلاق عدم قدرتنا على تحقيق الانتصار، بل العكس ممكن تحقيق الانتصار في أي لحظة، جاءت الانتفاضة لتوضح بالضبط طبيعة الصراع، الصراع ليس تسوية الصراع، ليس أهداف محدودة الصراع، ليس تكتيكات محدودة، وإنما الصراع له مداياته النهائية هي الكيان الفلسطيني.

مداياته النهائية هي فلسطين التاريخية والجغرافية. إذاً علينا أن نضع الصراع في سياقه، إن وضعت الانتفاضة الصراع في سياقه الطبيعي والموضوعي وهو صراع موضوعي وتاريخي وشامل ومفتوح على كل المستويات وهذا ما قالته الانتفاضة وما تقوله الآن، انتقل الصراع من حيز محدود جداً كان اسمه الكفاح المسلح إلى حيز أشمل على كافة المستويات داخل وخارج الأرض المحتلة في كل مدينة وفي كل موقع، في نفس الوقت شاركت فيه كل القوى الشعبية. ليس صدفةً على الإطلاق أن يكون من أهم سمات الانتفاضة الحالية أن هناك مكون واحد أهم مكونات الصراع التاريخي وأن غزو الصهيونية وهو مكون نظري وعملي أيضاً أعاد لنفسه الاعتبار هذا المكون اسمه التيار الإسلامي، الشارع الديني الفلسطيني على مدى قرن من الزمن كان له دور مهم في إدارة الصراع، صحيح أنه انكفأ في مرحلة ما، ولكنه الآن يعطي الانتفاضة أيضاً سمة أخرى هي سمة الشعبية للانتفاضة لأن الشارع الفلسطيني أيضاً شارع ديني بالإضافة إلى الفصائل الأخرى المختلفة في الساحة الفلسطينية، إذاً نحن أمام انتفاضة لها سماتها المختلفة عن المراحل السابقة للصراع، كيف يمكن أن نجعل هذه الانتفاضة انتفاضة مستمرة انتفاضة متطورة، أولاً يجب أن نحدد طبيعة الصراع منذ البداية وإلا يختلط الحابل بالنابل. أوسلو ليست نهاية المطاف، ولن تكون نهاية المطاف، أوسلو أيضاً محطة من محطات الانهيار العربي والانهيار الفلسطيني، أوسلو كادت أن تسقط الإيمان الفلسطيني بقضيته، جاءت الانتفاضة لتقول نعم، تجديد الإيمان الفلسطيني بقضيته مجدداً، يعني الانتفاضة لها وظائف فوق وظائفها الحالية وظائف نفسية سيكولوجية معنوية وظائف أمنية سياسية وظائف شاملة يجب علينا أن نبحث ما هي الوظائف ذات الطابع الاستراتيجي للانتفاضة وذات الطابع التكتيكي ولا يجوز أن نقف عند طابع محدد للانتفاضة أي الطابع التكتيكي فقط.

وأن ننتقل إلى البحث في تداعيات الانتفاضة أي وظائفها الاستراتيجية وليس وظائفها الراهنة فقط وهي وظائف كثيرة ومتعددة أنا برأيي مطلوب منا نحن كقوى فلسطينية كقوى وطنية وإسلامية أن نبحث عن أفضل وأنجع السبل الكفيلة باستمرار الانتفاضة. قد يقول البعض منا أن استمرار الانتفاضة هو العنف قد يقول البعض منا استمرار الانتفاضة بالعمل، العصيان المدني، الشعبي إلخ..

لماذا لا تتكامل كل هذه القضايا مع بعضها؟ لا يمكن أن تتكامل إلا إذا كان هناك مرجعية سياسية ميدانية الانتفاضة قادرة أن تقول متى يكون العنف؟ ومتى يكون العصيان المدني؟ ومتى يكون الضرب في قلب تل أبيب؟ ومتى يكون الضرب في قطاع غزة؟ ومتى يكون الضرب في المستوطنات؟ بهذه الطريقة نحن نقود الانتفاضة، نمسك بدفة الانتفاضة بوعي تام وليس بتلقائية أو بالعفوية أو بالانصياع التام لعفوية الشارع وإنما نقودها باتجاهات

محددة هذا يفترض ضمناً أن تتوافق هذه الفصائل على رؤية أولاً لطبيعة الانتفاضة وطبيعة الصراع وثانياً نضع البرنامج المناسب لاستمرار الانتفاضة أحد أهم المقومات التي سوف تحرك الشارع العربي والشارع الدولي.

د. ماهر الطاهر

مطلوب شروط أكثر ملموسية أكثر فعلاً، من أشقائنا وحلفائنا في حركة التحرر العربي والأحزاب والحركات الشعبية لتحريك الشارع العربي لدعم هذه الانتفاضة، وكذلك الأمر على صعيد التيار الإسلامي، وأنا هنا بهذا السياق أريد أن أجدد الدعوة للتيارات العربية بمختلف اتجاهاتها اليسارية والقومية والإسلامية أيضاً، أن تتفق على برنامج عمل على جبهة قومية عريضة لدعم المعركة التاريخية المحتدمة على الأرض الفلسطينية وتركيز التناقض الرئيسي مع العدو الصهيوني. فيما يتعلق بالتداعيات والآفاق.

ـ وأعتقد أن هذه الانتفاضة تركت آثار ومفاعيل كبيرةعلى المستوى الإسرائيلي علينا أن نتعمق في دراستها، وبرأيي مفاعيل كبيرة جداً سواءً على صعيد المستوطنات «بالمناسبة، المستوطنات الآن نصفها فارغ غير موجود فيها أحد» أو على صعيد الهجرة المعاكسة التي يعيشها الكيان الصهيوني، وأنا أظن أنه مما يفسر حالة التوتر التي تعيشها القيادة الصهيونية في هذه المرحلة اغتيال القيادات والكوادر لأن هناك شعور عميق بالقلق والتوتر. ماذا سيفعلون إذا استمرت الانتفاضة؟

إن اغتيال الشهيد أبو علي مصطفى فعلاً يدلل عن حالة التوتر التي يعيشونها شارون وموفاز وبن أليعيزر وحالة القلق الكبيرة خاصة إن لم يتمكنوا بعد استعمال كل وسائل القتل والإرهاب والدمار من وقف جذوة هذه الانتفاضة والشعب الفلسطيني أوصلهم إلى قناعة أنه مستعد أن يدفع ثمن وتضحيات كبيرة في المجابهة. مفاعيل كبيرة على المستوى الإسرائيلي سياسية عسكرية حتى الخسائر التي دفعتها إسرائيل والدم شيء كبير، إسرائيل باعتقادي، غير مستعدة لتحمله إذا استمر بهذا الزخم وبهذا الشكل وبالتالي يمكن أن يخلق معادلات جديدة في المستقبل على المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي، النقطة الأخرى فيما يتعلق بالآفاق، باعتقادي، إذا توفرت ركائز الصمود والاستمرار للانتفاضة الركائز السياسية التنظيمية الكفاحية والاقتصادية، وحد أدنى من العمق العربي يمكن لهذه الانتفاضة أن تستمر خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الشعب الفلسطيني يدرك أن ليس أمامه الآن سوى الصمود لأن الخيارات الأخرى استسلام أي ليس لدينا هامش من الحركة كشعب فلسطيني أو كقيادات فلسطينية ما يطرحه علينا العدو الاستسلام فليس أمامك من خيار سوى المقاومة هذا يخلق العامل الموضوعي لاستمرار المجابهة، والعامل الذاتي متوفر لأن شعبنا يدرك أن هناك ثمن باهظ للحرية والاستقلال، وأكد الشعب الفلسطيني استعداده لدفع هذا الثمن لكن إذا لم تتوفر هذه الركائز السياسية والتنظيمية والكفاحية والاقتصادية ويبقى الخلل بالوضع الذاتي الفلسطيني. يبقى هناك سؤال كبير حول مستقبل الانتفاضة وآفاقها وشكراً.

أبو علي حسن

أنا أعتقد أنه لا يجوز لنا أن نخشى كثيراً من الواقع العربي، الواقع العربي حتى الآن سلبي على الصعيد الرسمي وربما على الصعيد الشعبي لكن لا يجب أن نخلط مجدداً بين تعقيدات وسلبيات هذا الواقع وبين استحالة تغييره بمعنى لا يجب ان يسقط إيماننا بأهمية الواقع العربي وأهمية الدور العربي في دعم القضية الوطنية الفلسطينية الحالة العربية والحالة الإسلامية وهي حالة واحدة متوحدة يعني هي حالة عجز عربي إسلامي، حالة العجز هذه برأيي حالة ظرفية وليست مكون أساسي من السيكولوجية العربية أو السيكولوجية الإسلامية، ليست مكون بنيوي عند العرب وعند الإسلام وإنما حالة ظرفية ومادامت هذه حالة ظرفية نحن معنيون بالعمل على تغيير هذه الحالة الظرفية، وسبق في التاريخ العربي أن عشنا مثل هذه الحالات، ولكن بعد فترة من الوقت يمكن تغيير هذه الحالة الظرفية، الكل يعرف أن القدس ٢٥ مرة تم غزوها ولكن ماذا كانت النتيجة، إخراج كل هذه الغزوات على مختلف أشكالها، إذاً هذه الحالة الظرفية كيف يمكن تغييرها؟ أنا برأيي يمكن تغييرها من خلال استمرار الانتفاضة، سنة واحدة غير كافية لتغيير ما فعلته ثلاثة عقود في الواقع العربي ثلاثة عقود من محاولات التسوية السياسية، من محاولات إسقاط الإيمان العربي والفلسطيني بالقضية الوطنية الفلسطينية، ثلاثة عقود لا يجوز أو غير ممكن في خلال سنة أن ننهض بحال الأمة العربية وليس مطلوب منا أن ننهض نحن ولكن أرجو أن نتذكر دائماً أن ما يحدث الآن على الفضائيات العربية وما يحدث على الأرض الفلسطينية وما يحدث كل يوم من جنازات وشهداء وفعل وطني وثوري وجماهيري وشعبي وعمليات استشهادية سيؤثر في الطفل العربي الذي سيبنى بناءً صحيحاً خلال عقد قادم من الزمن، أي نحن نبني جيل عربي ليس فقط جيل فلسطيني، الجيل العربي الآن يتفرج علينا تتعمق قناعاته يتعمق إيمانه بالقضية الوطنية الفلسطينية فنحن أمام عقد قادم من الزمن سنكون بالتأكيد أمام إرهاصات ومفاعيل عربية جديدة ليست هي الحالة الحالية، هذه نقطة.

والنقطة الثانية الرفاق والأخوة

الانتفاضة وحدت الوجدان العربي لم توحد الفعل العربي -فقط، حتى هذا الرئيس أو ذاك المسؤول أو ذاك المعني وجدانه معك، ولكن مصالحه ربما تمنعه من أن يكون معك فعلياً هنا دوره معك، يقول لك ينصر دينك، لكن هو وظيفته التي تملي عليه استمرار مصالحه تمنعه من قول الحقيقة، إذاً هي وحدت الوجدان، الوجدان العربي معي، الوجدان الإنساني، معي ولكن سلبيات في الواقع العربي تمنع حالة الفعل.

النقطة الثالثة والأخيرة

أنا أعتقد أن الانتفاضة بإرهاصاتها الحالية وكامتداد للانتفاضةالأولى أحدثت عملية مصالحة تاريخية بين الرؤية الإسلامية والرؤية القومية للصراع العربي الإسرائيلي، التيار أو المكون الديني للصراع هو التيار الإسلامي انكفأ طيلة عقدين أو ثلاثة عقود من الزمن من الدخول في عملية الصراع بفعل مجموعة من الخلافات التي كانت قائمة أو من التباين الذي كان قائماً بين الرؤية الإسلامية والرؤية القومية فحوّلت هذا التباين إلى خلافات على مدار الساحة العربية عكست نفسها فلسطينياً وعكست نفسها على أكثر من مستوى، الآن الانتفاضة كامتداد للانتفاضة الأولى بصراحة جاءت لتوحد بحدود معينة الرؤيتين الإسلامية والقومية لطبيعة الصراع وجعلت القضية الوطنية الفلسطينية في مركز الصدارة عند التيار الإسلامي أو عند المكون الديني للصراع وهذا إنجاز لا يمكن أن نغفله لأنه ممكن أن يوحد مستقبلاً «بصراحة» كل الشارع الفلسطيني والشارع العربي نحو القضية المركزية وشكراً.

موسى أبو مرزوق

دعني أقول أن الانتفاضة على كل الأحوال مرشحة للتوسع في الجانب العسكري أكثر مما هي مرشحة للتوسع في الجانب الشعبي ونحن بحاجة إلى ـ كما طرح عدد من الأخوة ـ برنامج فلسطيني جامع يجعل هناك نوع من الاعتبار لهذه المقاومة، ويجعل أرضية الانتفاضة في حالة رفض لهذا الاحتلال بشكل أو بآخر أو يعيد في الحقيقة الحالة الطبيعية في التعامل بين المحتل وبين الشعب الذي احتُل، من حيث طبيعة أن يكون هناك رفض وأن يكون هناك مقاومة هذه هي الحالةالطبيعية التي يجب أن تعمم ويجب أن يحميها برنامج وأهداف سياسية محدودة، لكن لابد أنْ نضيف أن الشعب الفلسطيني على الرغم من كل القساوة التي يتعرض لها من ضغط اقتصادي ومن قتل

ومن تدمير إلا أن الشعب الفلسطيني بدأ يتأقلم مع أوضاع الانتفاضة يصيغ حياته ويصيغ أوضاعه بشكل حقيقي يتلاءم مع مقاومة مستمرة وانتفاضة مستمرة ونحن نرجو أن لا يقطع الطريق أمام طموحات شعبنا الفلسطيني بغض النظر عن وجود ذلك البرنامج الجمعي أو لا، وأنه هناك محاولات جادّة لحرف الشعب الفلسطيني عن طريقه وإن لم تنجح حتى الآن لكن هناك جهود كبيرة من تحت الطاولة ومن فوق الطاولة لصرف الشعب الفلسطيني عن هذا الوضع، ولا يخفى علينا في هذا الجانب، أننا ننظر إلى ما أحدثته الانتفاضة على هذا المستوى لأن الطرف الآخر من الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية الطرف الصهيوني، لأول مرة الانتفاضة في أبعادها وفي آفاقها تطرح أسئلة على الكيان الصهيوني - ربما طرح الدكتور ماهر أسئلة علينا نحن فيما يتعلق بمنظمة التحرير والقيادة وما إلى ذلك - ولكن الآن طُرحت أسئلة داخل الكيان الصهيوني لم تكن مطروحة من مئة سنة سابقة، مستقبل الكيان الصهيوني التشكيك في نجاحه على الأرض الفلسطينية الوضع الأمني، علامة استفهام كبيرة الوضع الأمني الذي أصبح يشك فيه الجميع وبإمكانية العيش في فلسطين فالدكتور أبو عبد الله كان صادقاً عندما قال: أصبح اليهودي في كل مكان في فلسطين غير آمن إلا خارج فلسطين، فهو غير آمن في داخل فلسطين وآمن في كل مكان غير فلسطين وهذا عكس تماماً ما كان يسعى إليه البرنامج الصهيوني بأن يجلب اليهودي ليعيش في أمان على أرضنا. الآن يتحدثون عن نضوب ولكن ليس نضوب الأماكن التي تصدر اليهود إلى فلسطين، لا بل المشكلة الآن هي النضوب النفسي أكثر من النضوب العملي الذي هو وجود اليهود. أصبح اليهودي يتساءل مئة مرة لماذا يهاجر وإلى أين وما هو مستقبلي في الهجرة، كل هذا حدٌ من عملية الهجرة. وبنفس الوقت أصبح هناك سؤال كبير يطرح نفسه عند اليهود الذين هاجروا خاصة الذين هاجروا حديثاً وهو إلى أين الهجرة التالية، وتوسيع الهجرة في مكان آخر. أين المفر.

نتكلم عن الوضع الاقتصادي الفلسطيني والمأزق الفلسطيني، بينما الوضع الاقتصادي اليهودي أكثر تأثراً بالانتفاضة من الوضع الاقتصادي الفلسطيني، الفلسطيني اقتصاده بالأساس وعجلته دائرة على استيراد العنصر الاقتصادي من الخارج إمّا دعم الأبناء أو دعم السلطة أي دعم الشعب الفلسطيني خارجياً للداخل، ولكن الكيان الصهيوني لديه عجلة اقتصاد والعجلة الآن تردّت وتأخرت في كل شيء حيث قلّة قيمة الشيكل، الصناعة تراجعت السياحة تراجعت الشركات أسهمها انخفضت، بل الأكثر من ذلك كثيراً من الشركات بدأت تراجع عقودها، هذا الجانب لا تستطيع أن تفصله عن محور الانتفاضة وتداعياتها لأنه الجانب الآخر، بالتأكيد أيضاً لا تستطيع أن تفصلها عن الوضع العربي الذي بدأ يدعم الشارع الفلسطيني.

الشارع الفلسطيني لا يمكن أن يبقى بوضعه هذا منتفضاً أو مقاوماً بدون دعم حقيقي من محيطه وعمقه لأنه إن لم يكن هناك دعم عربي أو دعم إسلامي، وليس على المستوى السياسي والمالي والاقتصادي وحسب بل هناك المستوى المعنوي والروحي فمن خلال هذا الدعم في الحقيقة تضمن ضمانة كبيرة لاستمرار الانتفاضة.

نحن بحاجة إلى برامج عملية حقيقية في الإطار العربي والإطار الإسلامي لإعطاء المقاومة وإعطاء الانتفاضة أحقيتها ومرجعيّتها وشرعيتها وبالتالي للتراجع عن خيارات أوسلو وما إلى ذلك.

لماذا نسأل ما هي نهاية الانتفاضة؟ أنا في الحقيقة أقول: نعم الانتفاضة هي مرحلة من مراحل النضال الفلسطيني، ومحطة من محطات النضال الفلسطيني، حتى الأهداف التي وضعها الكثيرون، نحن نقول إن الانتفاضة قد تحققها وقد لا تحققها لأن الانتفاضة الطرف الآخر تُطرح عليه تداعيات أخرى، ولأول مرة الآن منذ أوسلو طُرحت أسئلة كبيرة داخل الكيان الصهيوني وأخرى من الجانب الآخر أن الانتفاضة والمقاومة جعلت الدفع في الاتجاه اليميني نحو الحكومة الذي هو نظرته إلى فلسطين كلها ونظرته إلى الوطن البديل ونظرته إلى تهجير الفلسطينيين الآن وهو التيار الحاكم في إسرائيل. والتيار اليهودي يدفعه إلى الانتفاضة التي هي نتيجة طبيعية، هذا التيار بدأ بطرح هذه الأسئلة الآن من جديد، وقد تكون منذ عشر سنوات والآن تُطرح من جديد، هذه المسائل كلها تقتضي الانتباه إلى الانتفاضة وتداعياتها وحساباتها بدقة شديدة جداً خوفاً من أن نخسر المعركة كما خسرناها في الانتفاضة الأولى لأني أعتقد انه فعلاً خسرنا الانتفاضة الأولى بأسلو ولا نريد أن نخسر هذه الانتفاضة بأي برنامج آخر يقطع الطريق على شعبنا ويحوّله عن نضاله ويجعل هذه المحطة تؤول إلى محطة أخرى أكثر اتساعاً وأكثر عمقاً في تحقيق أهداف الشعب العربي الفلسطيني.

وخلاصة القول إننا بحاجة إلى برنامج عربي داعم كبير بحاجة إلى برنامج سياسي موحد في الشارع الفلسطيني بحاجة إلى أهداف تخدم هذه الانتفاضة والمقاومة ومشاريع عمل مستمرة تحقق كل أهدافنا بعودة شعبنا وتحرير أرضنا.

د. طلال ناجي

في الحقيقة ما يتعلق بالجانب العربي للانتفاضة والوضع العربي الانتفاضة كشفت العجز العربي الرسمي والعجز العربي الشعبي صراحة، وعندما أقول الشعبي فأنا لا أقول عامة الجماهير وإنما أقصد الأحزاب العربية على الصعيد الشعبي، الانتفاضة أظهرت إلى أي حد أن الأمة العربية عاجزة ومقصرة وضعيفة وموقفها هزيل في مواجهة العدو الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية والموقف الأوروبي الضعيف والهزيل والمنحاز، كما ظهر في ديربان.

وأيضاً أظهرت الانتفاضة عجز الأحزاب العربية عن التفاعل مع هذه الانتفاضة وأن تكون مؤثرة على الشارع العربي وأن تكون لها ردود فعل بين الجماهير العربية.

ولكن ربما من الإيجابيات أن هذه الأندية وهذه الأحزاب بدأت تدرك عجزها وتقصيرها وحجم هذا التقصير وأن تتحسس ضرورة الفعل ضرورة أن تفعل شيئاً ما.

لذلك هي تحاول أن تعمل عبر القمم العربية عبر المؤتمرات الحزبية أو الأحزاب العربية والإسلامية عبر مجموعة من النشاطات تحاول أن تتحسس هذا العجز كما نحن نشعر به، فهم أيضاً يشعرون به صراحة رسمياً وشعبياً حتى أنك بتَّ تسمع من كبار المسؤولين العرب في مواقع السلطة الحديث المباشر عن العجز والتقصير الرسمي العربي.

لا أعتقد أنَّ احداً منا راضٍ عن الموقف العربي الرسمي، أولاً الجماهيرُ الفلسطينية كانت تتطلع منذ بداية الانتفاضة وبعد مرور شهر أو شهرين على الانتفاضة أن يكون هناك موقف عربي رسمي أكثر من هذا. لدعم الانتفاضة والوقوف في وجه أمريكا والكيان الصهيوني لم تلمس الجماهير الفلسطينية هذا الموقف الرسمي، اكتفت الأمة العربية بالقمم التي عقدت في عمان والقاهرة والدوحة التي لم يترتب عليها أي نتائج كافية بالحدود الدنيا، حتى قرارات الدعم المالي الكل يعلم ماذا حلَّ بها.

والأموال التي جُمعت إلى صندوق التنمية الإسلامي وكيف فرض الصندوق شروطاً تعجيزية من أجل بعض هذه الأموال، وحتى طرق إيصال المبالغ، وحتى الجهات التي تصل إليها المبالغ لا اعتقد أنها ترضى عن هذا الأمر، بصراحة وصلت مبالغ لم يجر الاختبار بها ولم يجر جمع ما اكتتب به حتى من هذه المبالغ.

إذاً هناك تقصير عربي رسمي وهناك عجز عربي رسمي والجماهير العربية اكتشفت هذا العجز الرسمي اكتشفت هذا العقم أنا لم أسمع في يوم من الأيام في حياتنا الكفاحية وحياتنا الإنسانية مرة من المرات أو مرحلة من المراحل

أن شُتمت الأنظمة العربية والحكام العرب كما تُشتم في هذه المرحلة على شاشات الفضائيات العربية من الجماهير العربية والمواطنين ومن عواصم الدول العربية وهذا يعني تعبيراً عن طفح الكيل، طفح الكيل عند المواطن العربي وربما هذا ما دفعها إلى أن تتحرك على صعيد القمم العربية ومؤتمرات وزراء الخارجية والاجتماعات المختلفة والتي نأمل الحقيقة أن تكون بداية تغيير في طريقة تفكير هذه الأنظمة العربية وفي المقابل مع قضايا الجماهير نأمل ان تكون بداية - إن شاء الله - طريقة التفكير وطريقة التعاطي مع قضايا الجماهير عبر التعاطي مع الانتفاضة الفلسطينية. على الصعيد العربي الحزبي الشعبي أيضاً أظهرت الانتفاضة عجزاً فاضحاً وفادحاً في نشاط الأحزاب العربية وأنا أعتقد أن الأحزاب العربية والقوى العربية والإسلامية أمامها فرصة تاريخية في هذه الانتفاضة إذا لم تلحق بها وتستفيد منها وتستغلها تفقد دورها للأبد أمام الجماهير العربية الإسلامية، عندما تدرك هذه الجماهير أن هذه الأحزاب لم تستطع أن تفعل شيئاً ملموساً أو جدياً لنصرة الانتفاضة لدعم الانتفاضة للوقوف في وجه أعداء الانتفاضة - الإسرائيليين والأمريكيين - لا يمكن لهذه الجماهير أن تثق بعد اليوم لا بالأحزاب العربية ولا بالأحزاب الإسلامية ولا بالقوى السياسية العربية والإسلامية، فهي فرصة تاريخية لها في أن تعبّر عن نفسها وتنظم جماهيرها، لأنكم تذكرون كيف هبّت الجماهير العربية في بداية الانتفاضة إلى الشارع بشكل عفوي وغير منظم وغير مدروس بصراحة عبرت عن غضبها تجاه القمع الإسرائيلي البربري ضد الشعب الفلسطيني عبّرت عن غضبها على السياسة الأمريكية المنحازة إلى الجانب الإسرائيلي لم تستطع الأحزاب العربية أن تستفيد من هذه الردّة الجماهيرية العارمة وتنظمها وترتقي بها إلى مستوى الفعل المبرمج، الفعل المنظم لدعم الانتفاضة والوقوف بوجه المصالح الأمريكية والإسرائيلية.

عندما استشهد أبو علي مصطفى - أعبر في هذه المناسبة عن الخسارة الكبرى لفقداننا لنا جميعاً، كمناضلين وكشعب فلسطيني وكأمة عربية، لأنه كان قائد متميز وصديق وأخ عزيز لكل مناضل فلسطيني وله علاقات وثيقة عربية ودولية وكان له دور نشط وبارز في الكفاح الفلسطيني المعاصر- فعندما عبّر أخي الدكتور ماهر الطاهر عن الغضب على الولايات المتحدة الأمريكية التي تقف وتشكل حافزاً للعنف الصهيوني بالمس بالمصالح الأمريكية كما تفضل أخي أبو عبد الله قامت الدنيا على هذا التصريح. لم يكن المقصود بهذا الكلام خطف الأمريكيين أو ضرب السفارات الأمريكية ولكن أليس من المحزن بعد مضي عام على الانتفاضة ألا تتضرر المصالح الأمريكية في العالم العربي والله محزن، والله محزن، أن لا تقاطع البضائع الأمريكية أن لاتنجح اجتماعات المقاطعة العربية سبع أو ثمان دول عربية تقاطع اجتماعات المقاطعة ومن حضر اجتماعات المقاطعة بعضه يتحفظ وبعضه يسكت.. والله مهزلة ومحزن هذا الأمر هذا يعكس كما قلت العجز العربي الرسمي والتواطؤ العربي ليس فقط عجز، بل تواطؤ من بعض الأنظمة العربية وبعض الحكام العرب إلى جانب العدو الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية.

عندما نسمع أن نظام عربي رسمي يقدم المعلومات الأمنية للعدو الصهيوني ويتعاون مع الكيان الصهيوني في اعتقال المناضلين وتسليمهم للعدو الصهيوني أليست كارثة هذه أليست محزنة هذه عندما يقف جيش عربي لحماية الحدود الفلسطينية حدود الكيان الصهيوني التي هي حدود فلسطينية لمنع أي تسلل أو تهريب سلاح لنصرة الشعب الفلسطيني، إذ ليس هناك عجز أو تقصير فحسب وإنما هناك تواطؤ من قبل بعض الأنظمة العربية مع العدو الصهيوني، بالتالي - حقيقة - الانتفاضة فرصة للمطالبة بتفعيل الدور العربي الشعبي والموقف العربي الرسمي وهنا المراهنة يجب أن تكون أولاً على الأحزاب العربية التي تمثل الشارع العربي، كيف نستطيع أن نرتقي بمستوى الفعل لهذه الأحزاب، لأنه حتى الاجتماعات التي تُعقد هنا وهناك من مؤسسات وأطُر، لم يعد المواطن يعتقد أنّ هناك جدوى كبيرة من هذه الاجتماعات، تكرار للوجوه وتكرار للمواقف دون أي أثر حقيقي للفعل.

المطلوب فعل حقيقي للجماهير من يقوم بفعل الجماهير والأحزاب والقوى السياسية المنظمة التي تنظم الجماهير وتُعدها وتدفعها للشارع للتعبير عن الغضب والتعبير عن العقل الإيجابي بمقاطعة البضائع الأمريكية ومقاطعة بضائع أي دولة تنحاز إلى جانب العدو الصهيوني، الموقف الأوروبي الهزيل يجب أن تفهم أوروبة أن مصالحها عند العرب معظم تجارتها عند العرب بترولها من العرب، والعرب لا يفعلون شيئاً لا ضد المصالح الأمريكية ولا ضد المصالح الأوروبية والأحزاب العربية تصمت، الجماهير تكتفي بالسماع للراديو أو مشاهدة التلفاز والبكاء أحياناً، غير كافٍ هذا الموقف وغير مقبول.

وبالتالي أعتقد بأن الانتفاضة فرصة إذا استمرت إن شاء الله لإحداث نقلة نوعية في الفعل العربي الشعبي تؤثر على الموقف العربي الرسمي لعلها تؤدي إلى فعل عربي رسمي من نوع جديد وفيما يتعلق بالانطباعية أنا أعتقد بأن أهم أمر يجب أن تقف عنده ونتطلع له هو كيف تستمر الانتفاضة حتى تحقق الأهداف التي جرى الإجماع عليها عفوياً من قبل القوى المشاركة في الانتفاضة قلت في بداية حديثي لا يوجد برنامج للانتفاضة ولا توجد قوة تضع برنامج تقود الانتفاضة لتحقيق مرماها.

يا أخي جرى إجماع شعبي عربي فلسطيني من القوى السياسية والجمعيات الفلسطينية على أن هذه الانتفاضة انتفاضة الاستقلال هذه الانتفاضة انتفاضة دحر العدو الصهيوني عن كل الضفة الغربية وقطاع غزة بما فيها القدس الشرقية، دعونا نتمسك بهذه الأهداف التي أجمعت جماهير الانتفاضة عليها دعونا نحول دون تصفية الانتفاضةوحرفها عن مسارها لأنه أليس هناك خطر على الانتفاضة؟ ليس هناك خطر كبير عليها. نحن الآن على أبواب العام كل ما يجري البحث له والأعداد له وكل الوساطات العربية والدولية تريد وقف الانتفاضة، تريد وأد الانتفاضة، عندما تستمع إلى مبادرة عربية رسمية من دولتين عربيتين تتحدث عن وقف أعمال العنف ماذا يعني وقف أعمال العنف. يعني وقف الانتفاضة، ومراقبين دوليين لوقف إطلاق النار يعني وقف العمل المسلح يعني إنهاء العمل الجماهيري ضد الاحتلال.

الانتفاضة شقين هناك عمل جماهيري وهناك عمل مسلح يجب أن تستمر أعمال الانتفاضة الجماهيرية لأنها تراجعت بصراحة، يجب أن تستمر الأعمال الجماهيرية الفلسطينية يجب أن يكون هناك برنامج للعقل الجماهيري اليومي للتعبير أمام العالم، خاصة في ظل الفضائيات التي نجحت في أن تنقل الحدث اليومي للعالم يجب أن يكون هناك عمل جماهيري يومي منظم ومبرمج وهذا من مسؤوليتنا نحن كقوى معارضة للتعاون مع تنظيم السلطة كي تضع برنامج مشترك لاستمرار فعاليات الانتفاضة ويجب أن نتمسك بحقنا لممارسة الكفاح المسلح في ممارسة العمل الاستشهادي يجب أن نفضح الأكذوبة التي تمارس ضدنا وضد كفاحنا من قبل أوروبة وأمريكا، وقوى عالمية وبعض الأنظمة العربية عندما تصف أعمالنا بالإرهاب، عملنا ليس إرهابي لماذا يُسمح للفرنسيين في فرنسة أن يقتلوا الألمان والمدنيين والعسكريين في باريس والمدن الفرنسية في الحرب العالمية الثانية ولم يكن هذا إرهاباً.

لماذا الجيش الايرلندي يجيدون التعامل معه حتى من قبل الإدارة الأمريكية كل الرؤساء الأمريكيين كانوا يتعاطفون مع (ماجيست) الايرلندي الجمهوري ضد بريطانية علماً أن الجيش الايرلندي يقوم بأعمال ضد مدنيين في لندن، وعندما يقوم الشعب الفلسطيني بعمل ضد الكيان المحتل الصهيوني الذي يحتل الأرض ويغتصب الحقوق، هذا إرهاب، هذا ليس من العدل في داخل فلسطين، عملنا هذا

ضد العدو الصهيوني مدنيين وعسكريين مستوطنين في داخل الخط الأخضر أو خارج الخط الأخضر، كل هذا عمل مقاوم وعمل مشروع وكفاح مسلح يجيز لنا القانون الدولي وشرعية الأمم المتحدة وكل شرائع الدنيا طالما أرضنا محتلة وشعبنا لاجئ ومشرد ومصادرة حقوقه، يجب أن نفضح هذه الأكذوبة وأن نمارس الضغط الشعبي على الأنظمة العربية التي تندد بهذه الأعمال للأسف الشديد، والقيادة الفلسطينية الرسمية وبصراحة يجب ان نعترف أن القيادة الرسمية الفلسطينية تقدم تبرير للأنظمة العربية والعالمية عندما تقوم بإدانة بعض العمليات العسكرية كيف ذلك؟ أي مسموح لشارون أن يقتل الأطفال والنساء والشيوخ والمدنيين من شعبنا وغير مسموح لفدائي فلسطيني أن يستشهد للتعبير عن رفضه للاحتلال، يوجد موقف فلسطيني في الحقيقة يبرر لأوروبا وأمريكا والعالم. يجب أن نمارس ضغوط على القيادة الفلسطينية للتوقف عن هذه السياسة التي أقل ما يمكن أن أصفها أنها سياسة لا تعبر عن تطلعات الشعب الفلسطيني وتطلعاته.

واسمحوا لي أن أقول في الختام أن الموقف الرسمي الفلسطيني يبرر للأنظمة العربية تقاعسها عن دعم القضية الفلسطينية. لأن الموقف الرسمي الفلسطيني لا يطالب النظم العربية والجمعيات العربية بالتلاحم والتضامن واعتبار القضية الفلسطينية، قضية مركزية لكل مواطن عربي. يا أخوة إذا حُطَّرت قضية فلسطين عن بعدها العربي والإسلامي تنتهي القضية الفلسطينية، قضية فلسطين مثل ما هي قضية الشعب الفلسطيني فهي قضية الأمة العربية والأمة الإسلامية إذا لم نحقق ذلك لا نستطيع أن نهزم هذا العدو الذي تقف وراءه الولايات المتحدة الأمريكية وتقف أوروبة - بشكل خجول وضعيف بسبب الضغط الأمريكي عليها - إلى جانب العدو الصهيوني، هذه من التداعيات التي أدعو إلى الوقوف أمامها ومحاولة منع هذه التداعيات ومن يمارسها من أن يؤثر على الانتفاضة ويوقفها لا سمح الله لأنها إذا توقفت ستكون كارثة على الشعب الفلسطيني قبل تحقيق أهدافها المجمع عليها.

رمضان شلح

لن أطيل ولن أضيف كثيراً على ما تفضل به الأخوة في الموضوعين أو المحورين الأخيرين، بالنسبة للموقف العربي أو العربي والإسلامي في الانتفاضة، لا أحد يختلف على وجود هذا البعد على المستوى النظري، فهو من الناحية الايديولوجية أو التاريخية البعد العربي والإسلامي موجود كجزء أساسي من هذه القضية، لكن نحن يهمنا الآن الجانب العملي في الموضوع أو كما يقول أهلنا في الانتفاضة: أين العرب وأين المسلمون وهم يذبحون الآن في السلاح الإسرائيلي؟

العرب - لا نريد ان نعيد رواية التاريخ - قصتنا معهم قصة معقدة، على الأقل التعقيد الأخطر أتى من بعد هزيمة ١٩٦٧ وشعار إزالة آثار العدوان هذا ما أسس ما سمي بالبرنامج المرحلي بأن القصة قصة أرض ١٩٦٧ وليس قصة كل فلسطين والنهر والبحر.

المحطة الثانية الأسوأ عربياً - كمشروع - الذي كان به إشارة عربية واضحة أنهم سيناقشون به الاعتراف الإسرائيلي في ١٩٤٨ ولكن هذا مطروح منذ ١٩٨٢ وإذا كان هناك شيء يوقف مسيرة التدهور العربي فهذا الشيء هو الكفاح والنضال الفلسطيني سواءً الكفاح المسلح مهما كان مستواه وأداؤه أو بالانتفاضة، ثم جاءت أوسلو حيث ظن بعض العرب أن أوسلو خاتمة المطاف ولم يصدقوا أن الشعب الفلسطيني تأتي قيادته الرسمية كمنظمة التحرير وتقول: إلى هنا يكفينا وهذا هو المطروح علينا، يكفي الشعب الفلسطيني، وهذا هو رهاننا، وهذا هو حلمنا، كثير من العرب لم يصدقوا أن القضية الفلسطينية تنزل عن كواهلهم بهذه الطريقة، وبدأ سباق الهرولة باتجاه الإسرائيليين حتى أنّ بعض العرب سابقوا الفلسطينيين أنفسهم ليس كل إنسان يعي أن الفلسطيني لديه مشكلة وقضية، ليس لديه وطن، ليس لديه هوية، ليس لديه جنسية، ليس لديه مأوى، وليس لديه اقتصاد او أي شيء آخر.

مصر عندها مشكلة سورية عندها مشكلة الأردن كذلك وفلسطين هي النافذة التي تأتي منها الريح ويمكن هذه الريح تقتلع هذه العروش ولذلك هم يسعون لإغلاق هذه النافذة ليرتاحوا. الانتفاضة أيضاً انقلاب على الحسابات التي كان العرب يشتغلون عليها ولذلك المقولة التي تقول أن العرب في مأزق من الانتفاضة صحيحة مئة في المئة وكل ما نسمعه من مواقف رسمية عربية، أي أنا رأيي المتواضع هي محاولات لرفع الحرج ونثر الرماد في العيون أمام شعوبنا. لا يستطيعون أن يقفوا مكتوفي الأيدي، فلابد على الأقل خذ القليل من السكر الطحين وبعض الفاكهة ودع الناس يظهرون على الفضائيات تتبرع بذهبها وصيغتها وكل هذا يؤدي في النهاية أن الوضع العربي متعاطف مع الانتفاضة لكن الوضع العربي في الحقيقة كما تفضل الأخوان أن هناك فرق بين الموقف الشعبي والموقف الرسمي. الموقف الرسمي محرج، في مأزق، مساعيه خفيفة، كيف تتوقف الانتفاضة، يراقب منسوب الصدام والتصعيد في داخل فلسطين بحساسية وتوتر لا يقل عن توتر الكيان الصهيوني وبعضهم إذا أراد أن يُسرّ لما يحدث في فلسطين ربما يفكر في العمل الجهادي في فلسطين من باب توظيفه عن طريق السلطة الفلسطينية القليل من العمليات ستعيد شارون إلى الطاولة، وبالتالي يُغلق هذا الباب وتوجه القاطرة على السكة ولذلك هؤلاء الذين يقومون بالعمليات لهم الشكر وكما تلاحظون أول شهر في الانتفاضة أصبح العرب والسلطة يصرخون أين حماس والجهاد.

ونحن رهاننا إن شاء الله، أن لا يتم تجاهل هذه الدماء والتضحيات لتسليك طريق مشروع خاسر من طراز مشروع أوسلو. والانتفاضة والوضع العربي كلنا نعرف الشارع العربي المقموع المسحوق المغلوب على أمره، ونحن لا نعتب كثيراً على هذه القوى لأنه لا نريد أن نخدع أنفسنا ونقول بأن هناك قوى مثل مصر مثلاً مهما قلنا أن هناك أحزاب وهناك معارضة والأردن نفس القصة وكل البلاد العربية، الحاكم العربي يعتبر نفسه هو ظل الله في الأرض وفي الحقيقة هو ظل أمريكا لكن ليس هناك حرية حقيقية التي تدع القوى تنهض وتأخذ زمام المبادرة في الشارع،

وبالتالي أنا أعتقد أن الانتفاضة يجب أن لا تنتظر الكثير من الشارع العربي ولا من الموقف العربي الرسمي بل يجب أن تضع ضمن أهدافها التأثير في الشارع العربي والأمة العربية يعني لا تأثر بالعرب بل تُؤثر بالعرب وتهزهم وتزعزع هذا الوضع الذي يعيشون فيه بالتوافق مع أمريكا ومع إسرائيل والسقف الذي رسمته للمنطقة ضمن عملية التسوية والانتفاضة تستطيع فعل ذلك لأن العرب مرعوبون ولا يتحملون أنّ العدوى تنتقل إلى شعوبهم وشوارعهم.

وفي الذكرى الخمسين لقيام الكيان الصهيوني قرأت عدة مقالات في صحيفة هربرت انترناشونال (International) حيث كتب مقال خطير حول البحث عن السلام في القرن القادم لإسرائيل حوالي - ست صفحات - وقال بأن كل الاتفاقات التي وقعناها كلام فارغ ونحن موجودون في محيط معادي وهذا المحيط في مشكلتين، الأنظمة الموجودة أنظمة ليست شرعية، وغير منتخبة وشارعها يغلي بالأصولية وبالغضب الذي لا نعلم إلى أين سيصل، وبالتالي كل هذا الذي وقعناه لا يمثل ضمانة في أي حال من الأحوال لأمن إسرائيل من القرن القادم، كما يراقب الإسرائيلي شارعنا العربي والإسلامي بهذه الطريقة نحن أيضاً في الانتفاضة سنواجه الكيان ونهيمن على الشارع العربي والوضع العربي.

ما هي آفاق وتداعيات الانتفاضة؟ الموضوع يعتمد على الطرفين وليس علينا نحن لوحدنا، يعتمد على جبهة العدو ويعتمد علينا، لأنه حتى لو كان بنا نوع من الضعف في الأداء أو عدم القدرة على تحقيق نوع من التوازن معه، في المعركة أحياناً العدو قد يرى الشيء البسيط من جانبنا شيئاً كبيراً جداً لا يحتمل أن يعمل انقلاب

بالمنطقة، لذلك الوضع في الكيان الصهيوني يقف على شفى حفرة، في السابق كان الجماعة يتكلمون عن التسوية كخيار استراتيجي في الكيان الإسرائيلي، شارون في ١٩٨٢ عندما اتُهم بمذبحة صبرا وشاتيلا حتى في الكيان الإسرائيلي أينما ذهب كانوا يقولون عنه سفاح وكان محطماً ومنبوذاً لما يُسمى قوى السلام، وإن أتى في هذا السياق صراع حزبي، شارون كان في قاع الهرم خارج الهرم السياسي، فضلاً عن أن اليمين الإسرائيلي المتطرف هو هامشية صغيرة لم تعد هذه القوى الهامشية الصغيرة اليوم تتمسك بالعرب الذي لفظته السياسة الإسرائيلية كمنبوذ قبل عشرين سنة، الآن هو على قمة الهرم في السياسة الإسرائيلية هو الذي يتكلم عن التسوية اليوم والذي يتكلم عن التعايش، ٧٥٪ مع اغتيال الرفيق أبو علي مصطفى، وكل قيادات الشعب الفلسطيني مع أن شارون لو يقدر أو لو يستطيع أن يعيد مجزرة صبرا وشاتيلا من تحت الطاولة أو علناً في جنيف فليتفضل هكذا يقول الشارع الإسرائيلي في مواجهة الانتفاضة، هذا يعطينا رصيداً كبيراً جداً نحن كشعب فلسطيني حيث نواجه قلعة.

أقول في النهاية هذه دولة انتحارية هذه دولة جاهزة للانتحار وإلا لماذا جلبت السلاح النووي يستكثرون علينا فرض الاستشهاد فيسمونه انتحار، هي دولة جاهزة للانتحار في المواجهة لكن بالعمليات الاستشهادية نحن في بداية الطريق لمواجهة دولة انتحارية في المنطقة لذلك تداعيات الانتفاضة هي المرهونة بإمكانياتنا نحن أو تعقيدات السياسة الفلسطينية مرهونة بالطرف الآخر وكيف يرى فعلنا وهذا قد يؤدي إلى تداعيات أخرى لم يحسب العرب ولا المسلمون ولا غيرهما لها أي حساب.

خالد عبد المجيد

أولاً لابد من الإشارة إلى ما طرحه الأخوة من أسئلة وما طرحته الانتفاضة من أسئلة وفي هذا المجال أشير إلى أن العديد من الأسئلة التي طُرحت على صعيد الانتفاضة الفلسطينية استطاع الشعب الفلسطيني خلالها أن يجيب على بعضها في التفاعلات الجارية وأنّ هناك العديد من الأسئلة بحاجة إلى إجابة وتحليل حقيقي وأعتقد أن مجريات الأمور والتطورات القادمة ستكون قادرة على الإجابة على هذه الأسئلة، أي من الأمور التي تؤخذ بشكل ميكانيكي،لا أحد كان يتوقع في البداية أنّ تتطور أساليب الانتفاضة وفعلها وتأثيراتها وتفاعلاتها، منذ أن انطلقت الانتفاضة كانت قوى الثورة وسائر فئات الشعب الفلسطيني قد طرحت كل هذه الأمور على الطاولة ولديها القدرة على الإجابة عليها، ولذلك هناك أسئلة مطروحة علينا فلسطينياً طرحتها الانتفاضة سيجرى التفاعل معها، الأحداث وتطوراتها تجيب على العديد من القضايا التي لازالت بحاجة إلى حوار ونقاش وجدال في الساحة الفلسطينية أما على صعيد الكيان الصهيوني فالكيان الصهيوني نفسه فوجئ بفعل وتفاعلات الانتفاضة ووصول أشكال وأساليب النضال الفلسطيني إلى هذا المستوى، وهذا ما جعل العدو نفسه يُقدِم على حملات وهجمات شرسة ووحشية من تدمير وقتل واغتيال بشكل لم يكن تتوقعه إدارة الكيان نفسه وكثير من الأحزاب والقوى والحكومات لم تكن تتوقع أن تصل الأمور إلى هذا المستوى من التفاعلات في الانتفاضة. الموضوع الذي يتعلق بالوضع العربي وهذا ما أشار إليه الأخوة الذين سبقوني في الحديث، أنا أعتقد أن تفاعلات الانتفاضة في الوضع العربي وترابطها قضيتين لهما علاقة جدلية مع بعضهما البعض، ففي مرحلة من المراحل كانت العلاقة الوطنية والتأثير الوطني في الساحة الفلسطينية بحاجة إلى عمق وعلاقة جدلية قومية وإسلامية فنحن الآن كانتفاضة شعبية وكشعب فلسطيني من خلال هذا الدور الناهض الذي يشكل خندق أمامي للأمور يجري تفاعلات في الوضع العربي على صعيد كل قطر عربي، بمعنى آخر، وجد المواطن العربي في شعار الانتفاضة، في دعم الانتفاضة في استمرار الانتفاضة، مدخل لتلبية الحقوق الوطنية والنضال من أجل القضايا الوطنية في كل ساحة من الساحات بحكم الظروف التي يعيشها كل نظام عربي وبحكم الإجراءات التي تتخذها الأنظمة العربية لقمع شعوبها، يجد الآن في الإنتفاضة أن هذا هو المدخل وهذا هو الشعار الذي يستطيع أن يربط بين الالتزام الوطني والحقوق الوطنية لكل ساحة، وبين الالتزام القومي تجاه قضية فلسطين، التي هي قضية العرب والمسلمين فكثير من الفعاليات والتحركات والخطوات التي تمّت لها علاقة في ترابط جدلي بين القضيتين الوطنية والقومية هذا الترابط يزداد يوماً بعد يوم بشكل يشعر به المواطن العربي، إذا حققت الانتفاضة انتصاراً على الصعيد الوطني الفلسطيني بالتأكيد على الساحة العربية سيكون لذلك آثار إيجابية على حقوق المواطن العربي في كل قطر من الأقطار.

في الجانب الذي يتعلق بالدور العربي رسمياً وشعبياً أيضاً إضافات بسيطة إلى ما أشار إليه الأخوة، فالشعب الفلسطيني مصاب بخيبة أمل ويجب أن نقول هذا بصراحة مصاب بخيبة أمل على الصعيدين الرسمي والشعبي من هذا الفعل المحدود مع أنّ الشعار العام دعم الانتفاضة وصحيح أنّ الانتفاضة فرضت قمتين عربيتين وقمة إسلامية وصحيح أن الانتفاضة أحدثت تفاعلات في بعض الساحات لكن لم تصل هذه التفاعلات في الساحة العربية لغاية الآن إلى مستوى التضحيات، إلى مستوى شلال الدم إلى مستوى المواجهة الحقيقية كالتي تحصل في فلسطين في مواجهة الاحتلال، وبالتالي هذا شكّل خيبة أمل يجب ألا تدفعنا إلى مواقف سياسية خاطئة أحياناً كفلسطيني ينقاد إلى سياسي يلعن الأمة نتيجة هذا التحرك المحدود للأمة، أو البعض الآخر مثل الموقف الرسمي الفلسطيني يربط أو يبرر مواقفه مع هذا الوضع العربي رسمياً بشكل يسير بحالة من التنسيق ضمن الإرادات الموجودة، نحن نعتقد كشعب فلسطيني أنه في ظل الظروف المعقدة وفي ظل الظروف الصعبة يجب أن نستمر بالتحرك بالاتجاهين، بالاتجاه الذي يساهم في تفعيل الموقف الرسمي العربي رغم دنوّه ورغم العديد من الخطوات التي تسعى للالتفاف على الانتفاضة وهذا لا يمكن أن يتم إلا باستمرار الانتفاضة بفعل الانتفاضة باستمرار المقاومة بتفعيل الحالة الفلسطينية أكثر وهذا الأمر سيقطع الطريق أمام المناورات العربية وسيقطع الطريق أمام محاولات الالتفاف على الانتفاضة وسيؤدي في النهاية إلى إحراج الأنظمة وإلى محاولة تفعيل الموقف العربي الرسمي بشكل تراكمي أفضل في المرحلة القادمة.

أمّا على الصعيد الشعبي فأعتقد أن هذا الأمر بحاجة إلى وقفة بشكل آخر، لأنه يجب أن نعترف أن الأحزاب والقوى الشعبية العربية أصابها ما أصاب السلطة الفلسطينية وما أصاب الوضع سواءً في عملية التراجعات أو في عملية الانكفاءات أو في عملية الانقسامات أو أي وضع تعيشه هذه الأحزاب، الحالة الشعبية العربية بحاجة إلى طليعة وهذه الطليعة غير موجودة وتقتصر النشاطات على صعيد كل قطر بخطوات لم تصل لغاية الآن إلى الفعل المطلوب.

وهنا يأتي السؤال الذي طرحه الدكتور ماهر الانتفاضة ودور الفلسطينيين في الشتات وفي الخارج نحن كشعب فلسطيني كتجمعات فلسطينية أعتقد أننا مطالبين أن نكون في كل التجمعات الفلسطينية في كل الأقطار العربية في كل التجمعات في العالم يجب أن نكون نحن أصحاب القضية (الدينمو) المحرك لتفعيل الحالة العربية والإسلامية والدولية بالاتجاه الذي يُساهم في تفعيل هذه الحالة وينميها أكثر فأكثر أن نبادر نحن لأننا نحن المعنيون بالأمر بشكل أساسي بمبادرات بخطوات باقتراحات في الساحة العربية على الأحزاب وعلى القوى وعلى الفعاليات الشعبية العربية من أجل تفعيل هذه الحالة. أنا أعتقد أن الأمور

ستبقى ضمن ما تحاول أن تقنعنا به الأنظمة العربية بهذه الأحزاب وبهذه القوى، وهنا أنا أضرب مثالاً أعتقد انه على صعيد العالم الإسلامي الخط الذي انتهجه التيار الإسلامي والقياديون في حركة حماس والجهاد الإسلامي خلال مرحلة أوسلو خلال الثمان سنوات الماضية بدأت جماهير أمتنا الإسلامية وعند بعض الحكومات بالنظر إلى الموضوع الفلسطيني بدأت بالتفاعل مع الموضوع الفلسطيني، غير النظرة التي كانت قائمة في السابق، ومثال آخر على الصعيد القومي، ما تجسيد تعزية وجنازات الرفيق أبو علي مصطفى وعبر هذه التعزية وعبر المسيرات وعبر ما جرى من فعاليات هي تعبير حي للعمق والإرادة القومية العربية لما تمثله الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ولما يمثله الرفيق أبو علي مصطفى من عنوان ولما يعبر عن إرادة الأمة العربية عبر استشهاد الرفيق ابو علي مصطفى وعبر الجبهة الشعبية والتزامها بقضية فلسطين لأنه لاحظنا في كل الساحات العربية وفي كل الفعاليات غير الفلسطينية في كل الفضائيات كيف وجدت الجماهير العربية في التعبير عن هذا الموقف القومي المرتبط بقضية فلسطين وكذلك وجدنا بأفريقية بآسيا وقبل أيام قامت المسيرات التي حدثت في بعض الدول الأفريقية وما حصل في ديربان وهذا البعد الإسلامي أيضاً الذي يعبر عن إرادة الأمة الإسلامية. خلاصة الحديث أن الصراع في الساحة العربية بين إرادتين بين إرادة المقاومة والصمود وبين إرادة عربية أخرى تحاول الالتفاف على الانتفاضة الشعبية من خلال مبادرات، من خلال التعاطي مع الاقتراحات الأمريكية والمشاريع المطروحة، وبالتالي هذا الصراع بين الإرادات سيستمر في الحالة العربية كما هو في الحالة الفلسطينية.

عملية اختلال ميزان القوة في هذا الموضوع يتعلق بالوضع الفلسطيني نفسه بمعنى أن تبقى حالة الانتفاضة مستمرة أن تبقى المقاومة مستمرة أن يتم تفعيل الخطوات على الصعيد الشعبي الفلسطيني والعربي وبشكل يقطع الطريق أمام الإرادة الأخرى التي تحاول الالتفاف على الانتفاضة، وبهذا المجال بعيد عن التطيّر أنا أعتقد أن هناك قلق حقيقي ومخاوف حقيقية تجاه ما يدور من مناورات دولية وعربية من أجل وقف الانتفاضة، ومن أجل الالتفاف على خيار المقاومة الفلسطينية، هذا الأمر في السياسة الدولية العالمية ـ كما لا حظنا ـ في الموقف الأمريكي يحاول فرضه على الساحة العربية وبالتالي الساحة الفلسطينية، الآن بدا العامل الذاتي في الحالة الوطنية الفلسطينية مؤثراً وفاعلاً في مجريات السياسة على صعيد الساحة الدولية والعربية، إذا انكسرت هذه الإرادة، هذه الحالة ستحدث أوضاع كارثية لا تتعلق بالشعب الفلسطيني فحسب الأوضاع الكارثية ستتعلق بالشعب الفلسطيني وبالأمة العربية لأن انكسار الإرادة الفلسطينية والانتفاضة مدخلاً لمشروع صهيوني أمريكي على كل الأمة العربية.

فيما يتعلق بتداعيات الآفاق أنا أعتقد أن أمام التداعيات والآفاق احتمالات مفتوحة ولا نستطيع أن نغالي أو نكابر أو نتطيّر أو نغامر بمواقف بعيد عن إرادة الواقع كما أن كل الاحتمالات مفتوحة أمام الانتفاضة ونحن شعب فلسطيني يعبر عن إرادة تتجذر يوماً بعد يوم، ولكن يجب أن نعترف بالمقابل أن هناك مخاوف أن هناك هجمة شرسة بحلقات مترابطة صهيونية أمريكية غربية عربية في حالة فلسطينية تريد وقف الانتفاضة هذا التكالب في الالتفاف على الانتفاضة يؤدي إلى حالة القلق، حجم الخسائر حجم كل الأوضاع التي يعيشها شعبنا الفلسطيني، المضايقات، عدم الدعم لصمود الشعب الفلسطيني، كله يؤدي إلى حالة القلق.

الاحتمالات أمام الانتفاضة احتمالات مفتوحة لكن لابد من أن يكون لدينا قضيتين يجب أن نتوقف عندهما:

القضية الأولى: كيف نستمر بتعزيز وحدة وطنية شعبية نظامية ورغم الوحدة التي تحققت في الميدان إلا أن هناك الكثير من الثغرات لابد من التوقف أمامها. القضية الثانية: القرار السياسي، وهو يتعلق بصيغة وبرنامج ـ لا يوجد أنا برأيي ـ لا صغية ولا برنامج لمرجعية وطنية فلسطينية قادرة أن تضمن استمرار إرادة الانتفاضة، لأنه إذا أردنا أن نعترف لغاية الآن زمام المبادرة فلسطينياً وعربياً في توظيف تفاعلات الانتفاضة والوضع الفلسطيني في يد القيادة الفلسطينية وفي يد القرار العربي الرسمي، لاشك أن الانتفاضة «خيار المقاومة» فرض وقائع جديدة على الأرض لكن لغاية الآن هناك تخوّف أنّ زمام المبادرة لغاية الآن تمسك به القيادة الرسمية الفلسطينية، التنسيق مع الوضع العربي يؤدي إلى مخاطر حقيقية وبالتالي نحن بحاجة إلى عنوان اسمه الصيغة والبرنامج من أجل استمرار خيار المقاومة والانتفاضة.

د. ماهر الطاهر

بصدد موضوع الانتفاضة والوضع العربي برأيي من المشكلات الأساسية التي واجهتها الانتفاضة أنها قامت في ظل أسوأ وضع دولي وعربي. الوضع العربي منقسم، النظام العربي الرسمي يعيش مشكلات حقيقية بعد حرب الخليج الثانية، قامت الانتفاضة في ظل ظروف مجافية للغاية ومع ذلك استطاعت أن تستمر حتى الآن لمدة عام ومرشحة للاستمرار لاشك أن هناك جوانب إيجابية في الوضع الشعبي العربي ينبغي أن لا نغفلها خاصة ما حصل خلال الشهر الأول من اندلاع الانتفاضة. وهناك تعاطف شعبي عميق، وأظن أن هذه الانتفاضة ستترك آثاراً عميقة في الواقع العربي وإن كنا لا نراها بشكل مباشر الآن لكن أظن أنها ستترك بصماتها سواء على صعيد الأنظمة أو على صعيد القوى السياسية أو على صعيد الشعوب أنا أفضل أن أشير إلى نقطتين فيما يتعلق بالموضوع العربي المشكلة عندما يأتي النظام الرسمي العربي ويسقط الخيار العسكري في المجابهة مع إسرائيل وعندما تطرح مقولات من نوع أن حرب أكتوبر هي آخر الحروب وأنّ السلام هو خيار استراتيجي فان لا خيار سوى خيار السلام هذا فعلاً أحدث اهتزاز عميق وخلل عميق في الأوضاع العربية لأن إسرائيل بدأت تتصرف على قاعدة أنها الطرف الوحيد المالك لخيار الردع العسكري بينما الطرف الآخر أسقط هذا الخيار نظرياً وعملياً يعني حتى نظرياً كان ممكن أن يبقى هذا الخيار كتهديد إن لم نسقطه فليس من الضرورة أن نلجأ له في ظل الظروف الدولية القائمة أي هذا لا يعني دعمنا للحرب لكن أن يُسقط هذا الخيار وبشكل علني، هذا يُعطي قوة كبيرة لإسرائيل ونقطة ضعف كبيرة بالنسبة للواقع العربي الرسمي لأن هناك سؤال مهم: عندما نقول السلام خيار استراتيجي وسقوط الخيار العسكري ما هي الاستراتيجية العربية في حال فشل ما يُسمى بعملية السلام أي كيف تتصرفون، وهذا السؤال الآن مطروح بشكل جدي.

هذا الخيار وصل لطريق مسدود عندما تنعدم الخيارات ولايكون لديك خيارات أخرى، إذاً يصبح الشيء المؤهل له النظام العربي هو أن يضغط على الشعب الفلسطيني، أن يضغط على الفلسطينيين لكي يساوموا ولكي تجهض الانتفاضة، أي ليس لديه خيارات أخرى.

وبالتالي هذا يشكل أحد عوامل الخطر حول استمرار الانتفاضة وشمولها، وبعض الأطراف العربية كانت تؤكد على عودة التفاوض وتؤكد على موضوع وقف العنف وتدلي ببعض التصريحات وكأنه هي الطرف المحايد وكأنه هناك طرفين يتصارعان وهي طرف محايد يحل المشكلة بين الطرفين، هذا الحقيقة مأزق كبير لازلنا نعيشه كشعب فلسطيني وكانتفاضة.

النقطة الأخرى أنا أوافق الدكتور طلال ناجي على ماقاله أن الانتفاضة أظهرت عجز القوى السياسية العربية بمختلف اتجاهاتها ومنابعها الفكرية ■■

أعمال الندوة الفكرية بمناسبة مرور عام على الإنتفاضة

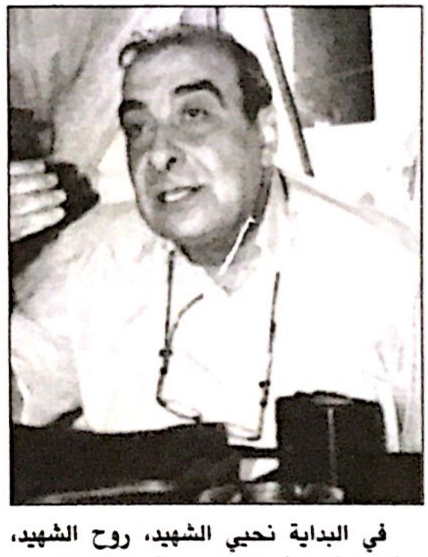
بالتوازي - ندوتها السياسية دعت «الهدف» مجموعة من المفكرين العرب للتداول حول الأسئلة الفكرية والثقافية للانتفاضة وتقويم تجربة عام من الكفاح البطولي للشعب الفلسطيني وصولاً إلى الدور المنوط بالمثقفين العرب لعبه.

وشارك في الندوة كل من: د. منير الحمش والاستاذ ميشيل كيلو والاستاذ سمير الزبن ود. أحمد برقاوي والاستاذ جودت السعيد وأدار الندوة الزميلين جواد عقل ود. محمد أبو ناموس.

جواد عقل

افتتاح الجلسة: لا نستطيع فتح مواضيع كبيرة ومتشعبة لأنه من الصعب مناقشتها في هذا الوقت الضيق، وأننا لا نستطيع إعطاءها حقها، وباعتبار أنكم مثقفون وأصحاب رأي فيما يتعلق بكل الأمور التي تواجه الانتفاضة سواء قضاياها التنظيمية أو السياسية فأنا أعتقد أنه من الأفضل لكل أخ أن يتحدث بجانب من الجوانب المطروحة لإغناء النقاش.

ميشيل كيلو



في البداية نحيي الشهيد، روح الشهيد، ورفاق الشهيد أبو علي مصطفى ونحيي جميع شهداء الانتفاضة، وشهداء الأمة العربية، المشاعل التي تنير طريقنا بجد نحو الحرية والاستقلال والكرامة. عندما يتأمل الإنسان التاريخ الحديث يرى أننا أهملنا ربما في فترة طويلة أهمية الأراضي الفلسطينية المحتلة بالنسبة للمشروع الصهيوني، وربما نكون قد جنحنا في السنوات الخمسين الأخيرة أو الأربعين الأخيرة، إلى اعتبارها موضوع نزاع وإلى الاعتقاد بأن إسرائيل تعتبرها موضوع نزاع، حين يتأمل الإنسان الأدبيات السياسية ويتأمل المشروع الصهيوني يصل إلى نتيجة معاكسة، الصهاينة لا يعتبرون فلسطين مفصولة عن الضفة الغربية، ولكن الضفة الغربية هي فعلياً وفلسطين مقولة واحدة، ليس هناك فلسطين عام ١٩٤٨ تحتلها إسرائيل، وضفة غربية موضوع نزاع مع الفلسطينيين، هناك إسرائيل تحتل فلسطين ١٩٤٨، وتكملتها هذه الأرض التي اسمها الضفة الغربية التي ربما اضطر الإسرائيليون إلى تقديم تنازلات من نمط ما إلى هذه الجهة الفلسطينية أو تلك بصددها ولكنهم لم يصلوا لا تطبيقاً لقرارات دولية ولا لأي شيء آخر، إلى تسليمها كاملة إلى الفلسطينيين باعتبارها مقر دولة فلسطينية تطبيقاً لـ٢٤٢-٣٣٨ أو مقابل سلام مع العرب، كل الأدبيات تقول ذلك، كل الأفعال الإسرائيلية منذ عام ١٩٦٧ تقول ذلك، ففي عام ١٩٦٧ احتلوها وأعلنوا أن اسمها «يهودا والسامرة» وأنها جزء من أرض إسرائيل، ومناحيم بيغن قال في تصريحاته المتكررة: لا أحد يحتل أرضه، ولا أحد ينسحب من أرضه. تعرفون هذه التصريحات جميعاً.

عندما تعودون إلى خطة إيغال يادين، وهي من أوائل الخطط التي وضعت تصورات الحل مبنية بأسرها على أن الضفة الغربية في جوهرها أرض يهودية، وتابعة لما يسمونها أرض إسرائيل، وأن على إسرائيل الاحتفاظ بها مقابل تقديم بعض التنازلات ذات المدلول الإقليمي وليست ذات المدلول الفلسطيني.

إذا أخذتم كامب ديفيد تجدون أن هناك تصريحات كثيرة تقول نحن عقدنا صلح تاريخي مع مصر من أجل غرضين أساسيين هما: الاستيلاء على الضفة الغربية وتحويل صراعنا مع العرب إلى صراع عشائر، أي صراع من درجة ثانية بعد انقلاب ميزان القوى الذي لن يمكن العرب من القيام بأي شيء آخر بعد ذلك.

الدخول إلى لبنان كان الغرض منه قصم ظهر منظمة التحرير، كي يعلنوا رسمياً ضم الضفة الغربية، الاستيطان من أوله إلى آخره عام ١٩٧٠ عقدت ندوة في إسرائيل شغلت نفسها بمسألتين جوهريتين:

الأولى: كيف نهوّد الجليل والثانية: كيف نهوّد الضفة الغربية انطلاقاً من القدس، وبالتالي فكرة ان الضفة الغربية يجب أن تبقى مع إسرائيل، وهي جزء تكوين من أرض إسرائيل موجودة كل الوقت، حتى في أوسلو الفكرة الجوهرية، ان نقدم لكم ترضية قطعة من الأرض ممزقة ومجزأة والخ.. في المحصلة النهائية ما يبقى منها وهو المساحة الأكبر يجب أن يكون جزء من إسرائيل، أريد أن أقول أن ما يجري الآن هو انتفاضة وهو إذا شئتم حرب فلسطين الثانية وأنا برأيي يجب أن نرى الانتفاضة باعتبارها تتحول أكثر فأكثر إلى حرب فلسطين الثانية هذا المصطلح ليس من عندي وإنما هو كلمة لأريبل شارون قالها قبل أيام، هذا استمرار لحرب ١٩٤٨ وهذه حرب على فلسطين وأنا أعتقد أن حسم مصير الانتفاضة أو بالأحرى حسم مصير الضفة الغربية والنتيجة التي سينتهي إليها الصراع على الضفة الغربية لها مدلول واحد هو تحديد مصير إسرائيل هكذا يفهمونها وهكذا هي في الواقع. إذا قامت دولة فلسطينية إذا نجح الفلسطينيون في تحويل حرب فلسطين الثانية إلى حرب تحرير الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وغزة وأقاموا فيها دولة بشروط ٢٤٢-٣٣٨ هذا يعني أن المشروع الصهيوني خسر في رهانه التاريخي الكبير المرحلة الثانية من نظرته إلى قضيته، خسر جزء رئيسي مقوم جوهري من مقوماته الذي لن يستكمل شروطه كلها إذا لم يتوفر هذا المقوم وهو الاستيلاء على الضفة الغربية. كلكم تعرفون فكرة الخلاف الصهيوني حول أنه نحن نرى فلسطين شرق وغرب النهر، نتنازل عن شرق النهر من أجل أن

ناخذ الضفة الغربية، الليكود والآخرون يقولون فلسطين شرق وغرب النهر ومن يريد أن يقيم فلسطين شرق النهر فليذهب إلى هناك. الضفة الغربية يهودية إذاً. إذا نجح الفلسطينيون، إذا نجحت هذه الانتفاضة فهذه الانتفاضة لن تقرر فقط مصير الدولة الفلسطينية، وإنما هي حرب تحرير دولة إسرائيل أيضاً، من هنا توليها إسرائيل هذه الأهمية الكبيرة وهذا يفسر في تقديري الحقيقة المهمة التالية وجود إجماع وطني إسرائيلي على الحل النهائي لقضية الأراضي المحتلة المسماة الضفة الغربية وبالتالي هذا التقارب والتطابق اللذان يقومان الآن بين حزبي العمل والليكود تعلمون أنه في الدول الحديثة كلما اقتربت أكثر من الأهداف الاستراتيجية العليا، كلما كان هناك وحدة بين القوى السياسية أكبر، يعني الآن أنت عندما تأتي إلى الحزب الاشتراكي وإلى الحزب الديغولي في فرنسا وتتحدث مثلاً عن مسألة كورسيكا ربما وجدت خلافات، عندما تتحدث عن وحدة فرنسا مع كورسيكا لا يكون هناك خلافات يكون هناك إجماع وطني.

وبما أن الإسرائيليين يعتبرون الضفة الغربية جزء جوهري ويريدون منع قيام دولة فلسطينية بالمعنى الذي قررته ٢٤٢-٣٣٨ والذي تريده الانتفاضة ويريده الشعب الفلسطيني بإرادته الموحدة، ولديهم الآن هذا النمط من الإجماع الوطني الذي يجعلك تتساءل أين هو حزب العمل، وأين هو حزب الليكود، والذي يجعلنا نتساءل جميعاً، أين هو اليسار الإسرائيلي، فعلياً فإن اليسار الإسرائيلي أمام الحل النهائي، أمام الحل الذي سيقرر مصير الدولة أنا أعتقد أن مواقفه لن تكون بعيدة كثيراً عن مواقف (القوى) والاجماع الوطني وفي الإجماع الوطني، هناك اختلاف في تصور ما يلي: حزب العمل يقول سنعطيهم ٥٠٪ والليكود يقول نعطيهم ٤٠٪ أخذوا ٣٢٪ وباقي لهم ٨٪ أما حزب العمل يقول باقي لهم من ٨ إلى ١٨٪ أما الكتلة الأساسية، (الكتلة الجوهرية) من الضفة الغربية هناك إجماع على أنها يجب أن تنضم إلى إسرائيل، لهذا الشيء أعتقد أنه لا مجال للعب فيه، بالنسبة لهم، إلا إذا تراجعوا عنه نتيجة هزيمة عسكرية.

أصل الآن إلى النقطة وهي: هذا الذي نسميه الانتفاضة، هذا الذي نسميه الجهد الوطني الفلسطيني الذي اعتبر انتفاضة الاستقلال ثم انتفاضة الأقصى ثم انتفاضة الاستقلال، وأنا أعتقد أنه يتخطى في أهميته تقرير مصير الضفة الغربية كما قلت إلى تقرير مصير إسرائيل وربما إلى تقرير مصير العالم العربي خلال ٢٥ سنة القادمة. بمعنى أنه إذا فشلت الانتفاضة فإن إسرائيل ستطفئ على كل العرب بالطريقة التي تريدها ولن يجرؤ مخلوق على مطالبتها بالانسحاب من أراضيه ولا حتى على المفاوضات معها حول أراضيه وستعلن في اليوم الثاني دمج وضم كل الأراضي العربية المحتلة وستطرد عرب الجولان وستطرد الخ والخ.. الخ.

بهذا المعنى الانتفاضة تحولت وباختصار شديد الانتفاضة - فعلياً إذا شئتم - إلى حرب المصالح العربية العليا ضد المشروع الصهيوني ولكن التي يحملها الحامل الفلسطيني وحده وهنا جريمة الموقف العربي.

الفلسطينيون يخوضون اليوم حرب المصالح العربية العليا والمصالح الوطنية الفلسطينية العليا بعد ٣٤ سنة احتلال بعد ١٠٠سنة من التشرد بعد ٤٥ سنة من الثورة المسلحة والعذاب والتقتيل لكل الأطراف عوضاً ان تكون الأمة العربية معها بإمكانياتها وقواها وأن تضع جهدها في مصلحتهم وأن تقدم ٨٥٪ من الجهد العملي الميداني والنضالي والإمكانات الفعلية والمعنوية، إذا شئتم للمعركة، هي تجلس الآن تتفرج وتنتظر أن يأتيها هذا الشعب المعذب المضطهد المشرد، والمناضل المعبأ والمنظم بمصالحها العليا وبحقوقها العليا.. مأساة حقيقية.. ماذا فعل الفلسطينيون؟. أنا أعتقد أن الفلسطينيين حققوا إنجازاً هائلاً هو أنهم خلقوا حالة إجماع وطني مقابلة للحالة الإسرائيلية الصهيونية حول الهدف النهائي لنضالهم وحول أساليب ومنطلقات ومراحل هذا النضال وعقدوا اتفاقاً على أن لا يسمحوا لأحد بأن يفكك وحدتهم الوطنية بأن يفكك هذا الإجماع الوطني الذي يقوم على التفرع مثل اي إجماع وطني في العالم وإذا كان هناك من يعتقد أن الإجماع الوطني يعني وحدة الراي الواحد فهو واهم. الإجماع الوطني يعني وحدة الآراء المتنوعة وتقارب الآراء المتنوعة أو تزاوج وتداخل الآراء المتنوعة ووحدة الهدف - أو القصد.. إلخ..

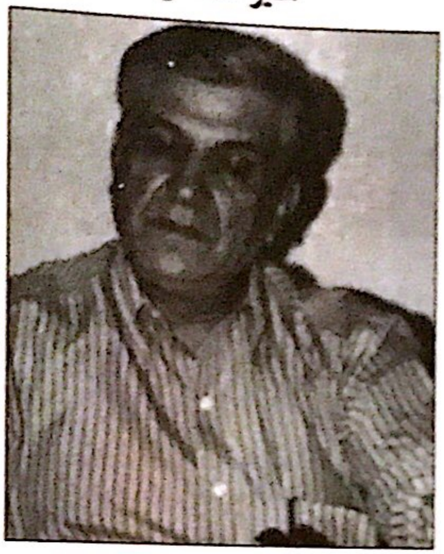
إذا قام الفلسطينيون باجماع وطني وعبأوا قواهم ضمن إطار هذا الاجماع الوطني بمعركة طويلة. الغرض هنا ليس إنزال هزيمة بالعدو ميدانياً وإنما منع هذا العدو من أن ينزل بهم هزيمة وبالتالي التكيف مع كونهم الطرف الأضعف في ميزان القوى الكلي: التكيف مع هذه الحالة من أجل احتواء قوى العدو، من أجل إدخال درجة عالية من الإرباك السياسي على قياداته وكل منظوراته تجعل بلده غير قابل للحكم، إذا شاهدتم أنه قبل مجيء شارون في هذه الفترة القصيرة بدت إسرائيل كبلد عصي على الحكم، كبلد يمر في نفس الأطوار التي مرت بها القوى الاستعمارية التي كانت تتحكم مثلاً ببلد أجنبي مثل فرنسا بالجزائر. الفترة الأخيرة كانت فترة تبدل سريع بالحكومات. فقدان رأس غياب ناظم للسياسات العليا - عدم وجود القدرة على ترجمة المصالح الوطنية العليا إلى سياسات عملية وميدانية فاعلة. إذا إنهار الآن شارون وأنا أعتقد أن هذا التكتيك هو التكتيك الفلسطيني المطلوب الآن. بعد سلسلة الانهيارات السياسية التي حدثت في القيادة السياسية الإسرائيلية. فأعتقد أن الانتفاضة تكون قد قطعت أكثر من منتصف الطريق، فهي قطعت منتصف الطريق عندما منعت العدو من إنزال هزيمة بها، وهي تقاتل الآن تقريباً في نهاية عامها الأول، وهي تقاتل بتحسين أفضل لأدائها من يوم إلى يوم. بدت أول الأمر واحد إلى عشرة في القتلى، الآن واحد إلى أقل من ثلاثة، وهي منظمة على درجة أعلى، والتعاون بين عناصرها وبين قواها، وهذا أرفع بكثير فنحن نسمع الآن عن انفجار جرى بالأمس قتل فيه اثنين أو واحد من الأمن الوطني وجماعة الأمن الوقائي وهذا يعطيك فكرة عن طبيعة العمليات التي تجري داخل الأرض والتي تنفذها حماس أو الجهاد الإسلامي أو الجبهة الشعبية.. الخ. هناك تنظيم للقوى الفلسطينية. وجه نحو امتصاص ميزان قوى التفوق العسكري الإسرائيلي، نحو التعايش معه، نحو التكيف معه، نحو تنمية القوى الفلسطينية في ظل هذا الميزان باتجاه يجعل منها أكثر فأكثر قوة. يستنزف أكثر فأكثر القوى المعادية الإسرائيلية الآن يوجد من ٦ إلى ٧٠ ألف جندي ممسوكين داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة والضفة الغربية المحتلة، يعني أكثر من نصف الجيش العامل الإسرائيلي بكل قواه وطائراته إلخ. وهذه الخطة تبدو ناجحة إلى أبعد حد وهي تبدو فاعلة إلى أبعد حد ومن الغريب العجيب أننا كنا نعتقد أن إسرائيل قادرة على إنزال هزيمة بكل الجيوش العربية وها نحن نراها ضمن الشرط السياسي، وضمن الشرط التاريخي، وضمن الشرط الدولي المعطى الآن، والذي يقيّد من حريتها باستخدام كل تفوقها العسكري. هذه النقطة مهمة باعتقادي، نراها الآن وهي تتخبط أمام الطرف الفلسطيني والذي كانت تقول قبل سنة هي والعرب وكل العالم أنه عاجز عن الخروج من أزمته، نراها تتخبط الآن في أزمتها، ونرى هذا الطرف الفلسطيني وقد دخل في سيرورة تتطور بارتقائه من حيث تنظيم قواه وازدياد فعاليته من حيث أدائه وكفاءته، ويزداد وضوحاً من حيث اقترابه من أهدافه الوطنية، بينما تنخرط هي في أزمة حكم، في أزمة عسكرية، كبار جنرالاتها يقولون أن هذه الحرب غير قابلة للكسب، ونجد أن فلسطين تقترب أكثر من اللحظة التي ستصبح فيها أهدافها التي كانت تبدو قبل سنة مستبعدة، أهدافاً شعاراتية وسياسية، أهداف واقعية

وعملية، وهي تثبت يومياً أن الطرف الآخر «إسرائيل» بلد قابل لأن يُستنزف، وأنه بلد قابل لأن يُهزم أيضاً وليس لأن يُستنزف، وأن لدى شعب صغير مضطهد مشرد من أرضه محروم من حقوقه، محتل منذ ٣٤ سنة القدرات لتنظيم كفاءاته وإمكانية لأن يوجد طريقة تمكنه من الصمود في حرب مفتوحة خلال سنة، ومن الدخول في حالة إرتقاء وأنا أعتقد بأنه لو كان هناك بصورة جدية برنامج لدى دولة عربية ما لمواجهة حقيقية ولو كنا استثمرنا السنوات التي مضت منذ عام ١٩٦٧ حتى اليوم في بناء قوة ولو بلبنان تستطيع ان تردف وأن تدخل على الخط مع هذا النضال الوطني الفلسطيني المتصاعد لكانت إسرائيل قد وُضِعت في مأزق تاريخي كبير، ولكانت قد وصلت إلى لحظة /جد/ حقيقية خافت فيها على نفسها، وخاف فيها حلفاؤها عليها ولكان من الممكن عندئذ أن تفكر بالتخلي عن الضفة الغربية التي هي رهانها بعد عام ١٩٤٨ ومشروعها التوسعي الأساسي والوحيد والذي تربط به الآن مصيرها ومستقبلها، وترتكب من أجل أن تحسم الصراع حوله عمليات وحشية لها أول وليس لها آخر. دون أن تكترث بأحد لأن الدول عندما تبحث عن مصالحها الوطنية العليا لا تكترث بأحد حقيقةً.

ولكن الذي وجدته أن هذا العالم العربي مهزوم يخلو فعلياً من أي قوة لديها الحيل والخفة والقوة على أن تقول لا: نحن نرى المشروع الصهيوني قابل بصورة يومية للهزيمة وأن هناك من يستطيع مقارنته، المسألة مسألة تعبئة إمكانيات مسألة تصميم وتقرير، مسألة وضع سياسية، مسألة وضع إجماع وطني.. إلخ.

أعتقد أن الانتفاضة تواجه أزمات كبيرة، تواجه مصاعب كبيرة، لكنها على الطريق الصحيح، وأتصور أنها قطعت ربما جزءاً رئيسياً من طريقها نحو أهدافها في قيام دولة مستقلة وسيدة وحرة في الضفة الغربية وغزة وأعتقد أنّ الطريقة التي تتصرف بها U.S.A وهي تقوم على إعارة إسرائيل جزءاً من قوتها. وهيبتها وسياستها الدولية كي تغطي الفترة الزمنية الضرورية لكسب المعركة ضد الانتفاضة قد بدأت تفشل بدورها، وأن فلسطين ربما كانت تلوح الآن في أفق التاريخ العربي في أفق تاريخ عربي جديد رغم كل ما يكتنفها من مصاعب ويواجهها من متاعب ورغم كل التضحيات التي تقدمها، وأننا لا يجب فقط أن نراهن عليها، وإنما يجب أن نبدأ أخيراً في الانخراط بنضالها نحن الذين نعيش على هامشها وبمد يد العون لها أي لأنفسنا، لأنها تخوض كما قلت معركة المصالح العربية العليا، التي يبدو أننا نسيناها أو أهملناها أو تخلينا عنها.

منير الحمش:

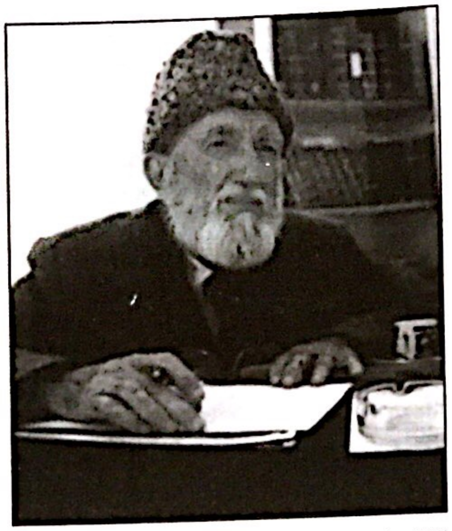


الحقيقة أريد أن أركز على بعض النقاط الرئيسية في هذا الموضوع، إن الانتفاضة في الواقع تعبر الآن عن حقيقة: الفصل بين حقبتين: هي في الواقع عملية فصل بين حقبتين هي تلك التي بُنيت على أساسها دولة إسرائيل بقرار من الأمم المتحدة يقوم على اساس تقسيم فلسطين ما بين دولة يهودية ودولة عربية وفي هذا الإطار الأنظمة العربية قبلت بهذا التوجه قبلت بتواجد إسرائيل. فخلال فترة تزيد عن ٥٠ عاماً كان التركيز حول إقامة دولة فلسطينية في جزء من الأرض الفلسطينية، في مقابل وجود دولة إسرائيلية مُعترف بها من قبل العرب، هذا النهج الذي تمثل كثيراً رغم الحروب، رغم حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣ في ما توصل إليه العرب أخيراً ـ الأنظمة العربية بالأصح ـ هي مسألة السلام الاستراتيجي تحت هذا الشعار عمل العرب منذ كامب ديفيد على السير باتجاه ما يدعى السلام الاستراتيجي الذي يبني أو يُبنى على أساس اعتراف العرب بوجود دولة إسرائيلية واعترافهم بإمكانية التعايش بين العرب واليهود أو العرب والصهاينة، يدعم هذا الاتجاه الغرب الأوروبي وترعاه U.S.A تجلى هذا الطرح أخيراً في اتفاق أوسلو وفيما يُدعى المفاوضات تحت لواء مؤتمر مدريد وضمن ترتيبات معينة يُقصد بها إقامة دولة فلسطينية على أجزاء معينة من الأرض الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة مُقطعة الأوصال وضمن ترتيبات أخرى مع دولة إسرائيل والأردن وفي إطار ما يُدعى الشرق الأوسط الجديد الذي تجلى في مشروع بيريز والقمم الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلا أن هذا المشروع تبين فشله على أرض الواقع وهذا الفشل «أظن» يعود إلى عدم إمكانية التعايش بين العرب وإسرائيل، حيث تبين فعلاً أن المسألة هي مسألة صراع وجود وليست صراع حدود.. تجلى هذا في نظرة المجتمع في إسرائيل والنظرة الموحدة اتجاه المشروع الصهيوني وهذا التلاقي المنتظر بين ما يدعى باليسار الإسرائيلي واليمين الذي يريد بالواقع كامل فلسطين وليس جزء منها. وتجلى أيضاً في صحوة الشعب العربي في فلسطين وقيام الانتفاضة الذي أبرز هذه البلورة ما بين مشروع يدعمه الغرب وتدعمه U.S.A وتنضوي تحت لوائه الأنظمة العربية ومشروع آخر هو المشروع العربي، مشروع الانتفاضة الذي يريد كامل الأرض التي هي فلسطينية، بكاملها انطلاقاً من عدم إمكانية التعايش بين المشروعين الصهيوني والعربي ويُعلن بداية مرحلة جديدة ـ حقبة جديدة ـ هي التي يجب أن يتم التركيز عليها. وانطلاقاً من الانتفاضة بحيث نصل إلى مرحلة يمكن أن ندعوها مرحلة التحرير لتحويل الانتفاضة إلى حرب تحرير شاملة. الحقيقة هذا الإطار العام للمسألة التي أرجو أن ينصب حولها الحوار. إنما أريد ان ألفت النظر ايضاً إلى هذا التلاقي ما بين المشروع الأمريكي والمشروع الصهيوني. فالولايات المتحدة مشروعها العولمة وسيطرة رأس المال وسيطرة نهج جديد في التعامل مع قضايا الشعوب وتلاقي هذا المشروع مع المشروع الصهيوني وبالأصح هذا المشروع ليس إلا تجلي للمشروع الأمريكي المعولم في المنطقة العربية إذا استطعنا أن نثبت بالوقائع التقاء هذين المشروعين نستطيع بذلك أن نبلور استراتيجية الانتفاضة لتحويلها إلى حرب تحرير شاملة واستخدام ذلك في دفع الشعب العربي بجميع أقطاره للالتفاف حول الانتفاضة لإعلاء شأن المشروع العربي في مواجهة المشروع الصهيوني من هنا نجد كيف أن U.S.A تدافع بشكل غير مسبوق عن ممارسات إسرائيل والسلطات الإسرائيلية تجاه قمع الانتفاضة في هذه الحدة والوحشية، على هذا النحو يمكن أن نفهم كيف انسحبت U.S.A من مؤتمر حقوق الإنسان في جنوب أفريقيا، بهذا نستطيع ان نفهم أيضاً هذا الحشد الهائل من أجهزة الإعلام الغربي لدعم المواقف الإسرائيلية، والممارسات الإسرائيلية والتعتيم على مسألة كون الانتفاضة هي عملية مقاومة وتحويلها إلى مجرد أعمال عنف ومجرد أعمال إرهاب، بهذا يمكن أن نفهم كيف أن الأنظمة العربية تسعى جاهدة للالتفاف حول الانتفاضة وبالتالي تقديم المقترحات وتقديم المشاريع ـ كالمشروع المصري الأردني للالتفاف حول الانتفاضة والعودة بالأمور إلى ما قبل الانتفاضة. إلى ما قبل ٢٨ أيلول ٢٠٠٠. إذا استطعنا أن نتبين جميع هذه التوجهات جميع

هذه الدلائل نستطيع بالفعل أن نقدم الدعم الحقيقي للانتفاضة باعتبارها عملية حرب تحرير شاملة وعملية مقاومة للمشروع الصهيوني وبالتالي المشروع الأمريكي المعولم، بهذا الإطار العام أرجو أن نتمكن من تعميق هذا الحوار حتى نصل إلى منطلقات تفيد في توضيح الجوانب المختلفة للانتفاضة وشكراً.

جودت السعيد

بسم الله والحمد لله وسلامٌ على عباده الذين استطاعوا الأمر بالقسط بين الناس. أنا لي رؤية اجتهادية في الإنسان وتاريخه في العالم وأنا أشعر أن هذا الإنسان ذو طبيعة عجيبة ينبغي أن نكشف قدرته على التغلب على كل الصعاب.. الكون كله مسخر له وألا يتنازل عن مكانته وكرامته، والانتفاضة تساعدني على فهم هذا التصور للإنسان الذي جاء به الأنبياء وهو أن لا يعبد الإنسان الغلط وأن يواجه الغلط وإنما بعدم إطاعته فإذا لم نحن نطع فلن يستطيع أحد أن يذلنا، يمكن أن يقتلنا ولكن لا يجعلنا نقتل الناس من أجله، هذه أشياء تغلغلت في نفسي، فلهذا عند الأزمات الإنسان يكسب كرامته، عندما يهادن الإنسان في كرامته يصل إلى الانتفاض وانتفاضته تعيد إليه كرامته وتعيده إنساناً، ومنهج الأنبياء الذي يلخصه القرآن بقول هذه رسالة الأنبياء جميعاً ولا نفرق بين أحد من رسله، والمشكلة الأساسية مشكلة التوحيد وهي ليست مشكلة سماوية وإنما مشكلة اجتماعية سياسية في الأرض وينبغي أن نفهم الموضوع على هذا الأساس وأي نزاع ميتافيزيقي يشوّه الموضوع ولهذا المشكلة الأساسية هي إكراه الإنسان وقبول الإنسان للإكراه.. وأن الإنسان بإكراهه لا يعطي إلا أقل ما يمكن أن يعطي وبإقناعه يمكن أن يقدم نفسه، وهذه حقيقة أولية. وفعلاً خلال التاريخ كله لم يستخدم الإنسان إلا بإكراهه. لهذا مشكلة الإكراه والطاغوت شيء واحد... الاعتماد على القوة وتعذيب الإنسان وقهره والهيمنة عليه، هذا كل ما كان يظهره التاريخ وهو إلغاء الإنسان، والأنبياء جاؤوا لإعادة الإنسان.. أن لا يكون الإنسان بندقية جميع جيوش العالم يعلمون أنه ينبغي ان ننفذ الأمر دون اعتراض، بعدما جاء الأنبياء قالوا لا يجوز أنت أن تنفذ الأمر الذي يخالف أمر الله.. أنت عبد الله ليس عبد البشر. أنا تألمت كثيراً عندما تحدثوا عن المظاهرات التي جرت في الأردن، وعندما قمعت الشرطة وقتل بعض الناس سألوا: من مسؤول عن هذا هل قاتل الشرطي الذي قتل، أم الذي أمر، أم الذي اعتدى، فكأنه رفع اللوم عن الشرطي المسكين هذا أداة.. يحولون الإنسان إلى بندقية كل المشكلة الأساسية في مشكلة الإنسان في



التاريخ لهذا أنا أرى أن الإنسان عندما يصل إلى الهيام الشديد كما يقول القرآن: ﴿لا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم..﴾ العذابات الأليمة هي التي توقظ الناس، صحيح أن الاستعمار كان مؤلماً وسارقاً ومؤذياً وساقنا على طريق الأشواك ... ولكن كان سبباً بالنهاية كي نستيقظ نحن والشعوب المستضعفة.. في حرب الخليج.. وحرب ١٩٤٨ كان ذلاً ولكن ١٩٦٧ كان أذل وحرب الخليج كان أذل نهاياتنا، ولهذا لا نستطيع أن نتناول هذا الموضوع كي نحلله بقدر تعلق المشكلة بالإنسان العربي والمسلم، الفلسطينيون هم الانتفاضة.. الأطفال هم الذين قاموا، هم الذين ولدوا تحت الاحتلال، أما الذين كانوا قبل ذلك لا يستطيعون أن يقدموا ويؤدوا دورهم، هذا لأنهم تعوّدوا على الذل وعلى الهوان وعلى الاستسلام لكنّ الذين نشأوا هناك تحت الاحتلال هم الذين شعروا أن الإنسان له قدرة والشعوب تستطيع أن تبتكر وسائلها لتحرير نفسها.. فإنما تتحرر من حكومات لتصبح حرة..

المؤمنون عندهم استعداد أن يفجروا أنفسهم لكنهم لا يجدوا أحداً يريد أن يكون سيد الشهداء، يقول هذا صح وهذا غلط، اقتلني إنْ شئت.. هذا واجب المثقف الآن الغير متدين فقط واجب الإنسان الذي يعرف التاريخ أن يقوم بهذا الدور.. فإذا حللنا هذه المشكلة حللنا كل مشاكل العالم ونستطيع أن نستعيض عن الأمم المتحدة بأمم متحدة جديدة لأن هذه الأمم المتحدة الموجودة ليس لها سلطان على الشعوب وإنما سلطانها على الحكومات وهذه صناعة سحرية..

لكن حين نؤمن بها تصبح قوة لا نهائية ولا تستطيع أن تتجاوزها لأنها تربطك من الأعماق من الداخل، وهي تحرير الإنسان من الأعماق هذا هو الشيء الأساسي في الموضوع.. لهذا عندما أقول: بدأ العد التنازلي بعد حصار بيروت من قبل أمريكا ولبنان بدأ العد التنازلي بنظري لأنه لم يكن للبنان حكومة ولا جيش ولا قوات مسلمة وهم يقتلون بعضهم بعضاً.. أسوأ حرب أهلية صارت في العالم ومع ذلك استطاعوا أن يطردوا أمريكا ومن دون مفاوضات، لأنه لا يوجد حكومة تفاوضها وكذلك طردوا إسرائيل أيضاً من هنا وأخيراً بجزء صغير من شعب لبنان هم الذين طردوا..

هذا دليل على أن الإنسان لا يمكن أن يضطهد من غير قرارات الأمم المتحدة ومن غير معاقبة ومن غير أي شيء هذا شيء كبير جداً ليس شرطاً أن ندمر إسرائيل. إسرائيل كانت تقطع الكهرباء والماء عن بيروت أيضاً ضربت ودمرت البنية التحتية، ويمكن أن يضربوا دمشق ولكن لم يبقوا بعد ذلك في الجولان وانسحبوا بدون شروط وبدون عتاد وبدون اعتراف بإسرائيل لهذا يتبقى بعد ذلك أن يكون هدفنا الأساسي أنه لا علاقة مع إسرائيل إلا مع آخر إنسان فلسطيني يرجع إلى بيته، وهنا العالم سيحترمنا الصين وروسيا معنا والعالم المستضعف كله سيكون معنا.

أما المخابرات الأمريكية قالت المشكلة الفلسطينية ومشكلة الشرق الأوسط جمدناها لمدة ١٥ عاماً وهم مطمئنون إلى أنهم ممسكون بهذه القضية والحكومات تخاف من شعوبها والشعوب تخاف من حكوماتها هذا الخوف المتبادل المرعوب يجب أن يزول، نحن آمنا بالقوة ولهذا اتخذ العرب قراراً أنه لا يمكن حل المشكلة الفلسطينية بالقوة.. صحيح لا يمكن حل مشكلة القضية الفلسطينية بقوة القنبلة النووية ولا بالأسلحة الحديثة هذا صحيح.. ولهذا انهزمنا في كل المعارك. ولكن المشكلة ليست بالاستعمار ولا بإسرائيل وقد تكون إسرائيل والاستعمار مساعدة على أن نستيقظ ونعيد كرامتنا، هذا الفلسطيني الذي يقوم بهذا الدور لأنه وصل إلى العذاب الأليم لهذا قال أنا أريد أن أموت.. لماذا يفجر نفسه؟.. لأنه وصل إلى نهايةٍ أليمة ففجر نفسه.. هذا يطرح السؤال: لماذا يفجر نفسه؟ لأنه وصل إلى الدرك الأسفل. هكذا نستطيع أن نحارب الاستعمار بكل قشة وبكل أسلوب وربما ما يُخشى أيضاً أن إجهاض الانتفاضة وياسر عرفات يتلاعب بهذا الموضوع وأنا مؤمن أن العقل العربي سيستيقظ، لن يبقى هكذا في الواقع.. اللنبي قال: هيهات أن ينساك العرب يا قدس.

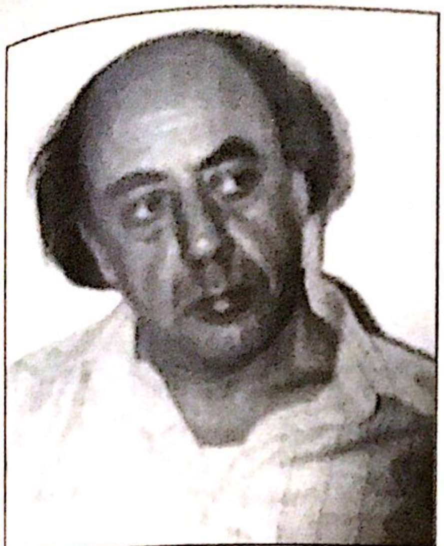
إن إسرائيل ليست مشكلة العرب، مشكلة العرب تخلفهم.. وإسرائيل مثل المنديل الأحمر الذي يحمله مصارع الثيران بيده، أما الثور الهائج عندما ينطح المنديل الأحمر.. يضرب على ظهر الثور من أجل أن يستفزه.. هذا الذي يحصل الآن في المشكلة.. نحن لا نريد حرباً على أحد ولكن الشهيد الحقيقي.. شهيد في القرآن هذا.. ما ذكر بالقرآن: كلمة الشهادة

وشهد ومشهود وشاهد أكثر من ١٥٠ مرة ولا مرة بمعنى قُتل وإنما بمعنى أتى دور شهادة الحق وشهادة أن لا إله إلا الله ليس قتل وإنما إعلان مبدأ فلهذا إعادة الفكر إلى الإنسان.. الإنسان لا يمكن أن يُذل إلا برضاه وهذا معترف به في المبادئ الدينية. في الأرض جميعاً.

مادمت أنت المسؤول أمام الله وحدك ولا يفترض أن تكون عالم أيضاً.. لأن العالم ربما يعرف أوضاع الصلاة لكن مفهوم العدل بين الناس قد لا يحتاج إلى تعليم.. فالفكرة الأساسية لهذا الفهم معرفة قوانين الله معرفة سنن الله ومعرفة التاريخ.. اليهود متأكدون بأنهم جاؤوا وصنعوا هذا الشيء في هذا المكان والذي لا يمكن أن يكون.. أي ليس دليلاً على عمق الفهم للأشياء لأن حقائق التاريخ والديمغرافية والجغرافية والسياسية والتاريخ كله يدل على أن هذا كله غير منطقي أيضاً ولكن نحن المأساة. الفكرة عندنا واجب المثقف أن يفهم مثل هذه الأشياء لأجل أن نتحدث.. المشكلة العالم العربي الآن عندما يجتمع لا يستطيع أن يصدر قراراً.. لأنه عندما نريد ان نعارض كما يقول روجيه غارودي: يقدمون لأعدائهم ما يحتاج أعدائهم إليه على طبق من ذهب وفضة. أمريكا لا تقاوم بالقنبلة النووية، فالقنبلة النووية سقطت في العالم جميعاً: الاتحاد السوفييتي وكان يستطيع أن يدمر الكرة الأرضية ثلاثين مرة لكنه ما جاء أيضاً عدو من الخارج ليحتله ولكن من الداخل، ومشكلته كانت داخلية، مشكلته كانت نظرته إلى الإنسان. وأمريكا مشكلتها الآن أيضاً أنها تستغل سذاجة الناس وجهلهم لأن القنبلة النووية لم تعد تنفع. فالذين يؤمنون بها هم الذين يخافون منها لكن اليابان لا تخاف من القنبلة النووية وقد ألقيت عليها أيضاً وإلى الآن آثارها تؤثر فيها ولكنه أصبح قوة أيضاً من غير أن يتأثر بهذه الأشياء. إذاً هذا العالم الكرتوني نحن نستطيع الآن أن نضع الكثير وصار قريب الآن أن ينفجر ولكن دعونا نفجره نحن بأسلوب علمي وسلمي.. والإيرانيون أيضاً الذين كانوا على الخط هؤلاء الذين غيروا بشكل عجيب.. الخميني وشعبه ربما كان أعظم من غاندي وقاد الشعب الإيراني أكثر مما قاد الشعب الهندي ذاته.. لأن الشعب الهندي عندما قاده غاندي كان الكثيرون منهم لا يستطيعون أن يصمدوا أمام الشرطة وأمام ضرب الشرطة عاد غاندي ليقول أنا فشلت وأنا كذا وإنما الخميني استطاع أن يضبط الشعب الإيراني من غير أن يطلقوا رصاصة واحدة ويستقبلون الجنود بالورود، قتل في يوم واحد ٥٠٠٠ إنسان إيراني مع ٦٠٠ امرأة. ومع ذلك لبسوا الأكفان ولكن لم يضربوا وإنما قدموا الورود للجنود. هكذا طرد الشاه من غير أن يطلق عليه رصاصة لهذا نزلت عليهم الديمقراطية من السماء هذه الانتخابات التي صارت في إيران صحيح المشكلة العامة للإصلاحيين والمحافظين ولكن المحافظين بعد هذه الانتخابات اعترف قائدهم علي خامنئي وقال: لا شرعية خارج جهود الأمة.. وصلوا إلى هذه الحقيقة لأن جمهور الأمة لهم، انتصروا على الشاه وهم يجب أن يرجعوا إلى هذا الإنسان. لأن المشكلة الآن مشكلة عدل مع الإنسان.. ليس احتقار الإنسان.. هذه هي المشكلة التي أرى وإن شاء الله.. أن يثبت الفلسطينيون وهؤلاء الأولاد الذين يرمون بالحجارة، وهم فعلاً أيقظوا العالم وليس فقط العالم العربي بل إنه صار أن الإنسان الأعزل يستطيع أن يقوم ليثبت كرامته ضد العنصرية وهذا الذي يواجهه العالم الآن مواجهة صحيحة.. وأنا أشعر أنه قريب.. ولكن علينا واجب أن نفهم قضايا هؤلاء، وأنا أقول أنه يوجد حل للمشكلة غير الأساليب القديمة فأوروبا الآن تتحد على كلمة السواء وليس لأن هتلر أو نابليون وحّدها، مع أن كل واحد منهما فتح أوروبا ووصل إلى روسيا وإلى فلسطين لكن لم تتوحد والآن أوروبة تتوحد على كلمة السواء فألمانيا ليست فوق الجميع بل هي مثل الجميع. وكذلك العالم العربي فلا مصر ولا سورية فوق الجميع وإنما مثل الجميع. والأسلوب الذي قدمنا به حرب الخليج كان هدية للعالم الغربي وأوكازيون ليطلق أسلحته الخرافية ونخسر بالتالي أموالنا وأطفالنا. والفائدة الوحيدة أن لا نكرر مثل هذه الحرب وأن لا نتناول هذه المواضيع تحت المجهر لنشرها. فالإنسان ليس بعضلاته ولا بسيفه ولا بقنبلته اليدوية وإنما بدماغه وبجهازه العصبي الذي هو روح الله المنفوخ في الإنسان. إذ به يستطيع أن يعرف الأسباب والنتائج ويسخّر الكون.

أحمد برقاوي:

نحن نتحدث عن واقعة استمرت «الانتفاضة» وليس عن حدث مضى وانتهى. والحديث عن واقعة استمرت ينطوي على احتمالات. حيث لا تستطيع أن تتوقع بدقة ما الذي ستؤول إليه الأمور، وإنما التأسيس النظري لفهم الانتفاضة يرسم طريقة الاحتمالات ويجب أن تكون إيجابية أي أن تتكلل هذه الانتفاضة بالنصر بأشكال متعددة. وهذا التأسيس النظري ساعد أصحاب القرار السياسي على إيجاد السبل الممكنة لتحقيق هذه الاحتمالات. ولكن هدفنا نظري وعملي بنفس الوقت ونحن نريد أن نؤسس السياسة على فهم نظري لما يجري اليوم وإذا تأسست السياسة فعلاً على فهم نظري تكون جدواها أكبر.



إن هذا العدو في طبيعته الراهنة هو بقية من بقايا الاستعمار التقليدي في المنطقة. وإذا عززنا كفاحنا بمنطق العصر نستطيع القضاء عليه لأن منطق العصر ليس منطق الاستعمار التقليدي. وأيضاً إسرائيل مناقضة لمنطق العصر في داخلها وتناقضاتها مع العالم وهذا هو مأزق العدو حيث برز ذلك في العلاقة مع السكان الأصليين داخل فلسطين أي مع الضفة الغربية وقطاع غزة، لأن إسرائيل التي واجهت الثورة الفلسطينية عام (١٩٦٥) والتي انطلقت من الحدود الغربية كانت قد واجهت شعباً فلسطينياً مطروداً من وطنه ودولاً تهددها دائماً بالقصف إن هي ساعدت هؤلاء الفلسطينيين. واستطاعت بشكل من الأشكال عبر جهازها السياسي أن تضعف الثورة الفلسطينية وبذلك اعتبرت المسألة انتهت. لكن الانتفاضة الآن أقوى فهي تواجه مجتمع استعماري في دولة استعمارية أي «المستَعْمِر الآن يواجه المستَعْمَر» ونحن نعلم عبر التاريخ أن ما من حركة مناهضة للاستعمار مهما قدمت من تضحيات إلا وتحقق طموحاتها في النهاية. والانتفاضة أظهرت جملة من نتائجها العملية على إسرائيل، والانتفاضة هي نتيجة وحدة وطنية فلسطينية في الداخل والخارج وهي مدماك الأساس لتحقيق الأهداف الوطنية. هذا أولاً، أما ثانياً فالانتفاضة أصبحت روح في داخل الشعب العربي فقد خلقت روحاً كفاحية سوف تجد لها طريقاً إلى الحياة يوماً ما وشيئاً فشيئاً بدأت تراكم قوة رفض الشعب العربي لإسرائيل، وأكثر ما نلاحظ ذلك في مصر التي تسعى جاهدة في سبيل العودة إلى طاولة المفاوضات وذلك ليس حباً بالفلسطينيين وإنما اتقاءً لشر الشارع المصري المعبأ تعبئة مطلقة حيث امتهان كرامته كما أشار الأستاذ جودت (الفقر ـ الجوع) عندما تجد هذا الوعي لدى شعب معين فلابد أن نفعل الكثير.

النقطة الثالثة: إن الانتفاضة أكدت أن جميع الحلول الممكنة عقلياً للقضية الفلسطينية

مرفوضة إسرائيلياً لأنها خطر على إسرائيل مثلاً أوسلو، نحن ضد أوسلو ومع ذلك لم يستطع المجتمع الصهيوني هضمها لأنها تتحدث عن انسحاب أول وثاني وعن حلول نهائية للقدس واللاجئين والمستوطنات وبالتالي هم يهربون حتى من أوسلو.

والانتفاضة حطمت كل الجسم الثقافي المبني على مبدأ التطبيع والتعايش والحل السلمي.. إلخ. وانهيار هذا الجانب الثقافي يعني انتصار ثقافة الدفاع وانهزام ثقافة التسوية والاستسلام هذا على المستوى الايديولوجي. وفي فترة من ٤-٥ سنوات بعد مدريد ذهبت إلى أن ايديولوجية التسوية والاستسلام والهزيمة فانية، فتحطيم هذا الجانب الايديولوجي عامل مهم لتأسيس السياسة على أساس ثقافي مختلف.

الانتفاضة الآن قوية في روحها في شعبها وبطرق تعاملها وكلما ازداد العدوان تعسفاً ازدادت الانتفاضة استعاراً. فالتعسف الصهيوني وقود للانتفاضة. الخطر على الانتفاضة أن ينجح النظام الرسمي العربي وخاصة مصر والأردن بإقناع اليهود بأن هذا الطريق لمواجهة الانتفاضة.

منير الحمش

منير الحمش: إلى متى أمريكا من التدخل أنا أشرت إلى قضية مهمة وهي أننا في صراعنا لا يجب أن نفصل إطلاقاً بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية أي إسرائيل هي U.S.A والـ U.S.A هي إسرائيل وأنا برأيي أن الخطر كامن في النظام الرسمي العربي وعلاقته بالانتفاضة، ومن الصعب التأمل بالنظام الرسمي العربي. وبالمناسبة مؤتمر ديربان دلل على هشاشة وضعف بعض الدول العربية خاصة التي لها علاقة ومصلحة مع إسرائيل.

إن ورقة العمل العربية الرسمية لا تتضمن إدانة لإسرائيل.

أحمد برقاوي

طبعاً لا تتضمن والسبب أنه كيف لحسني مبارك أن يقنع الشارع المصري بوجود علاقة مع دولة عنصرية تقصد (كامب ديفيد) وكذلك دول الغرب كيف يصفون إسرائيل بدوله عنصرية ويقيمون علاقة معها هذا متناقض. ففي ديربان المنظمات الغير حكومية كلها معنا، هذا يعني أن تتحول كل كتلة إلى قوة ضاغطة وهذا مرتبط بنا أيضاً في السياسة أي أن نعطي آفاقاً للفعل السياسي.

منير الحمش: المنظمات العالمية لمناهضة العولمة التي بدأت نشاطها فعلياً من مؤتمر «سياتل» في أواخر عام ١٩٩٩ هذه المنظمات بدأت تتلمس العلاقة بين المشروع الأمريكي المعولم والمشروع الصهيوني وتجلى ذلك بشكلٍ واضح في زيارات متتالية قام بها ممثلون عن منظمات مناهضة للعولمة إلى فلسطين وقام وفد مؤلف من ٢٠ شخصاً برئاسة (جوزيف بوفيه) رئيس منظمات المزارعين الفرنسيين واصطدم مع السلطات الإسرائيلية بسبب دعمه للانتفاضة ولمطالب الشعب العربي في فلسطين وألاحظ أننا لم نقدم مساهمات جدية في مسألة مناهضة العولمة مقابل ما تقدمه حركات مناهضة العولمة في العالم للقضية الفلسطينية؟

الآن ربما يكون من المناسب. أن نستغل فرصة انعقاد اجتماع المنظمة العالمية للتجارة في الدوحة لإحياء هذه المسألة أو إيجاد حركة عربية مناهضة للعولمة التي سيكون في سياق نضالها النضال ضد المشروع الصهيوني.

أحمد برقاوي:

نحن بعيدون عن مشكلات العالم. أي إذا كان هناك ترابط بين المشروع العنصري الصهيوني وU.S.A ينعكس في إطار مفصل بما يتعلق بالعولمة.

سمير الزبن

انطلاقاً من علاقة المستعمِر بالمستعمَر:

المشكلة في التجربة الإسرائيلية: في الوقت الذي بدأ الاستعمار التقليدي يزول بدأ المشروع الصهيوني يتشكل. هذه مفارقة لكن المشكلة ماتزال قائمة لأن المشروع الصهيوني أعاد تكريس الاحتلال مرة أخرى في زمن رونق الاحتلال عام ١٩٦٧م. والمشكلة في اليقينيات النظرية للواقع الفعلي بالحالة الإسرائيلية تحديداً هذه المشكلة تتعلق بمجمل تقاطعات تصب بالمشروع الصهيوني لمواجهة المنطقة بهذا المعنى عام ١٩٦٧ كنتائج سياسية أسفرت عن نقل الصراع نقلة نوعية مرة أخرى لأنه قبل ١٩٦٧ كان الموضوع شيء وبعد ١٩٦٧ مع ٢٤٢ أصبح شيء آخر. النظام العربي الرسمي أخذ فكرة ٢٤٢ كتصفية صراع لنتائج حرب / ٦٧/ إسرائيل كدولة استيطانية اقتلاعية إذا لم تتجاوزه بمعطيات سياسية من الواقع العياني للمنطقة بهذا المعنى بدأ يتأسس لشيء مركب من الواقع العياني للمنطقة أي يوجد مجموعة من التعقيدات. انه في التجربة الاستعمارية كان يوجد وطن أما اليوم معطيات السياسة ركبت على مجمل ما أفرزه واقع المنطقة عام ٦٧ ونقل الصراع مرة أخرى إلى شيء آخر أي من ربط ١٩٤٨ بالمعنى المعطى ثم التعاطي مع الحل السياسي على خلفيةأن ٢٤٢ هو أساس الحل. والانتفاضة لا يمكن رؤيتها بدون البيئة السياسية التي أدّت لها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ومجمل ما جرى بحرب الخليج الثانية بدأ شرط أساسي جديد في المنطقة، هذا الشرط أقنع U.S.A أنها تستطيع إعادة ترتيب



الأوضاع في المنطقة لصالحها وكان من بين هذه الأوضاع القضية الفلسطينية. الأمريكيون يتعاملون دائماً مع النزاعات إما بالإدانة أو بالمشاركة التجارية بمعنى أنت خاسر أو رابح بهذه الحرب «تبيع على قدر ما أنت خاسر وتشتري على قدر ما أنت رابح» المعادلة قالت ان الامريكيون والإسرائيليون خرجوا منتصرين بمعادلة الصراع الإقليمي في حرب الخليج وبمعادلة الصراع العالمي بانهيار المنظومة الاشتراكية على هذه القاعدة تمت إدانة العملية التفاوضية التي انطلقت من مدريد: «الأرض مقابل السلام» كشعار يقوم على ٢٤٢ بتفسيراته المختلفة وما ينتج عن هذه المفاوضات هو الحل الذي يعمل الصراع في المنطقة على هذا الأساس ثم تجزئة الحل بأنه كل دولة عربية عندها مشكلة مع إسرائيل تحلّها على هذه القاعدة. أنا مقتنع بفكرة الأستاذ ميشيل بأن العلاقة ما بين إسرائيل والضفة الغربية تحديداً تختلف عن العلاقة ما بين إسرائيل واحتلالها للجولان ولجنوب لبنان.

نفترض أن هذا أسس لمجمل وقائع لحل مشكلة الصراع العربي الصهيوني بعيداً عن أساسه الموضوعي المكون لهذا الصراع.

فكانت أوسلو تعبيراً عن محصلة القوى والبيئة السياسية التي تواجدت في الشرق. إذا أخذنا بعين الاعتبار الشرط السياسي - بعيداً عما جرى في أوسلو - الذي وضع الانتفاضة الأولى في سياق عظيم لأن الشرط كله تغير فكان هذا النتاج - نتاج مساومة على قاعدة أنه حل مرحلي فرض على الطرفين. الفلسطينيون توقعوا أن يحصلوا على ٩٠٪ حسب الاتفاقيات، والإسرائيليون توقعوا أن يعيدوا انتاج تجربة لحد موسعّة في الأراضي الفلسطينية ويتحول ما يسمى فلسطين أو الحكم الذاتي الموسع. أو ما ينتج عنه دولة منزوعة الأنياب [مسماة دولة] هذه خلفية



إسرائيل.

الإسرائيليون توقعوا أن تكون هذه قاعدة وانطلاق وتوغل في المنطقة العربية لإيجاد شرط سياسي جديد بمرجعية أمنية سياسية يكون ناظمها الأعلى إسرائيل وناظمها الأعلى في المنطقة الأوسع/ التحالف التركي الإسرائيلي كمرجعية ثنائية. التطبيق الواقعي لأوسلو سوّأ الشرط السياسي الفلسطيني أكثر مما كان سيئاً أيام الاحتلال بمعنى تقسيم المناطق إلى أ - ب - جـ هذا سوّأ الشرط السياسي وأصبحت الأوضاع أكثر تردي عنه أيام الاحتلال. كان التوقع من التسوية إنهاء النزاع هو وهم أو خديعة أو ما يسميه الأمريكيون بالغموض البناء الذي يرضي كل الأطراف لكن في الآخر لا يعطي شيئاً.

لكن أوسلو طالما كانت حل مرحلي وبالتالي يوجد قضايا ستصطدم بها في الحل النهائي. صحيح أنها أجلت خمس سنوات لكن خمس سنوات لا تستمر إلى ما لا نهاية.

وتبيّن أنها وقت قصير فجأة اصطدم المشروع الصهيوني الإسرائيلي بنفسه. آليات تصوره التي أسسها على رأي رابين بفكرة السيطرة من الأعلى (ونحن مالنا والسكان) والذي لم يأت إلى هنا للسيطرة على السكان أنا أغادر المناطق السكانية وأسيطر عليهم من الخارج وأدعهم يديرون أنفسهم - وأسيطر على الحدود، وشيء من المعازل، ولكن بفكرة أن هؤلاء يديرون شؤونها.

وإن بقي لدى المشروع الصهيوني مشكلة لشرعنة الاحتلال لمناطق ٦٧ أي ما تم تكريسه بـ ٤٨ من إسرائيل بمنطقة التقاسم وحتى المناطق التي سيطرت عليها بتجاوز حصتها من التقاسم ثم شرعنته بما هو أدلة إسرائيل. لكن في ٦٧ لم تتمكن إسرائيل من إعادة تكرار تجربة الطرد، هذا بحكم الاستفادة من التجربة الفلسطينية السابقة والتي كانت من نتائجها إلى حدٍ ما محدودة، ولكن شزعنا باعتراف دولي من الأمم المتحدة بأن هذه الأراضي إسرائيلية.

المرجعية الأمريكية تم اعتمادها بالقضية على اساس أن هذه الأرض كان متنازع عليها بتقديرات ٢٤٢ كحالةالتفاوض عليها ينتج بتسوية ولكن بواقع الحال لم تفتح الأفق أمام مشروع فلسطيني وطني دولي. وحتى أكثر المتشددين بالحرص على أوسلو «محمود عباس» بعد أوسلو تماماً قال:هذا المشروع يفتح الأفق على دولة ولا يفتح الافق على دولة. هذا له علاقة بالأداء السياسي الفلسطيني بهذا المعنى أوسلو أعاد تنظيم الاحتلال بشيء ملموس أمام الفلسطينيين بالتعامل اليومي معه.

عندما اصطدمت مفارقات الحل النهائي في كامب ديفيد بمشروع معازل فعلية باقتراحات باراك بدا الواقع السياسي واضحاً ومستعصى باتجاه أفق لتسوية جدية تقول على ٨٧ مقابل ٢٣ بحل تاريخي مع هذه المشكلة هذا الاستعصاء تم واقعياً بالتعامل اليومي واصبح هناك إذلال حتى ضمن الاتفاقات في الفترات التي لم يكن فيها انتفاضة. أي عسكري أي دورية إسرائيلية في المنطقة (ج) عندما تريد أن تقطع من (جـ) إلى (ب) يخرج قدمه من السيارة ويوقف خلفه ٢٠٠ سيارة ويضع ممنوع التجاوز وإلا سنطلق النار عليك في الوقت الذي كانت سهولة التنقل أكثر من الآن.

بالإضافة إلى مجموعة التنازلات التي طلبت من الفلسطينيين والتي لا يمكن قبولها. فعندما يقول الإسرائيليون نحن نريد ١٠٪ إذ أن ١٠٪ حسب أرونسو: إذا أخذ ٣٪ من U.S.A. لا يبقى بها شيء بمعنى أن في كل بلد هناك مواقع حيوية هي التي تشكل عصب هذا البلد. بهذا المعنى اصطدام التصور الإسرائيلي الذي يقوم على أن الفلسطينيين سيقدمون تنازلات ترضيهم لأنهم هم الطرف المنتصر في المعركة، وعلى الفلسطينيين أن يدفعوا الثمن خسارة المنطقة في الحالتين. واصطدام هذا التصور، بالتصور الفلسطيني لإسرائيل أنها قابلة لتقديم تنازلات تقوم على حدود ٦٧ بمعنى هذا هو الذي يمكنها التخلي عنه هاتين التصورين الذين تصادما ولدا من حالة الاحتقان التي هي لحظة انتفاضة قائمة فجرتها زيارة شارون للمسجد الأقصى وكان مدهش.. كانت الانتفاضة مدهشة للجانب الإسرائيلي - وأنا أعتقد إلى حد كبير - للجانب الفلسطيني بمعنى كان هناك شيئاً يبدو عصياً على الفهم «أنا رأيي» أن الفلسطينيين قرروا بإرادة سياسية رغم كل الشرط السياسي الغير مجدي وغير الساير بالنسبة لهم كمعطى سياسي جديد لحقبة خلفية الاحتلال.. يريد تنظيم الاحتلال ولكن هذه المرة أسوأ بموافقة الفلسطينيون يعني مطلوب منهم الموافقة على الاحتلال بشكل أو بآخر بهذا المعنى وضعت الانتفاضة كل الحركة السياسية التي انبنت على مشروع السلام وعلى ثقافة السلام ومرجعية السلام بمأزق جديد لكن المشكلة أن هذه المرجعية بقيت قائمة بمعنى أنه لليوم لم يقول أحد أنه استغنى عن المشروع، أي أنه لم يعد مرجعية نهائية، لا الطرف الإسرائيلي استطاع قول هذا، ولا السوريون ولا الفلسطينيون ولا اللبنانيون. بقيت العملية أساسها قائم على مدريد، كل السياسة اليوم تجري على مدريد ولا يوجد مدريد. وهذا الكلام يذكرني بالذي قاله بيكر أثناء التحضير لمؤتمر مدريد: قال: «نحن نسعى للعملية أن يكون أطرافها من الآلية نفسها بمعنى الذي يدخلها لا يستطيع أن يخرج منها. وهذا يجعل الواحد يتساءل كثيراً فعلاً عن إمكانية انتزاع المسار السياسي لاتجاهات أخرى مختلفة أو لمرجعية أخرى».

اليوم في الساحة الفلسطينية هناك ثلاث اتجاهات تتعاطى مع الانتفاضة بثلاث خيارات سياسية.

الاتجاه الإسلامي يقول: أنه على الانتفاضة أن تحرر فلسطين كل فلسطين ومؤقتاً أن تحرر فلسطين/ الضفة الغربية وقطاع غزة بهدنة مع الاحتلال بدون اتفاقات هذه الاتفاقات ليست خيار.

السلطة إلى اليوم تجد في الانتفاضة رغم كل التضحيات وكل الدم هي عامل محتم بشرط التسوية وتدير كل العملية على هذا الأساس.

وفي اتجاه آخر وهو الاتجاه اليساري الأضعف اليوم يقول: علينا تحسين هذا الشرط

التفاوضي بنقل المرجعية لشيء آخر مدعوماً بالكفاح.

لكن الاتجاه الرئيس المسيطر هو تحسين شروط التسوية الآن هذا يدع الإنسان يتساءل: أنه إلى اليوم لن تتحول الانتفاضة لخطاب سياسي للسلطة. عندما أتت السلطة لتدعم الانتفاضة كل الذي فعلته أنها سحبت الأمن الفلسطيني من مناطق التماس بمعنى لن يشارك هو لأنه هناك واقع معقد. أنت تريد أن تشارك وهناك خطاب سلطة ستثيره، بهذا شطبت على الاتفاقات /مقاطعة/ «أنا لا أقول غير مشاركة ولكن لن يتحول لخطاب السلطة». أخيراً من يدير الانتفاضة هو السلطة. لكن هذا لن ينعكس بخطاب سياسي للسلطة لمجمل اعتبارات تتعلق بمجمل الحفاظ على الوضع القائم.. الذي لا يسمح اليوم لشارون أن يقول: الفلسطينيون خرجوا من أوسلو فأنا أجتاح المناطق.

أي ليس كل شيء بالموضوع الفلسطيني يربط الشارد بالمعقد. كلنا نفهم عندما يأتي عرفات ويدين عملية انتحارية. حتى حماس تنضم حتى الناس الذين يقدمون على العملية يتفهمون. لهذا الشرط المعقد بيئة غير مؤاتية بالنظام العربي المعادي للانتفاضة كرس عند الفلسطينيين حالة، أنه أنت حتى تنتزع عليك أن تنتزع من الطرف الآخر فإذا كان الأمن معادلة إسرائيلية فعلى هذا الأمن أن يأخذ بعين الاعتبار الأمن الفلسطيني وهذه معادلة الرعب التي عملتها قصة العمليات.

هناك أمر هام بإسرائيل: حتى عندما يقول شارون هذا استمرار لحرب التحرير هو يكذب، لأن إسرائيل اليوم ليست إسرائيل ٤٨ وهذا ما يفسر قصة تغير الحكومات السريع ليس لعلاقة بموضوع التسوية بقدر ما لها علاقة بمجتمع إسرائيل صار عنده قوة. أي تراجع الأحزاب الكبيرة هذا ناجم عن أن هذا المجتمع أسس بالمعنى الإقليمي كدائرة. باراك قال: أن إسرائيل هي أكبر قوة عسكرية هي دائرة قطرها ١٥٠٠كم مركزها القدس. أي هذا المجال المهيمن في القوة الإسرائيلية.

هذا الترف مبني على آلة عسكرية إسرائيلية هي الأقوى في المنطقة، لكن هذه الآلة تم تعطيلها بمواجهة الانتفاضة الشعبية، بمعنى أن النظرة الأمنية الإسرائيلية والنظرية الاستراتيجية هي نقل موقع المعركة لأرض العدو، ولكن أرض العدو هي فلسطين الكبرى. هذا حد من استغلال الآلة الحربية العسكرية الإسرائيلية.

وبهذا المعنى الشيء الشعبي وبتجربة لبنان بتمويلها اللبناني الخاص وتجربة الانتفاضة اليوم نتبين أن النظرية الأمنية الإسرائيلية فيها مشكلة فهي لا تعرف أن تتعاطى مع نضال الشعوب.

بنك الأهداف الإسرائيلية الذي تحدث عنه الشيخ هوطلي: السبب بسيط، إن الإسرائيليين حددوا بنك الأهداف بمواقع السلطة والمواقع الأمنية للسلطة وماداموا ضربوهم وهدموهم مئة مرة سينتهون، وبعد ذلك أين سيكون بنك الأهداف لا يوجد دبابة تضرب ولا يوجد مركز تضربه بمعنى إنهم أعادوا المعادلة مرة أخرى للصراع المحدود جداً ولكنه جدي جداً مع سقوط نظرية الخوف، عندما لا يخاف الفلسطينيون سنقول على النظرية الأمنية الإسرائيلية السلام. هذا الوضع كله أدى لأن تضع الانتفاضة المنطقة بشرط سياسي جديد برأيي، ولكن المشكلة اليوم أن الأداء السياسي العربي وجزئياً الأداء السياسي الفلسطيني حاول الحفاظ على الآلة التي كانت سائدة قبل الانتفاضة وهذا سبب حالة التردي في الأداء السياسي، ونحن بدأنا بالانتفاضة بالمبادرة الأردنية المصرية السخيفة ثم قلنا ميتشيل ثم تينيت. الحل الأمني كبير ومتواضع جداً.

أحمد برقاوي

لم أفهم هنا شيء.. إلا أن هناك حديث عن طبيعة المراحل العربية والمراحل الفلسطينية كذلك..

بالعودة لحديث سمير الزبن: فلسطين على مرحلتين والعالم العربي على مرحلة واحدة المرحلة الأولى تسوّي ما بين الوضع الفلسطيني والوضع العربي بحيث أن الوضع الفلسطيني يصبح جاهزاً لـ ٢٤٢-٣٣٨، وأوسلو كانت هي المرحلة الأولى التي أخذت شكل تعاقد بين طرفين خارج قرارات ٢٤٢-٣٣٨ باعتبار أن العقد هو شجاعة المتعاقدين، إسرائيل لم تنفذ خرجت عن التعاقد، لو نفذته كانت حسمت بشكل كبير شروط الحل النهائي. الفلسطيني والإسرائيلي الذي هو ٢٤٢-٣٣٨

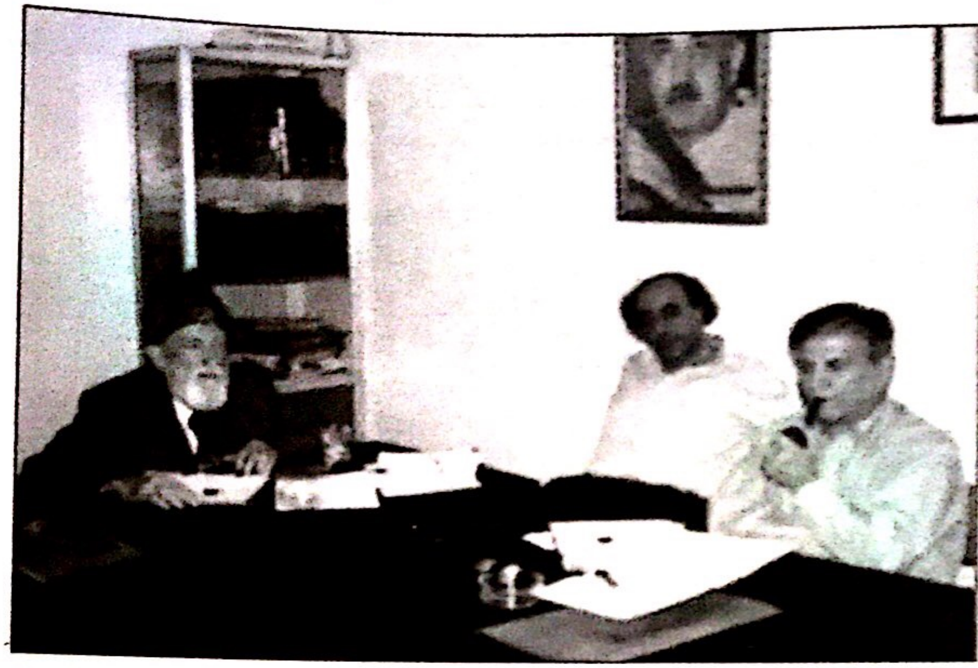
سمير الزبن

لكن نتنياهو قال نبدأ بالحل النهائي.

أحمد برقاوي

الإسرائيليون من البداية لا يريدون الحل النهائي ٢٤٢-٣٣٨ أنا هكذا قناعتي لهذا لم ينفذوا أوسلو، في هذه الأيام تركوا الفلسطينيين في حالة تخبط فظيعة، متصورين أنهم أي شيء يعطوهم إياه في النهاية بحكم نزال القوة، وروح العالم العربي على ٢٤٢ وكل واحد لوحده، ولا أحد يتدخل بشؤون أحد، والتصريحات العربية المتكررة نحن لا نقبل أوسلو، ولكننا لا نفعل شيئاً ضده. وهناك قبول دولي، أنا أعتقد أن أوسلو كان هو السقف، بالأحرى الهدف المباشر للانتفاضة الأولى، لأنه لو لم يكن انتفاضة لما كانت أوسلو. خاصة إن الهيمنة الأمريكية على المنطقة بعد حرب الخليج أو قبلها بقليل. منذ عام ١٩٦٥ كان هناك بنية أمنية استراتيجية أمريكية إسرائيلية أقيمت منذ بدء ١٩٦٥ احتوت حركة التحرر القومي والوطني العربي ودحرتنا وسحقتنا وإلخ.. ثم احتلت جزء من الأراضي العربية المحتلة ووضعت في حالة هجوم تاريخي واستراتيجي كبير على الواقع العربي، ووضعت فعلياً المنطقة مفاتيحها الرئيسية بأيدي أمريكا - النفط - الحركة الشيوعية أصبحت هامشية، الاتحاد السوفيتي دخل بتخبط له أول وليس له آخر، وبالآخر استُنزف عبر المنطق، والحركة القومية دُحِرت وطُردت الخ..

الآن: حرب الخليج وضعت المنطقة بين يدي أمريكا، وأقامت فيها النظام الأمريكي الجديد، فلا يوجد منطقة في العالم يوجد فيها النظام الأمريكي الجديد، إلا منطقتنا، لا أحد ينازع على شرعيتها، لا أحد ينازع على قوتها، لا أمم متحدة لا أوروبا لا صين لا روسيا وللأسف الشديد ولا العرب. ولا أغفل هنا النظام العربي، بالعكس إنه سعيدٌ بها ويعيد إنتاج نفسه لملائمة احتياجاتها منذ عام ١٩٤٨، وإعادة إنتاج النظام العربي، وفق حاجات وشروط الوجود الأمريكي في المنطقة وإلخ.. كلنا نعرف ذلك، والفلسطينيون دخلوا على هذا الخط وإلا بدون ذلك لم يكن حصل شيء. ولولا الانتفاضة بهذا المعنى لما وجدت أوسلو فعلياً: إن هذا الآن ليس تشجيعاً لأوسلو ولكن محاولة لقراءة الوقائع: الآن إسرائيل لم تفقد أوسلو، ظهر أن الحل النهائي الفلسطيني والحل النهائي الإسرائيلي متناقضان ومتعارضان جذرياً، وإن الفلسطينيون يضعون ٢٤٢ و٣٣٨ باعتبارهم وانسحاب إسرائيل الكامل.. وإلخ، وأنا أعتقد أن هذا الذي جعل مسألة الانتفاضة الثانية هذه تصبح مسألة راهنة وهذا آخر شيء ممكن أن تعطيه بالحل النهائي وهو كامب ديفيد الثانية وباراك واقتراحات باراك. الان إن ٥٪ التي يطالب بها الإسرائيليون بالخريطة التي وزعها أبو مازن شيء مخيف فعلياً كل حدود فلسطين من الخارج واختراق هائل شمال جنوب القدس تقريباً إلى غور الأردن. «منطقة ليست مزحة بسيطة هذه الـ٥٪ التي تطالب بها فعلياً، هي بقعة من الأرض تمسك استراتيجياً بفلسطين وتفصلها عن الوطن العربي، وتخترقها من الداخل، وتفصلها إذا أرادت ومتى أرادت إلى مناطق مختلفة فأنا أعتقد أن النزاع الآن هو نزاع حول حلول نهائية لم يعد حول أراضٍ متنازع عليها فقط: حلول نهائية. تصورين للحل النهائي، واحد فلسطيني يقول ٢٤٢ تعني الانسحاب الكامل والشامل وهذا عليه إجماع وطني، وآخر يقول لا - ٢٤٢ - لا يعني إنسحاب إسرائيلي كامل



نحن لن ننفذ ٢٤٢، هكذا يتكلم الإسرائيليون، وبالمناسبة الجولان له موقف مماثل، لم يقل مسؤول إسرائيلي واحد: «الانسحاب من الجولان» وإلا دائماً في الجولان. حتى في وثيقة رابين، الانسحاب في الجولان وليس من الجولان، ولكن في الجولان يقول لك ١٠ أمتار على البحيرة و٢٠٪ هناك ولكن هذا في النهاية، في الجولان وليس من الجولان، ليس تطبيق ٢٤٢، يوجد تعدلات على الحدود والخ.. أكثر من ذلك، في حال تصل إلى منابع بانياس والحاصباني وإلخ.. أكثر من هكذا اختراق أرض لا يوجد، يعني أستطيع أن أقول قليلاً من إعادة النظر في هذا المنظور، الأمريكيون متصورون - وأنا برأيي - أن أهمية كامب ديفيد الثانية أنها أرتنا تبني الأمريكيون الحل النهائي الإسرائيلي وليس ٢٤٢ فلا أظن أن يطبقوا ٢٤٢ في فلسطين وربما في غير فلسطين أيضاً من هنا خطورة المسألة.

الانتفاضة الثانية هل هي فعلياً انتفاضة استقلال؟ بمعنى أنه إذا كسرت يوجد حل نهائي إسرائيلي، والحل النهائي الإسرائيلي لا يترتب عليه قيام دولة ولا غير دولة، فالمسألة أهم من قصة تصعيب الانتقالات. والمسألة إحساس عند الشعب الفلسطيني، وعي عند الشعب الفلسطيني بأن هذه هي معركته الأخيرة، إذا لم تنجح «ذهبت إلى خمسين سنة أخرى» يمكن بهذه الخمسين أو الخمسة والعشرين سنة القادمة بدون تنبأ، أن يصبح وضعه أصعب، وتصبح انطلاقته من جديد من أجل استئناف نضاله الوطني والخ صعب جداً، إذا كان الآن هو نقل ١٦٠ ألف بندقية وأصبحوا ٢٠٠ ألف على الضفة الغربية والخ.. إذا هُزم هذا يعني أنه وقع في فخ وليس أدخل قوة إلى داخل العدو، أود أو أقول حاجة ثانية هنا وكأنني نسيتها عن إسرائيل عن الحياة الداخلية لإسرائيل، في البداية كان هناك حزب كبير هو مجموعة العمل وبجانبه كتلة يمينية، ثم أصبح هناك حزبين، ثم بدأ الحزبان الكبيران، وخاصة حزب العمل يتراجع ويهرهر ويفرط وبدأت تتكون أحزاب لمجموعات بشرية صغيرة، لمجموعات مصالح صغيرة، تضخمت وكبرت خاصة مع شاس، حتى شاس تقريباً يساوي الليكود، فيوجد تبدل في اللوحة الإسرائيلية، مع هذا التبدل السياسي الذي حصل دخلت إسرائيل بأزمة حكم بالمعنى السياسي، بمعنى أن الأحزاب تدير الدولة، انا أعتقد أن الجيش الإسرائيلي، المؤسسة العسكرية الإسرائيلية تستطيع أن توازن حياة إسرائيل العامة، زادت من دورها في تقرير شؤون إسرائيل العامة، خاصة بالجانب الأمني، ربما تكون فصلت الشيء الأمني عن صراعات الأحزاب ومشاكل الأحزاب وإلخ.. وربما يكون دور الجيش في القرار السياسي الكبير من أجل اجتياز لهذه المرحلة الانعطافية التي تفككت فيها صورة الأحزاب الإسرائيلية التاريخية، أو التجمعات الإسرائيلية التاريخية الكبرى، والتي بدأ فيها الانعطاف من حزب كبير بجانبه حزب صغير، إلى فعلياً حزبين كبيرين بدءا بالتلاشي ومجموعة أحزاب صغيرة بدأت تظهر وتكبر من شاس إلى ميرتس.. الخ.. فانا أعتقد أن هذا يوازنوه عبر دور أكبر للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية في الحياة السياسية، عام ١٩٤٨ جاء رئيس الأركان الإسرائيلي ليتكلم بشأن سياسته نهرهُ بن غوريون وقال له هذا ليس عملك عليك أن تنفذ أوامر فقط. ويُتمم موفاز بانه هو الأب الروحي كل الوقت للسياسة التي تمارس اليوم في الضفة، ويحضر اجتماعات، ويحضر معه جنرالات.. الخ.. الخ.. فاعتقد هنا، أن هناك مفصل صغير يجب أن ينتبه له الواحد ويضع يده عليه: يعني أكثر من قصة أو مازق لإسرائيل في الآخر، هذا المازق هو بحيث لسياسة أن تتبدل بأكثر من مسألة، يكون خط آخر عند الإسرائيليين، هو خط ١٩٧٣ الثورة الفلسطينية مستمرة من ١٩٦٥ بيروت ١٩٨٢ والخروج من جنوب لبنان، ثم تجد الانتفاضة. لم يعد العقل الإسرائيلي مرتاحاً إلى قوته في المطلق داخل المنطقة، وأصبح هناك فعلياً انعكاس لهذه السياسة لتقل إسرائيل.

ميشيل كيلو

في الجانب السياسي الحالي هناك ما يدعى الروس: خلق عنصر جديد في الحياة السياسية في إسرائيل. نجد اليوم في إسرائيل تعبيرات سياسية لم نكن نراها في الستينات، فهناك رفع حظر عن تعبيرات سياسية لم تكن مسموحة، اليوم الروس يأتون ويعملوا حزبهم ويؤسسوا الحزب الروسي، هذا ليس مؤشر على الضعف والمازق السياسي بقدر ما هو مؤشر على استيعابها للتعبيرات بالخارطة السياسية الإسرائيلية، هي مختلفة عما نراها خارج الصراع بمعنى أن ميزة الخارطة السياسية الإسرائيلية، أنها تستوعب التعبيرات التي تعبر عن نفسها بدون أي مشكلة.

وهذا الذي تتعامل به مع الفلسطينيون، بأنكم أنتم تطالبون بمطالب سياسية، في النهاية للانتفاضة مطالب سياسية، على قدر الانتفاضة أصغر من الانتفاضة ليس مشكلة، فكل الهدف الإسرائيلي القائم الآن بهذه المواجهة الشرسة للانتفاضة هو أنْ لا نعطي الفلسطينيين أي مكسب سياسي، ليس استناداً إلى الانتفاضة بالذات، مع أن أوسلو «بمعنى من المعاني» كان طريقاً لإجهاض الانتفاضة.

انتفاضة ٨٧ انتفاضة في الداخل قوية وضعت إسرائيل أيضاً في مازق سياسي ومازق عالمي.. إلخ.. لم يستطيعوا القضاء على الانتفاضة بأساليب عسكرية.

مقاطعة: وقالوا: خطأ أننا احتللنا غزة.

- جاءت أوسلو من وجهة نظر إسرائيلية لتضع حداً للانتفاضة ١٩٨٧ أو وضعت حداً للانتفاضة لكن ليست هي تراجع إسرائيل عن أهدافنا بالعكس تقديرهم كان أن انتفاضة ١٩٨٧ قد تنتج حالات لا نستطيع السيطرة عليها، لذلك أفضل شيء هو التهدئة والسيطرة على الوضع، وإيقافه بحل التسوية بحل سلمي.

عندما رُحِلتْ الأهداف الثلاثة إلى ما بعد تطبيق أوسلو ـ المستوطنات ـ القدس والعودة ـ عملياً إسرائيل وضعت أوسلو كحل نهائي لأنها تدرك أنه بالمجتمع الإسرائيلي بالجيش الإسرائيلي وبالسياسة الإسرائيلية إلخ.. القدس مُجمع عليها إسرائيلياً.

المستوطنات من الصعب تفكيكها. عودة اللاجئين لم يُخطر على بالهم أن يقول الوفد الفلسطيني: إننا نريد عودة جميع اللاجئين، واعتبروها قضية منسية، بيريز الذي هو عراب التسوية الإسرائيلية، بكتابه الجديد «شرق أوسط جديد» يقول لقد ألحقنا ظلماً بالفلسطينيين صحيح، لكن ما من أحد في إسرائيل يقبل عودة الفلسطينيين إلى فلسطين، لأن شأن ذلك يمكن أن يدمر الدولة الصهيونية، فعندما ترحل أنت ثلاث مشكلات لا سبيل إلى حلها من زاوية فلسطينية، هذا يعني أنك وضعت أوسلو كحل نهائي واعتقدت أنه ممكن تحقيق ذلك وبرهنت الأيام أن هذه المشكلات ليست المشكلات السهلة التي من الممكن أن ينظر فيها لا أبو عمار ولا غير أبو عمار، أي مشكلة القدس: هذه مشكلة لا يستطيع أحد أن يتصرف بها، ومستحيل ذلك سبب ذلك الرمزية، يعني أبو عمار إذا فرط بالقدس كل كفاحاته تساوي (نصف فرنك) وسيشهد ما سيقال في التاريخ أن هذا الذي سلّم القدس لليهود، وهو لم يفعل ذلك لذلك المشكلات صارت أكثر تعقيداً بالنسبة للمجتمع الإسرائيلي. صحيح أن المجتمع الإسرائيلي بوجود شعب فلسطين لا يقاتل من الخارج بل من الداخل، أيضاً فوجود مليون و٢٠٠ ألف فلسطيني داخل الخط الأخضر يقدمون ١٣ شهيداً تضامناً مع الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة، صحوا على أربع ملايين ونيف فلسطيني داخل فلسطين التاريخية، يعني عدد الفلسطينيين داخل فلسطين يساوي عدد اليهود وبالتالي هم يواجهون مشكلات من طبيعة موضوعية من الصعب للخيال أن يحلها إسرائيلياً الخيال الإسرائيلي ليس لديه قدرة على تصور حل. أعتقد أنه مسألة مستحيلة بالنسبة لجانب الخط الأخضر وبالنسبة للضفة الغربية وغزة. حسناً كيف يمكن أن نتعايش مع ٤ ملايين ونيف فلسطيني. داخل فلسطين التاريخية، داخل الخط الأخضر مليون و٢٠٠ ألف، في الضفة الغربية وغزة ٣ ملايين، في سنة ٢٠٥٠ سيكون عدد الفلسطينيين أكثر. من هنا نرى أن التاريخ بمعنى من المعاني لا يعمل لصالح إسرائيل والأوهام التي بُنيت عليها إسرائيل تتحطم شيئاً فشيئاً، تحطم الأوهام هو الذي أفضى إلى زيادة في التطرف اليميني الديني اليهودي.

عندما يكون هناك مأزق للحل وليس أمامك مهرب.. تتطرف.. تصبح متعصب أكثر.. هم متعصبون.. ولكن صاروا أكثر تعصباً أكثر تطرفاً، للهروب من التفكير بمشكلات حقيقية، لذلك الفلسطينيون ماذا يقولون لشارون؟ يقولون له أنت آتٍ إلى السلطة بلا مشروع، فماذا تريد، هكذا الفلسطيني يقول له: ما هو مشروعه: أن يكسر رأس الفلسطيني الآن، لا يهمه من الذي سيأت بعده المهم هو أن يكسر رأس الفلسطيني. تحقيق الأمل لليهود.. الفلسطينيون لعبوا على قضية مهمة جداً وكانوا عباقرة فيها، ثم دلّلوا للسلطة الصهيونية أن الأمن الإسرائيلي لن يتحقق، الفلسطينيون يراهنون على استمرار الانتفاضة واستمرار تحطيم نظرية الأمن لشارون، إسرائيل في النهاية تستفيق على حقيقة أنه يا أخي لا يوجد حل.. حل عسكري لا يوجد، وحل على حساب الفلسطينيين وحقوقهم لا يوجد أيضاً.. هذه المسألة يمكن أن تطول قليلاً، في النهاية يجب أن يعطي للبشر حريتهم وحرية التنظيم.. إلخ.

هذا يمكن أن يخلق أزمة جديدة أمام الحكومة الإسرائيلية وأمام المجتمع الصهيوني نفسه. السبب أنه لا يوجد عندهم أي تصور لأي حل هو آتٍ من روسيا ويريد أن يسكن بفلسطين هذا الذي يفهمه ـ وأنا رأيي إذا فهم الجانب الفلسطيني هذا جيداً ومع الأسف لو يوجد التزام عربي، وذرة من الإحساس بالكرامة الوطنية لكان مأزق إسرائيل اكبر بكثير. لكان مأزق U.S.A أكبر.

الولايات المتحدة بوجهة نظري هي مع إسرائيل قولاً واحداً وهذا حليف ليس مثل مصر، مصر يتغير النظام السياسي فلا تعد حليف، مثل إيران، يتغير الشاه صارت إيران عدوة للولايات المتحدة الأمريكية، إسرائيل مهما اصابها من تغير ستبقى مرتبطة بالجانب الأمريكي لأن وجودها مرتبط بالدعم الأمريكي، ولكن أنا أعتقد أن الحزب الجمهوري أو استراتيجيته بالسياسة التقليدية: أنه يترك الأزمة لأن تصل إلى ذروتها غير آبه بأي نتائج إنسانية وعذابات إنسانية.. إلخ.

جودت السعيد

إن اليهود أغبياء لمجيئهم إلى هذه المنطقة لأنه لا إسمياً ولا جغرافياً ولا تاريخياً. أكثر من ذلك أقول اليهودي أداة صغيرة بيد الأمريكي هو مستعمر من الدرجة الثالثة ويدفع أتاوات لأمريكا مثل أي رئيس عصابة عنده زعران، هؤلاء الزعران إسرائيل في المنطقة هكذا تتعامل معهم أمريكا.. فهي تترك الأمور تأخذ مداها بمعزل عن قتل من هنا ومن قتل من هناك.. إلخ عندما تصل الأمور إلى مأزقها الشديد وعندما تعجز أوروبا في إيجاد أي منفذ للحل تعتقد أمريكا عندها أنها ستفرض حلّها على المنطقة ككل، لاسيما أن الوضع العربي مؤهل للرضاء بأي شيء أمريكي.

في القديم بيكر عندما سألوه لماذا لا تتدخلون في كوسوفو؟ أمريكا بالمناسبة تركت حربَ البلقان بدون أن تكترث بها. وكانت حرب ضروس وقتل وإلخ..

قال: إن المصالح الأمريكية لن تتهدد بعد من هذه الحرب وبالتالي لن تكترث بها.

عندما وصلت الأمور إلى حد يثق به الأمريكيون أنهم تدخلوا وفرضوا حلاً أمريكياً على مشكلة البلقان، البلقان حل أمريكي بالمناسبة.

النقطة الثانية: أنه من سياسة أمريكا أنها لا تعطي قيمة لعملائها كثيراً، يجب ان يبقى إحساسهم بأنهم موظفين عند أمريكا يعني عندما ذهب إلى أمريكا ترجى أن يلتقي بمسؤولي شؤون الأمن القومي.. الزنجية التي من وجهة نظر أمريكا أدنى من الأبيض قالت لا لا تريد التقائه وأعطته في النهاية نصف ساعة.. إزدراء..

مرة ذهب وفد من وزراء الخارجية العرب للقاء ريغن وكان شولز وزير خارجيتها آنذاك.. بعد جهد جهيد رضي ريغان بلقاء وزراء الخارجية العرب منهم وزارة السعودية ومصر وسوريا.. والاجتماع جاري، نظر الرئيس الأمريكي لساعته وقال: إن وقت الرئيس الأمريكي لا يسمح لأكثر من ذلك وطردهم. هذه السياسة الأمريكية مع العملاء لأنهم يعرفون مقدار ضعفهم وتناقضهم الشديد مع المجتمعات التي يحكمونها.. فانا رأيي ليس من الصعب الآن رؤية نتائج سريعة للانتفاضة التي من المتوقع أنه خلال شهر أو شهرين يجب أن نوطد أنفسنا على أن هذه الانتفاضة يمكن أن تستمر سنتين أو ثلاث سنوات بأشكال متعددة وتعيد إنتاج نفسها على أنحاء متعددة.

لا نستطيع أن نعطي نصائح للانتفاضة، لأنهم هم من يعطونا نصائح، لكن كل الاحتمالات ممكنة لتطوير الانتفاضة. كله ممكن. وبالمناسبة فإن إجهاضها ممكن أيضاً ويجب وضعه في عين الاعتبار، حتى لا نفاجأ غداً، إذا كان هناك إمكانية لإجهاض الانتفاضة فيجب ان نفكر الآن كيف السبيل للحيلولة دون إجهاض الأهداف الأساسية لانتفاضة الشعب الفلسطيني، هذا سؤال يحتاج إلى وقفة خاصة، ما هي السبل الضرورية والممكنة لمواجهة احتمال إجهاض الانتفاضة؟

وهذا يترتب عليه سؤال آخر: ماهي الشروط النظرية والعملية التي قد تؤدي إلى إجهاض الانتفاضة؟ وبرأيي يجب الإجابة على هاذين السؤالين.

منير الحمش

للإجابة على تساؤلات د. أحمد ينبغي لنا أن نركز النتائج التي يمكن أن تكون قد توصلنا إليها من خلال سؤال ماذا فعلت الانتفاضة حتى



الآن؟ وأعتقد أن حديث الإخوان تطرق إلى هذا الموضوع، لكن يبدو من الضرورة أن نركز على بعض النقاط: على الصعيد الإسرائيلي، واضح أن الانتفاضة حققت وحدة جميع القوى الإسرائيلية يمينها ويسارها في موقف واحد علماً أن هذا الموقف الإسرائيلي كان قبل الانتفاضة، أو منذ أوسلو كان يمكن أن تقول هناك مَنْ مع أوسلو من الجانب الإسرائيلي وهناك من يعارض أوسلو، ولكن بعد الانتفاضة أصبح الجميع في سلة واحدة ضد الانتفاضة وضد الشعب الفلسطيني وضد إعادة أي حقوق للشعب الفلسطيني بما في ذلك مسألة العودة والقدس.

لكن على الجانب الفلسطيني صحيح أنها وحدت الآن جميع الفصائل ولكني مع ما عرضه الأستاذ سمير بأن هناك تفاوت في وجهات النظر بين السلطة التي ترى في الانتفاضة وسيلة لتدعيم موقفها التفاوضي في التسوية وبين من هو مناضل حقيقي على الساحة الفلسطينية ويريد أن يدفع بالانتفاضة إلى مداها، وأقصد بمداها هو استعادة الأرض بكاملها. على الجانب العربي أوضحت الانتفاضة بشكل لا يقبل اللبس موقف الأنظمة العربية المتهافت تجاه المشروع الأمريكي وتجاه قبوله بهذا المشروع في مقابل استمرار هذه الأنظمة واستمرار حماية الولايات المتحدة لها، لكن الانتفاضة حققت شيء كبير جداً على الساحة الدولية والعربية، إن الانتفاضة قطعت مسار المشروع الأمريكي في المنطقة. المشروع الأمريكي في المنطقة ابتداءً من حرب الخليج الثانية كان يسعى باستراتيجية واضحة إلى نقطتين أساسيتين هدف أساسي إبقاء إسرائيل وحمايتها ودعمها، ومشروع شرق أوسطي له جانب أساسي هو الجانب الاقتصادي للهيمنة على المنطقة وحماية تدفق النفط بكميات وبأسعار مناسبة لعجلة التطور والازدهار الرأسمالي.

هذه هي خلاصة الاستراتيجية الأمريكية. أما أدواتها فهي بشكل واضح بعض الأنظمة العربية وإسرائيل، وأيضاً على المستوى الاقليمي التحالف التركي - الإسرائيلي، هذا التحالف ومع مجموعة الترتيبات بتبلور الموقف الأمريكي والاستراتيجية الأمريكية الذي هو استمرار تواجد انظمة عربية هشة ضعيفة ملحقة تابعة، واستمرار ابعاد العراق وإقصاؤه باعتباره القوة الضاربة التي كانت تهدد المشروع الأمريكي، أيضاً استمرار التواجد الأمريكي في الخليج في أرض النفط واستمرار عزل واحتواء إيران، وإيران لها موقف كلنا نعرفه كلنا نعرف اهمية الموقف الإيراني كحقوق داعمة للقضية الفلسطينية، والتحالف التركي الإسرائيلي هو الذي يسمح بتواجد إسرائيلي عملي وفعلي على حدود إيران وبالتالي يجب ألا نسقط إيران من المعادلة لأنه بالأساس أمريكا لم تسقطها وحتى إسرائيل لم تسقط إيران من المعادلة.

إذاً أهمية الانتفاضة أنها قطعت مسار المشروع الأمريكي وهذا ما يجب أن نركز عليه، افشلت الانتفاضة مشروع التسوية وهو بالأساس مشروع أمريكي.

أحمد برقاوي

الولايات المتحدة الأمريكية حتى الآن لم تجد أي تهديد لمصالحها في المنطقة، حتى الآن لم تبرز قوى سياسية أو غير سياسية، حكومية او شعبية أو غير حكومية إلخ.. تهدد مصالحها في المنطقة، بالعكس مازالت قواتها تسرح وتمرح في الخليج، مازالت علاقتها بمصر قوية وعلاقتها بالسعودية على أتم وجه، وبالمغرب مهمة، ومازالت أمريكا لديها ثلاث اهداف في المنطقة، فضلاً عن النفط وإسرائيل، وهما الهدفين الدائمين، الحيلولة - وهذا ما جاء على لسان انديك بالذات - دون قيام حركات إسلامية وقومية راديكالية تهدد مصالحها في المنطقة.

حتى الآن لا تهديد للمصالح الأمريكية وحتى الآن أمريكا تضرب العراق، وصمت عربي على ضرب العراق، حتى الآن يطلب النظام الرسمي من أمريكا التدخل لحل المشكلة، وبالتالي لا أجد أن المشروع الأمريكي قد هدد في هذه اللحظة من سطوة الانتفاضة بالعكس التوسل إلى أمريكا في ظل اشتعال الانتفاضة لتاتي بحلٍ ما، أو تضغط على إسرائيل، دليل على أن أمريكا مازالت قوة فاعلة في النظام العربي وأن مصالحها لم تمس إطلاقاً.

منير الحمش

بالعكس القول أن هذه الانتفاضة لم تهدد المصالح الأمريكية في المنطقة في الحقيقة هو قول لا يستند إلى وقائع، الآن لو نلاحظ كيف يتحول الدعم الأمريكي لإسرائيل بكل وضوح ودون مواربة، دعم مالي وعسكري وفي المحافل الدولية وعلى الأرض هذه الانتفاضة كشفت الغطاء نهائياً - انا اعرف أن الدعم الأمريكي لإسرائيل ليس جديد - الجديد برأيي أن أمريكا لم تعد تخاتل ولم تعد تحاول أن تعطي هذه المسألة، «وهذا بوضوح تام أمام القاصي والداني» ذلك الدعم غير المحدود والتبني غير المحدود لإسرائيل كيف أصبحت السياسة الأمريكية موجهة بكاملها وموجهة بكل إمكانياتها نحو هذا الموضوع بدون أي مواربة، هذا الجديد في الدعم الأمريكي لإسرائيل. إسرائيل منذ بدايتها وهي تتلقى الدعم، ولكن انا لم أقل انه تم إفشال المشروع الأمريكي قلت أن الانتفاضة حطمت مسار المشروع الأمريكي منذ أوسلو كان المشروع الأمريكي ينصب على إيجاد نظام جديد في المنطقة هو الشرق الأوسط الجديد الذي طرحه بيريز، هذا المشروع أصبح الآن غير موجود، قد يكون مؤجل ولكنه غير موجود مع الانتفاضة لأنها تعطل مسار التسوية ومسار المفاوضات السوري واللبناني ثم توقف مسار أوسلو، وهذا يعتبر انقطاع للمشروع الأمريكي، من هذه الزاوية أقول: إن الإنتفاضة أجهضت بقيامها تطور أو تقدم المشروع الأمريكي «أرجو أن نلتقي بهذه النقطة».

هنا في الواقع أريد أن اتعرض أيضاً للموقف الأمريكي الذي له دور في خلق إسرائيل لكن أوروبا تريد أن تنهي هذه المسألة بقيام دولة فلسطينية مسيطر عليها،

او منضبطة قابلة بوجود إسرائيل وبوجود نظامها. لا ننسى أن أوروبا وهي شمال المتوسط لها كثير من الأهداف ذات الخصوصية التي تختلف فيها عن الولايات المتحدة. تريد أن تضبط مسألة الهجرة إليها. تريد أن تضبط الحركات الإسلامية والراديكالية، تريد أن تخفف من غلواء المنطقة في مواجهة المشروع الأوروبي الذي هو خلق حالة من الاستقرار وأن الاستقرار هو الذي يخلق التنمية والتنمية هي التي تحافظ على السكان في أراضيهم لتمنع تدفق سيل الهجرة إلى جنوب أوروبا ثم الانتقال شمال أوروبا.

أوروبا التي كان لها هذا الدور في خلق إسرائيل تريد الآن ويهمها أن يكون هناك منطقة استقرار حفاظاً على مصالحها والتي تجدها مهددة بالحركات الأصولية الإسلامية والقوى الراديكالية. من هنا يأتي نفاق أوروبا في ممانعة المشروع الأمريكي وفي التغطية على ما تقوم به إسرائيل من ممارسات ـ حتى الآن لم نسمع من أوروبا التي تدافع عن حقوق الإنسان أية إدانة صريحة لقتل الأطفال وقتل الأبرياء والممارسات الإسرائيلية اليومية في فلسطين.

أوروبا الآن تنضوي تحت لواء المشروع الأمريكي الذي يحاول أن يلفّ الأنظمة العربية على الانتفاضة لاجهاضها لمصلحة المشروع الصهيوني.

جودت السعيد

أريد أن أختم بملاحظة انه استمرار لسايكس بيكو والمشروع الإسرائيلي الذي صنعته بريطانيا وورثة أمريكا هذا الاستمرار جاء بحرب الخليج التي تنجم عنها مدريد عندما قال للعرب سنحل لكم المشكلة وكان مائعاً فانتج الانتفاضة الأولى التي عطلت بأوسلو ومنظمة التحرير، ثم بعد ذلك جاء أوسلو وأوصل إلى انتفاضة القدس وأشعر اننا نتحرك «لو كان بطئ» لليقظة وللموقف الأفضل. صحيح نتنبأ ما هو مصير الانتفاضة. الانتفاضة لاشك أنها تقدم مشروع كبير جداً وينبغي أن لا نلتبس في كل هذه الأشياء المشروع الأساسي هو تحرير الإنسان العربي والمشروع الديمقراطي في البلدان العربية وهذا شيء أساسي وإذا كانت الانتفاضة تساهم في هذا، فهذا ما نكسبه، وبدون ذلك لا نكون بدانا في المشروع الحقيقي وينبغي علينا نحن المثقفون أن نتعاون بشكل جدي، وهذا لا يمكن أن يكون إلا بإسلوب سلمي وواضح لأجل أن نقوم بدعم حرية الإنسان في كل مكان في البلاد العربية.

سمير الزبن

أنا أعتقد ان لدى إسرائيل أزمة في المشروع نفسه، هذا كان واضحاً في التحولات، بمعنى أن من هذه التحولات إعادة ترتيب أوضاع إسرائيل، ليس بالمعنى الداخلي وحسب وإنما بالوظيفة الاستراتيجية لهذا المشروع. إن إحدى أهم وظائف المشروع أنه موقع متقدم لأمريكا في المنطقة. ومع النظام العالمي الجديد الذي أعلنه بوش الأب بدأ اليعيزر في الوظائف، بيريز أدرك المسألة فقال أن على إسرائيل أن تتكيف مع المعطيات الدولية الجديدة وولد عند حزب العمل فكرة قيام إسرائيل الكبرى والعظمى على خلفية المشاريع من نوع الشرق أوسطية.. إلخ. المأزق للمشروع الصهيوني موضوعياً بمعطيات ديمقراطية ومعطيات الهجرة ومعطيات سياسية بدأ مأزقه قبل الوصول لحرب الخليج جاءت حرب الخليج لتعميق هذا المأزق ويبحث الاتجاهين الإسرائيليين لنوعين من الحل: الأول دولة عظمى بدل إسرائيل الكبرى والقائم على هجمة أمنية من المنطقة، والثاني حل الليكود الذي يقول بجدار حديدي مع المنطقة والارتباط بأوروبا (نظرية نتنياهو) لكن هذا الوضع كله هو مؤشر على المأزق الذي تعيشه إسرائيل بحيث كف هذا المشروع عن كونه مشروعاً توسعياً، حتى الصيغة الأمريكية للحل تقول أن على المشروع الإسرائيلي الصهيوني أن يتراجع.

بمعنى قدراته على التوسع باتت محدودة، قدراته على جلب الهجرة من الخارج في ظل تقلص عدد اليهود في العالم ولد مجموعة مشاكل بدأت تطرح على إسرائيل أسئلة كبيرة من نوع التكيف: هذا التكيف كان واضحاً عبر مشاركة إسرائيل في مدريد بمعنى أن الرافض الأكبر لمشروع مدريد للسلام لم يكن العرب بل إسرائيل وكان شامير على رأس الحكومة وهو أكثر تطرفاً من شارون، ولكن مجمل المعطيات الجديدة التي أفرزها العالم بدأت تقول أن على إسرائيل أن تتكيف حتى بالنماذج الأكثر تطرفاً، وعلى إسرائيل ان تشارك حتى على خلفية موعد شامير الذي يقول باستمرار المفاوضات عشر سنوات إلى الأمام بدون نتائج.

لكن الأمريكيين بعد حرب الخليج تحديداً بدأوا يحددون العالم كله كمجال للمصالح الأمريكية بمعنى لم يعد هناك مناطق نفوذ كما كان سائد في الحرب الباردة وعلى المستوى الإسرائيلي، إحدى أهم نظريات سقوط الأمن الإسرائيلي والمتعلق بحرب الخليج عندما قصف العراق إسرائيل وكان على الأمريكيين القول لشامير أنه ليس من حقك الرد، الوضع في المنطقة أكبر من إسرائيل وأكبر من مصالحها المتواضعة لأن هذا يعيد رسم خارطة العالم ويعيد ترتيب الطبخة، بهذا المعنى: في حرب الخليج لم تخضع الولايات المتحدة المنطقة فقط، بل أعادت ربط الأوروبيين بالسياسات الأوروبية بحسب النموذج الساري.

اليوم تأتي الانتفاضة لتعميق هذا المأزق الذي كان عنوانه واضحاً في عملية السلام وهو الا حل بدون أن يعطى الفلسطينيون حقوقهم رغم أن هذا الطرف هو الأضعف في عملية الصراع بمعنى أن الفلسطينيين استطاعوا وضع فيتو على التسوية لأنه لا يمكن أن يجد الحل بدون الموضوع الفلسطيني ووقع اتفاقات مع مصر والأردن ولكن مشكلة الأصل هي حل جوهر الصراع أعتقد ان إسرائيل إدراكاً للتكيف المطلوب منها خاصة الاتجاهات اليسارية بدأت تدرك أن عليها تقديم تنازلات ولكنها بدأت تضع حدود التنازلات المسموح بها دون أن ينعكس على جوهر المشروع الصهيوني، أي حدود التنازلات التي





تحافظ على المشروع وتعيد إنتاج إسرائيل بالشروط الدولية الإقليمية المطلوبة أمريكياً، بهذا المعنى جاءت الانتفاضة لتقول إن تعميق المأزق الصهيوني هو ما يؤدي بإسرائيل لإعادة النظر بالثمن الممكن دفعه في سياق إعادة تكيفها.

لا أرى في الانتفاضة إمكانية حقيقية لحرب سنين طويلة الأمد تطيح بإسرائيل على أساس عادل بالمعنى الجزئي لأن الأمريكيين بنوا كل نظرية الحل، على حق مقبول ليس بالضرورة أن يكون عادلاً لكن قابل للحياة.

اليوم الانتفاضة إحدى أشكال تفاعلاتها مع المنطقة هو رد الفعل العربي الشعبي الذي أرى أنه إلى حد كبير أكبر منه رداً على عوامل داخلية في البلدان التي برزت فيها المظاهرات بقدر ما هو ارتباط مع القضية القومية، وكل محاولات إعادة تكييف الشارع العربي مع معطيات جديدة، وأن هذا الشارع ترك السياسة وأنتجت شيئاً من السكوت، وهذا السكوت لم يكن له علاقة بالتكيف بقدر ما أخذ شكلاً من التفاعلات الغير منظورة، هذا أرعب الأنظمة لأسباب موضوعية تتحقق بقدرة هذا الشارع الذي تحرك لقضايا قومية على التحرك لقضايا داخلية وثبت مرة أخرى أن القضية الفلسطينية هي فعل داخلي في السياسة الوطنية العربية لكل قطر على حده، هذا كان مؤشراً للأمريكيين بشكل أو بآخر بأن هذه التفاعلات يمكن أن تؤدي لحالة من الدينامو شبيهة بما جرى بعد ٤٨ بمعنى أن تتهدد المصالح الأمريكية فعلاً بحال أن هذه الانتفاضة كمجموع لتحالف من القيم وإمكانية النهضة لسياسات ما أن تنتقل للشارع العربي.. ومشكلة الشارع العربي لحد ما هي مشكلة قوى سياسية مفقودة لتحريكه، لكن هذا الشارع عبّر بشكل أو بآخر عن حالة رفضوية للاتجاه العام للتسوية، بمعنى التداعيات من الممكن أن تطيح بالنظام العربي على الأقل تهدده، وهذا بالمعنى النظري العام وارى أننا أمام تصعيد ما من الممكن أن يجتاح شارون المناطق فهو يقضم أوسلو جزئياً ولكن بلحظة ما يمكن أن يكون بمشروع الإطاحة بالسلطة، وهذا يعني تغيير مرة أخرى، لمترتبات ما جرى في السنوات العشر الماضية، بمعنى آخر هذا من الممكن أن يطيح بكامب ديفيد وبوادي عربة وبالتالي يوجد أوضاع إقليمية تتجاوز الحالة الفلسطينية مما ينعكس على الشارع العربي الذي من الممكن أن يضع تغيرات تؤشر على المصالح الاستراتيجية في المنطقة المحددة بالنفط وإسرائيل وربما لا يمكن أن يؤشروا على إسرائيل لكن على الأقل يؤشروا على النفط بشكل أو بآخر، وهذا الوضع إلى حد ما يحاول الأمريكيون سد الطريق عليه، وتنتقل هذه التفاعلات باتجاه بناء حركة سياسية عربية من نوع ثاني قادرة على أن تقول لا طالما الفلسطينيون بكل هذا الضغط قادرون على قول لا للسياسات الإسرائيلية، فأي تضامن عربي على مستوى شعبي يمكن أن يشكل حالة قلق على الأقل للأمريكيين، صحيح أن السياسة الأمريكية اليوم تقول دعوا الطرفان يستنزفان بعضهما لأنهما مرجعية الحل، وهي مرجعية القوة، وهذا للغرابة مطلب عربي إلى حد ما لدرجة أن يعلن حسني مبارك بعد زيارته لأمريكا بأننا (مصر) لست طرفاً بالنزاع، ونحن حريصون على عملية السلام في خطاب كأنه قادم من أمريكا اللاتينية، هذا الخطاب رسمي ليس له صدى في البعد الشعبي بمعنى هناك طلاق، وهذه الحالة كانت موجودة إلى حدٍ كبير عنيت الـ ٤٨ فهذا الصف الأول بدأ يفقد شرعيته بتعاطيه مع القضية القومية التي كانت أساساً وإلى حدٍ كبير للانهيار، اليوم، الكثير من الأنظمة التي بنيت شرعيتها تحديداً على موضوع القضية القومية، بدأت تتآكل هذه الشرعية، بالتعاطي الفعلي مع واقع استنزاف فلسطين، بمعنى آخر صحيح أن الفلسطينيين اليوم يستنزفون الإسرائيليين، لكن هناك مجتمع فلسطيني مستنزف، والعرب غير قادرين على تقديم مساعدات جدية بالمعنى العملي، بدون آليات الشجب والإدانة.. إلخ. بمعنى تجد حالة من التململ في الشارع لكن على مستوى الأنظمة هناك تكيّف، فوصلنا إلى مرحلة أن موريتانيا المنسية تأتي في زمن كهذا الزمن لتلعب دور روسيا، فعلى أي وزن سياسي يتم ذلك. الغرض هو بناء علاقة وتدعي بأنها لخدمة القضية الفلسطينية.

إحدى مفارقات النظام العربي أنه عندما دخل في عملية التسوية وكان الفلسطينيون يقدمون تنازلات انتظاراً لحل نهائي لم يأتِ، ولن يأتِ، كانوا يقولون نحن نقبل بما يقبل به الفلسطينيون وعندما اشتعلت الانتفاضة وكانت الإرادة الفلسطينية تقول لا لما يملى علينا من الآخر، انسحب الخطاب العربي الرسمي ولم يعودوا للقول نقبل بما يقبل به الفلسطينيون فهم مع اتجاه معين من السياسة الفلسطينية، وضد الاتجاه المقاوم في السياسة الفلسطينية، وعندما أحال عرفات موضوع القدس لمبارك والسعودية تنصلوا من الموضوع، بمعنى آخر المطلوب من الفلسطينيين أن يقدموا التنازلات بضغوط ليس فقط إسرائيلية بل عربية أيضاً. فبظل هذا الشرط الصعب للانتفاضة الفلسطينية الذي رتّب على إرادة فلسطينية متماسكة لتقول لا لأن الإسرائيليين ينتجون اليوم شرطاً موضوعياً لصراع طويل واليوم تقول الأركان الإسرائيلية أن هذه الانتفاضة باقية لـ ٢٠٠٦ وتأخذ هذا في ميزانيتها، وهذا دفع إسرائيل لإعادة ترتيب أوضاعها مع انتفاضة طويلة الأمد، سياسة شارون بقمع شديد لضبط العنف، بمعنى أن إسرائيل قادرة على التكيف مع نوع معين من المواجهات على أساس مدى بعيد على أن تدعم السياسة القمعية سياسة تخفض توقعات الفلسطينيين بشأن الإنسحاب لكن هذا الواقع نفسه من الصعب التكيف معه لفترات طويلة من قبل مجتمع أصولي على أنه اصبح مجتمعاً مترفاً لا يحتمل هذه المسألة. بهذا المعنى المطلوب من الإسرائيليين أن يدفعوا ثمن ربطهم بحلول ما تحقق الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني من خلال مجموعة آليات كفاحية تستنبطها الانتفاضة، وتضع المشروع مرة أخرى في سياق مسار طبيعي لتكون عملية مفاوضات تقوم على جلاء الاحتلال وليس

إعادة تنظيمه، فهذا اليوم لم يعد مقبولاً إلا بإجهاض الانتفاضة وهذا إمكانية واقعية ففي السياسة نحسب كل الاحتمالات، والإجهاض دائماً يكون إجهاض سياسي بمعنى أن سياسة القمع الشارونية تضيف يومياً زخماً جديداً للانتفاضة وقطاعات جيدة للانتفاضة وحالات يائسة، فاليوم يقول تقرير الأمم المتحدة أنه حتى نهاية العام ٥٠٪ من الفلسطينيين تحت مستوى الفقر، ومنظمة الغذاء تطلب مساعدات عاجلة لأن هناك ٢٧٦ الف فلسطيني غير قادرين على تأمين لقمة العيش، هذه نتائج السياسة الإسرائيلية الشرسة التي تولد كل يوم شرائح جديدة تضاف للمواجهة. وهكذا لا حل عند شارون، وهو يدرك ذلك. وبرأيي انه مجرد عملية انتقالية لخفض السقف السياسي الفلسطيني ولكن بالمعنى الطويل يتفاعل الشارع الإسرائيلي ويتحول إلى اليمين، ولكن هذا اليمين وخلل مشروع شارون الأمني الذي لم ينجح حتى الآن في إعادة الأمن للشارع الإسرائيلي، بالتالي يكون التساؤل كيف الخلاص من هذه القصة؟ إذا أردت أن تتخلص عليك دفع الثمن الطبيعي لإنهاء الاحتلال، وهذا يتعلق بإدارة سياسات فلسطينية مدعومة بسياسة عربية مفقودة، وهذه المخاطر تولد ضغوطاً ما على الفلسطينيين وعلى الإنتفاضة لتعيد الموضوع إلى سياق طاولة المفاوضات والعودة إلى ما قبل ٢٨ أيلول وهذا لا يعني شيئاً للدم الفلسطيني، ومادامت الانتفاضة فتحت طريق الاستقلال فالأداء السياسي الفلسطيني والعربي يجب أن يدعم هذا الاتجاه باتجاه تكريسه رغم الشروط الصعبة التي تحيط اليوم بالانتفاضة.

أحمد برقاوي

الخطر الذي سيواجه الانتفاضة هو خطر عربي وخارجي يخشى أن تعارض بعض المشاريع حتى لو كان بها شيء إيجابي من أجل إدخال الفلسطينيين مرة أخرى في لعبة المساومات. وطرح هدوء الانتفاضة يفقد الطقس معناه، من هنا أهمية الحذر من المشاريع التي تنطوي على مكاسب لكنها مكاسب تحتاج إلى مفاوضات يمكن تتحقق ولا تتحقق.

هذا الخطر الكبير الذي يواجه الانتفاضة وهو خطر ممكن نتيجة لضغوط عربية ودولية على الفلسطينيين مع قابلية السلطة لقبول هكذا مشاريع، يمكن إجهاض الانتفاضة وأتمنى طبعاً إلا يحصل ذلك. ولكن مع القوى الفلسطينية الفاعلة في حرقة الشعب الفلسطيني الذي تكمن قوته في تسييسه على هذه القوى التي تملك ما سأسميه شكلاً من الوعي التاريخي أن تكون فاعلة للموافقة أو عدم الموافقة على أي مشروع من هذا القبيل / حماس، الجبهة الشعبية، الديمقراطية، جزء من فتح/... إلخ.

أي لا نترك للسلطة وحدها حرية اتخاذ القرار في مثل هذه المسائل وإقامة قوة ضغط سياسية شعبية يؤخذ رأيها في كل صغيرة وكبيرة في كل مشروع لإيجاد ما يسمى «حل للعنف» وحتى مصر تستخدم كلمة العنف. ويجب أن نفكر بهذا الشيء.

منير الحمش

ولهذا السبب بالذات المطلوب الآن استمرار الانتفاضة وحتى لو أدخلت بعض التعديلات عليها وعلى أساليبها فالراهنة هي الآن كيف يمكن أن تستمر الانتفاضة في حالة تأهب وتأزم داخلي يستطيع أن يكون عالم ضغط باستمرار على الشارع العربي وبالتالي يمكن أن يحول الشارع العربي إلى أداة ضغط على الأنظمة العربية. وعملية استمرار الانتفاضة من شأنها أن تولد تفاعلات جديدة على الساحة العربية، عملياً الشارع متأزم ولكن في المرحلة الأخيرة شهدنا بعض الضعف والخلخلة في الشارع العربي.

ما هو المطلوب من الانظمة العربية: نعرف جميعاً أنها مرتهنة للمشروع والسياسة الأمريكية ولكن كيف يمكن أن نجعل هذه الأنظمة تتحلل ولو بمستويات مختلفة من هذا الارتهان، لتكون عامل ضغط على الولايات المتحدة وعلى أوروبا باستخدام المصالح الحقيقية لأوروبا والولايات المتحدة. وللولايات المتحدة ليس التهديد فقط، يقال الآن كثيراً أنه يجب أن تضغط على المصالح الأمريكية، أعتقد أن الدول العربية أو الأنظمة العربية بحالتها الراهنة ليست قادرة على استخدام ورقة المصالح الأمريكية ما لم يحدث ضغط حقيقي من الشارع العربي على هذه الأنظمة.

هنا دور المثقف العربي ودور التنظيمات الأهلية في استمرار الضغط على الشارع وبالتالي على الأنظمة لتهديد مسألة المصالح الأمريكية والمصالح الغربية في المنطقة العربية.

أحمد برقاوي: هناك نقطة أود أن أضيفها تكملة لحديثي، من حيث المبدأ لا يستطيع الفلسطيني أن لا يفاوض الآن في الداخل وقد طلب من السلطة الفلسطينية أن تضع حداً للمفاوضات مع العدو.

لكن يجب دائماً النظر إلى أي تفاوض يجب ألا يكون ثمنه وقف الانتفاضة، التفاوض يتم لكن مع استمرار الانتفاضة.

جواد عقل

أود القول أن هناك إجماع وطني فلسطيني من القوى السياسية على استمرار الانتفاضة رغم كل ما يقال عن إعادة العملية السلمية على المسار الفلسطيني إلى مساراتها بواسطة عربية خاصة إذا ما علمنا ان العرب، النظام الرسمي العربي أصبح قلق، لأنه خائف من تفاعلات الانتفاضة، ومصدر قلقه، أن الرأي العام العربي رغم عدم قدرته لعوامل مختلفة ومتعددة متعلق بغياب القوة السياسية وضعفها وغياب منظمة المجتمع المدني لكن الشارع العربي يعاني وبالتالي فهو يضغط بشكل غير مباشر على النظام الرسمي العربي وهذا لا يفسر أحياناً النغمة العالية التي يقوم بها القادة العرب من تصريحات نارية وهي في جوهرها، لا تعكس حقيقة موقف النظام من الانتفاضة، فهو يتمنى كل ليلة أن تتوقف الانتفاضة لأنه خائف أن تتهدد أركان نظامه وهذا ما يفسر الاندفاع المصري والسعودي نحو أمريكا للالتقاء بعرفات، لكن الفلسطينين أثبتوا خلال هذه الانتفاضة انهم تعلموا درساً من الانتفاضة الأولى الدرس يقول: إننا نقبل بالعملية السلمية لكن بدون وقف الانتفاضة، حتى لو كرر عرفات ما فعله سابقاً بأمر وقف إطلاق النار ثلاث مرات كما طلب منه فيشر، فإن إطلاق النار لم يتوقف لأن الفلسطينيين عانوا من عذابات شديدة، وإهانة كبيرة لأنهم قبلوا بوقف الانتفاضة الأولى، أيضاً المناخ الشعبي الفلسطيني ضد وقف الانتفاضة، أيضاً المفاعيل التي أحدثتها الانتفاضة داخل المجتمع الإسرائيلي، على سبيل المثال تحول المجتمع الإسرائيلي نحو اليمين لا أعتقد أنه نقطة سلبية بل نقطة إيجابية لمصلحة النضال الوطني الفلسطيني والعربي، من يراقب حركات التحرر وما أثرت به على القوى الاستعمارية يجد هذا الأمر ظاهرة طبيعية، عندما وصل الجزائريون إلى أبواب التحرر صارت المنظمات اليمينية الفرنسية تقتل الجزائريين في الشوارع، وبالتالي هذا ليس مخيفاً بل بالعكس، فمرحلة شارون هي مرحلة ليقتنع الإسرائيليون، بأنه عاجلاً أو آجلاً يجب أن يدفعوا الثمن وطبعاً هذا الصراع، يعني إنه إذا قدم الإسرائيليون تنازلات فهذا التنازل سيكون بداية النهاية وهم يدركون ذلك، بداية النهاية لمشروعهم في المنطقة.

وإذا كنتم تذكرون عندما انسحب الإسرائيليون من جنوب لبنان في لقاء تلفزيوني مع مستوطن من كريات شمونة قال أن هذه نهاية إسرائيل، وأن إسرائيل ستنسحب من الضفة الغربية بنفس الطريقة.

على الأرض ألم تخلخل التفاعلات نظرية الأمن الإسرائيلي بمفهوميها السياسي



والعسكري، سياسة أفشلت مقولة شارون الأمنية ولأول مرة في تاريخ الصراع مع الفلسطينيين والعرب وصلت الخلخلة إلى البيوت. فطوال الحروب بين إسرائيل والدول العربية لم يصل الرصاص إلى بيوتهم، حتى في انتفاضة ٨٧ كان الاحتكاك مع الجنود والمستوطنين. الآن المجتمع الإسرائيلي نفسه يهتز، وإذا صحت العملية الأخيرة بأن منفذها هو من عرب ٤٨ فهذا شكل نقلة نوعية وستنتقل العدوى إلى الداخل لذلك أكبر المخاطر التي تواجه الانتفاضة هو الخطر السياسي، وهو لا يتأتى فقط من العرب بل ربما من الفلسطينيين، وأيضاً أطراف دولية، لكن حتى هذه اللحظة شارون ليس لديه برنامج سياسي، وحتى الطرف الفلسطيني القابل والراهن نفسه مع التسوية ليس لديه أفق سياسي.

د. محمد أبو ناموس

هناك سؤال يطرح نفسه من خلال النقاش وهو أن الانتفاضة بمفاعيلها في المجتمع الإسرائيلي، وعربياً ودولياً وكما أكدتم جميعاً أنها بحاجة إلى دعم وإسناد عربي لكن في ظل خنوع العرب الرسمي وتراجع الدعم الشعبي العربي، كيف يمكن استنهاض الوضع العربي؟ هذا سؤال يطرح نفسه لاستمرار الانتفاضة، والجميع يجمع على أن الانتفاضة يجب أن تستمر.

أحمد برقاوي

صعب تقديم إجابة شافية وكافية على هذا السؤال، ماذا تفعل الأنظمة العربية، من يدقق سياساتها الحالية تجاه الانتفاضة، خطاب رسمي داعم، سياسة سريه مع الولايات المتحدة وأوروبا.. إلخ لإنهاء الانتفاضة، سياسة إعلامية في تلفزيوناتها لامتصاص نقمة الجمهور، فمن يشاهد التلفزيون المصري يظن أن مصر تحارب إلى جانب الانتفاضة، وهذا ينطبق على الجميع، فالمشاهد عندما يرى قناته الوطنية هكذا فإن هذا يمتص جزءاً من الأحقاد الموجودة لديه تجاه الموقف الرسمي، وهذه سياسة خطيرة تزيف الوعي.

النقطة الثانية إنك لا تستطيع المطالبة باستنهاض شعبي بمعزل عن الحياة السياسية في المنطقة العربية، فخلال ٣٠ عاماً استلبت الروح السياسية من الشعب، من هنا تجد الحركات شبه عفوية، أي مثلاً الشباب المضربين عن الطعام في مقر الأمم المتحدة في دمشق أنا ذهبت لزيارتهم، لو كان هناك حركة سياسية؟ فاعلة لعممت حالتهم وانضم إليهم آلاف الناس من المتضامنين.. فكان السؤال هو سؤال كبير كيف يمكن للشعب أن يتحول إلى شخصية سياسية قبل كل شيء لكي يتحول إلى قوة قادرة على الاستنهاض لدعم الانتفاضة، وبرأيي أن مشكلة فلسطين هي مشكلة داخلية لكل المنطقة العربية، والسؤال عن فلسطين يحيل دائماً للسؤال عن الواقع العربي ومن هنا خطورة القضية الفلسطينية وأهميتها لمن يريدون التخلص منها، أنا لا أملك جواباً عن سؤال الاستنهاض إلا الأجوبة التقليدية المعتادة.

منير الحمش

رأيي في هذا الموضوع أن استنهاض الشارع العربي مرتبط بالحالة السياسية كما قال د. أحمد، أجد على العكس إن الانتفاضة هي التي ستسهم في خلق الحالة السياسية للشارع العربي، من هنا يبدو التفاعل المتبادل.

لذلك أعود إلى مسألة الوضع الفلسطيني الداخلي في بداية الانتفاضة كان هناك ١٣ شهيداً من عرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، ولكن بعد ذلك هبطت فاعلية شارع عرب ٤٨، الآن العملية الاستشهادية الأخيرة أيضاً مؤشر. أرى من الضروري توجيه السياسة جدياً إلى فلسطيني الأردن من أجل تحريك الدعم للانتفاضة، وأيضاً تحرك تجاه الفلسطينيين في الشتات في أوروبا والولايات المتحدة خصوصاً.

أعتقد أن الفلسطينيين في سوريا ولبنان، لديهم حركة توتر متنامية جداً وفعالة وبالاستطاعة تحويل هذا خصوصاً من خلال تماسهم بالمجتمعين السوري واللبناني يمكن أن يستغل ويستخدم هذا التوتر من أجل استمرار إشعال الشارع تجاه القضية الفلسطينية ودعم الانتفاضة.

أحمد برقاوي

طالما هناك حركات سياسية مستعدة لدفع ثمن كفاحها هذا يسهل الكثير على الانتفاضة، والمنتفضون يفرحون لكل مظهر من مظاهر التضامن معهم يجب ألا يتركوا لوحدهم ويجب أن يدركوا أن الجميع معهم.

منير الحمش

اسمحو لي أن أضيف نقطة أخيرة في هذا الموضوع أن الأنظمة العربية لا تستطيع أن تضعها في سلة واحدة، هذا الموضوع يطرح علينا تساؤل، كيف يمكن أن يحول موقف النظام في سوريا والعراق ولبنان وفلسطين وامتداد إيران، كيف يمكن تحويل هذه المواقف لبؤرة لجذب المزيد من المواقف من الأنظمة العربية الأخرى، هذه المسألة على غاية من الأهمية يجب استغلالها وأن نعرف كيف نستخدم في الإطار العربي والدولي.

جواد عقل

هذه القوى تلتقي على رؤيا سياسية واضحة شريطة ألا تتحول إلى محاور حيث تساهم في تشكيلها وجذب الأطراف العربية الأخرى نحو الرؤيا السياسية التي يجب أن تتعاطى معها كافة الأطراف العربية وأعتقد أن سوريا لديها وجهة نظر حول هذا الموضوع لأن الحديث عن العلاقات السورية - الفلسطينية بأنها مناهضة للعلاقة مع مصر والأردن ليس لصلحة العرب مع موقفنا وتأكيدنا أن هذه الأنظمة مازالت تحت لواء المظلة الغربية ولكن ليس من مصلحة الإطار الوطني العربي أن يكون قوة طاردة بل جاذبة وهذا هو المطلوب ■■

القرار رقم ٣٣٧٩ ومؤتمر دربان

مقاربة حول العنصرية الصهيونية*

د. جورج جبور

أكتب هذه المادة بعد يومين من اختتام مؤتمر دربان لمناهضة العنصرية والتمييز العنصري» أعماله بعد ظهر يوم السبت في ٨/ ٢٠٠١/٩ لإحيائه، ومن الواجب أن أسجل انطباعاتي عن ذلك المؤتمر الذي سعدت بحضوره ضمن الوفد السوري. وهي انطباعات لا تعفيني من واجب أهم أرجو أن تتيح لي الظروف فرصة القيام به، ألا وهو واجب إصدار كتاب مفصل عن مؤتمر يصح وصفه بأنه اخطر مؤتمر ذي صلة بالصراع العربي ـ الصهيوني، وأحد أهم مؤتمرات الأمم المتحدة في مجمل تاريخها.

لماذا يصح وصف مؤتمر دربان بأنه أخطر مؤتمر ذي صلة بالصراع العربي ـ الصهيوني؟ لأن للمؤتمر، وهو الثالث في سلسلة مؤتمرات عقدتها الأمم المتحدة لمناهضة العنصرية، شهد بفضل المنظمات غير الحكومية المشاركة فيه، وفي طليعتها المنظمات غير الحكومية العربية ولاسيما منها العاملة في فلسطين المحتلة، إدانة للعنصرية الصهيونية والإسرائيلية حظيت بأكبر قدر من الاهتمام الدولي سياسياً وإعلامياً. ففي الصعيد السياسي ترتب على الإدانة انسحاب أمريكا وإسرائيل من المؤتمر، وهو حدث يقترب في خطورته بالنسبة لأمريكا من حدث انعزالها دولياً عام ١٩٦٠ حين أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم /١٥١٤/ الخاص بإعلان استقلال كل الشعوب الواقعة تحت الاستعمار. وبالطبع جاء انعزال أمريكا آنذاك بسبب تصاعد النفوذ الأفرو ـ آسيوي ـ الاشتراكي في العالم. أما الآن فقد أتى الانعزال في زمن القطبية الأمريكية الغالبة في شؤون الأمم المتحدة والعالم. وفي الصعيد الإعلامي اقترن مؤتمر دربان بوصف أول أعلى: إنه تجسيد لثورة الرأي العام العالمي على العنصرية الصهيونية والإسرائيلية، ثورة من المتوقع ان يتابعها هذا الرأي العام، خاصة في ظل القمع العنصري الشاروني المتصاعد للانتفاضة الباسلة. ثم إنه يصح وصف مؤتمر دربان بأنه أخطر مؤتمر ذي صلة بالصراع العربي ـ الصهيوني من وجهة نظر أخرى أعمق من السياسة والإعلام ـ بل هي في جذر السياسة والإعلام. وجهة النظر الأخرى هذه فكرية. ففي ومضة باهرة من التاريخ، لعلها الأقوى في مجمل مراحل الصراع العربي ـ الصهيوني تتم علناً وبصوت قوي مناقشة الأسس الفكرية للصهيونية السياسية، تلك الصهيونية التي قامت بالأصل على ضرورة التحالف مع القوى الاستعمارية الغربية لتحقيق مشروعها الاستيطاني، والتي ناهضتها منذ البداية الصهيونية الثقافية التي كانت تود أن تنأى بنفسها عن هذا التحالف، والتي كانت تود أن يتم الاستيطان على نحو فردي مقبول لدى الفلسطينيين، بعيد عن الغَضب الذي تأتي به قوى الهيمنة الدولية. وبالطبع يَلِدُ اقتران الاستيطان مع الاستعمار شكلاً صارخاً من أشكال العنصرية لاشك فيه، عرفته، قبل فلسطين، كل من جنوب أفريقيا وروديسيا التي أصبحت زيمبابوي. مثل هذه المناقشة الفكرية لأسس الصهيونية السياسية، حين تأتي في زمن الانتفاضة الباسلة، وفي مكان هو جنوب أفريقيا، وفي ظل الانتصار المجيد الذي أنجزته حقوق الإنسان على الأبارتايد، تترك أصداء عالية في الفكر الإنساني لا تذروها الريح، بل تجثم أساساً راسخاً يؤصل الصهيونية كما عرفتها فلسطين والمنطقة العربية، ايديولوجية استعمار استيطاني تنبثق منه العنصرية بالضرورة العلمية. واكتفي الآن بهذا القدر من الإجمال الفكري لأقدم شيئاً من التاريخ الدبلوماسي.

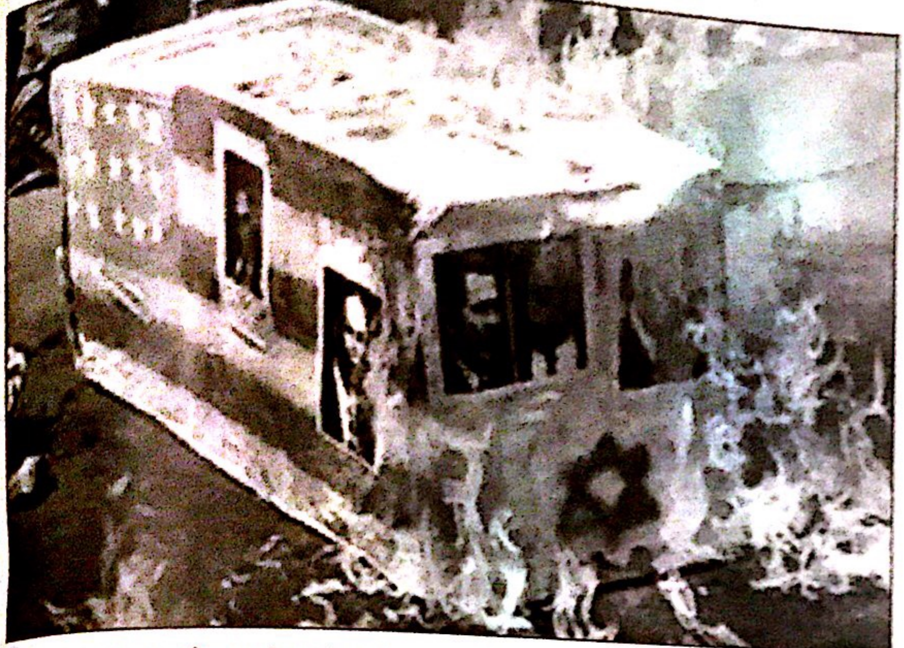
قلت فيما سبق أن مؤتمر دربان هو الثالث في سلسلة مؤتمرات عقدتها الأمم المتحدة لمناهضة العنصرية. متى عقد المؤتمران الأولان؟ وماذا كان موقفهما من العنصرية الصهيونية والإسرائيلية؟

عقد المؤتمر الأول في جنيف ١٤-٨/٢٥/ ١٩٧٨ أي قبل أقل من ثلاث سنوات على صدور القرار /٣٣٧٩/، لكنه أتى خالياً من الإشارة إلى ذلك القرار، وإلى الصهيونية إطلاقاً، وإن أشار إلى معاناة الشعب الفلسطيني من التمييز العنصري. وفيما يلي نص الفقرة /١٩/ من إعلان المؤتمر (ص١٣ من الوثيقة corf/A ٩٢/٤٠ الصادر بالعربية عن الأمم المتحدة):

«يشير المؤتمر بأسف عميق إلى المأساة القاسية التي المت بالشعب الفلسطيني قبل ثلاثين سنة والتي مازال يقاسي منها حتى الان ـ والتي تتمثل في منعه من ممارسة حقه في تقرير المصير على تراب وطنه، وفي تشتت مئات الآلاف من الفلسطينيين، ومنع عودتهم إلى ديارهم وإحلال المستوطنين الأجانب فيها، وفي ممارسة مختلف أشكال التمييز العنصري ضد الفلسطينيين مما يؤثر على جميع جوانب حياتهم اليومية. ما يحول دون تمتعهم بأبسط حقوقهم الإنسانية على أساس المساواة؛ ويعرب المؤتمر عن قلقه الشديد إزاء استمرار هذه الحالة وعن أسفه لرفض إسرائيل الانصياع لقرارات الأمم المتحدة في هذا الصدد، ويدعو إلى وقف جميع ممارسات التمييز العنصري التي يتعرض لها الفلسطينيون وغيرهم من سكان الأراضي العربية التي تحتلها إسرائيل؛ ويعبر المؤتمر عن أمله في أن تتاح للشعب الفلسطيني قريباً فرصة ممارسة حقه غير القابل للتصرف في تقرير مصيره، وفقاً لقرارات الأمم المتحدة بشأن قضية فلسطين، ويعلن عن تضامنه مع الشعب الفلسطيني في كفاحه من أجل التحرير ومناهضة التمييز العنصري».

أما المؤتمر الثاني فقد عقد في جنيف أيضاً (١٠-١٢/٨/١٩٨٣) وقد وردت في إعلانه الفقرتان /١٩/ و/٢٠/ التاليتان (ص /١٩/ و/ ٢٠/) من الوثيقة (١١٩/٢٦/٢٦ corf/A الصادرة بالعربية عن الأمم المتحدة):

١٩ـ «إن المؤتمر يدين أي شكل من أشكال التعاون مع جنوب أفريقيا، وبوجه خاص العلاقات القائمة والمتزايدة بين إسرائيل ونظام جنوب أفريقيا العنصري، ولاسيما العلاقات القائمة في الميدانين الاقتصادي والعسكري، ويشجب التعاون بينهما في الميدان النووي ويحذر منه، ويشجب بوجه خاص توسيع وتكثيف تلك العلاقات في الوقت الذي يبذل فيه المجتمع الدولي كل ما بوسعه من جهود لتحقيق الهدف المتمثل في عزل نظام جنوب أفريقيا العنصري عزلاً تاماً. وينظر المؤتمر إلى هذا التعاون على أنه عمل اختياري متعمد وعمل عدائي ضد شعب جنوب أفريقيا المضطهد وتحدٍ لقرارات الأمم المتحدة وجهود المجتمع الدولي من أجل ضمان الحرية والسلم في الجنوب الأفريقي. كما إن المؤتمر يلاحظ مع القلق الدعاية المغرضة التي تقوم بها إسرائيل



ضد الأمم المتحدة وضد الحكومات التي تناهض العنصرية بحزم.

٢٠ـ إن المؤتمر يشير بأسف عميق إلى ممارسات التمييز العنصري القائمة ضد الفلسطينيين وسائر سكان الأراضي العربية المحتلة والتي تؤثر على جميع جوانب معيشتهم اليومية على نحو يحرمهم من التمتع بحقوقهم الأساسية، ويعرب المؤتمر عن قلقه العميق إزاء هذا الوضع ويدعو إلى وقف جميع ممارسات التمييز العنصري التي يتعرض لها الفلسطينيون وسائر سكان الأراضي العربية التي تحتلها إسرائيل.

ومن الجدير ذكره أن الولايات المتحدة وغيرها قاطعت هذين المؤتمرين احتجاجاً على القرار /٣٣٧٩/، وأن الدول المشاركة فيهما حاولت إرضاء المقاطعين فلم تشر إلى ذلك القرار الذي كان له أن تشغل أصداؤه الدنيا بعد سنوات. انطلاقاً من دربان، وبدءاً من الساعات الأولى من صباح الأحد ٢٠٠١/٩/٢، والذي أدى إلى إعلان أمريكا (ومعها إسرائيل) مقاطعة المؤتمر في ٢٠٠١/٩/٣.

أجبت فيما سبق عن سؤال يختص بالسبب الذي يصح من أجله أن يوصف مؤتمر دربان بأنه أخطر مؤتمر ذي صلة بالصراع العربي ـ الصهيوني. وآتي الآن على الوصف الثاني ومؤداه أن المؤتمر أحد أهم مؤتمرات الأمم المتحدة في مجمل تاريخها. لماذا؟

تصاعدت في السنوات الأخيرة وتيرة ممارسة دبلوماسية تقوم بها الأمم المتحدة، هي عقد مؤتمرات عالمية لمعالجة مشاكل ذات أبعاد عالمية. وتستعمل الأمم المتحدة لهذه المؤتمرات وصف «عالمي»، لا «دولي»، للإشارة إلى أن العالم يتجه نحو صيرورته فضاءً سياسياً واحداً. ومنذ ما يقرب من عقد، وربما قبل ذلك**، بدأت الأمم المتحدة تدعو المنظمات غير الحكومية إلى المشاركة بهذه المؤتمرات. وتتم المشاركة بأسلوب عقد مؤتمرات غير حكومية تسبق المؤتمرات الحكومية وتوازيها وتقدم إلى المؤتمرات الحكومية خلاصة أعمالها لتستنير بها الحكومات. بدت هذه المشاركة ظاهرةً جداً في مؤتمر حقوق الإنسان في فيينا عام ١٩٩٣، وتصاعد ازدهارها منذئذٍ حتى بلغ قمته في مؤتمر دربان، حين خطفت المنظمات غير الحكومية أبصار العالم بإدانتها الصهيونية بوصفها عنصرية وإسرائيل بصفتها دولة أبارتايد. وهكذا كان مؤتمر دربان أول مؤتمر تنجح به المنظمات غير الحكومية في تهميش مؤتمر حكومي تعقده الأمم المتحدة، وهو من أجل هذا يدخل التاريخ من بابه العريض ويصح اعتباره أحد أهم مؤتمرات الأمم المتحدة في مجمل تاريخها. هل ستنمو هذه الظاهرة لتحل مؤتمرات المنظمات غير الحكومية محل المؤتمرات الحكومية في الاستئثار الأعلى بوعي العالم؟. من المحتمل أن يتم ذلك، وقد تحقق هذا الاستئثار الأعلى بوعي العالم في مؤتمرات أخرى لم تعقدها الأمم المتحدة، كمؤتمر سياتل (الولايات المتحدة) ومؤتمر جنوة (إيطاليا). لكن من الضروري أن نشير هنا إلى سابقة خطيرة غير صحية عرفها مؤتمر دربان، وأرجو أن يتم تطويقها عن طريق المتابعة الجادة. تمثلت هذه السابقة في رفض السيدة ميري روبنسون ـ المفوضة السامية لشؤون حقوق الإنسان في الأمم المتحدة ـ استلام تقرير المنظمات غير الحكومية الذي يؤكد عنصرية الصهيونية وإسرائيل، وفي وصفها إياه بكلمات جارحة مخجلة. هذه السابقة خطيرة وغير صحية إذ هي محاولة للقضاء على صدقية الضمير العالمي الذي تمثله هذه المنظمات.

ومن أطرف ما يجب ذكره بصدد المنظمات غير الحكومية التي «صنعت» مؤتمر دربان، أن كثيراً منها إنما حضر إلى دربان على نفقة المفوضية السامية بالذات وعلى نفقة الاتحاد الأوروبي ومؤسسة فورد الأمريكية، وهي جهات لا توافق مطلقاً على وصف الصهيونية وإسرائيل بالعنصرية. كأن السحر ـ في هذا الشأن ـ انقلب على الساحر. اتبعت المنظمات غير الحكومية ضميرها فلم تعبأ بمصادر تمويل قوية لها. وذلك أمر ينبغي أن يسطر لها بأحرف مضيئة. أما الواجب الراهن فهو تطويق هذه السابقة الخطيرة غير الصحية عن طريق المتابعة الجادة. ومن المفيد في هذا الإطار أن توجه وزارات الخارجية العربية استيضاحاً إلى السيدة روبنسون ـ يقترب من الاستجواب ـ يسألها أن تجيب كتابة، وبهدوء يسمح به الابتعاد عن ضجيج المؤتمر، عن السر في الموقف الخطير غير الصحي الذي اتخذته من تقرير المنظمات غير الحكومية.

يطول الحديث عن مؤتمر دربان ودروسه. وأحيل القارئ الكريم إلى وعد سابق قدمته لمحاولة وضع كتاب مفصل عن المؤتمر. إلا أنه لابد لي من ذكر ستة أمور قبل أن أختم هذه العجالة:

١ـ لم ينجح مؤتمر دربان الحكومي في بلوغ الحد الأدنى من المطلوب العربي المتفق عليه في مؤتمر وزراء الخارجية العرب الطارئ الذي بحث موضوع المؤتمر في اجتماعه يوم ٢٠٠١/٨/٢٢. في ذلك الاجتماع أثار وزير الخارجية السورية مسألة إحياء القرار / ٣٣٧٩/، واستقر رأي الوزراء على مطالبة المؤتمر بإدانة ممارسات إسرائيل العنصرية. لم يصل العرب إلى حد النجاح في وصف ممارسات إسرائيل بأنها عنصرية. المكان الأهم الذي وصفت به ممارسات إسرائيل بالعنصرية في مؤتمر دربان الحكومي كان بيان منظمة المؤتمر الإسلامي الذي قرئ في الجلسة العامة الختامية. هذا الفشل الحكومي العربي ينبغي أن يكون موضع مراجعة، وقد يود بعضنا أن يجعله موضع مساءلة. ومما يذكر أن الأمين العام للجامعة في رسالة وجهها مؤرخة في ٢٠٠١/٧/١٧ ويظهر نصها في الصفحات الأخيرة من هذا الكتيب، كان ذكر، وقبل مؤتمر وزراء الخارجية بخمسة أسابيع، ما يلي:

«.. إن الجامعة العربية تشارك باهتمام في العملية التحضيرية لمؤتمر مناهضة العنصرية، المقرر عقده في دربان.. للعمل على تضمين إشارات واضحة وصريحة للممارسات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني بوصفها ممارسات عنصرية يجب تعويض عنها (التأكيد مضاف)».

٢ـ كانت مبدئية وصلبة في مواجهة إسرائيل كلمات الوفود العربية والإسلامية،

ولا سيما منها كلمة السيد عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية وكلمة الدكتور عبد الواحد بلقزيز الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وكلمة السيد أحمد ماهر وزير خارجية مصر الذي أشار فيها إلى ما يصف به عدد من حاخامات إسرائيل العرب من أنهم أفاع وقرود. أما كلمة السيد فاروق الشرع وزير الخارجية السورية فقد امتازت ببعدها التاريخي إذ ذكر حلف الفضول من حيث أنه حلف مناهض للعنصرية، كما ذكرت التحالف القديم بين حكومة تل أبيب من جهة وبين حكومة بريتوريا في أيام الأبارتايد، وحكومة جنوب روديسيا التي تحررت من العنصرية ومن إسمها الأوروبي الذي فرض عليها فأصبحت زيمبابوي. كذلك كانت كلمة الشرع الوحيدة بين الكلمات التي أشارت إلى القرار / ٣٣٧٩/ برقمه ومضمونه معاً. وأظهرت الوفود العربية والإسلامية درجة جيدة من التنسيق فيما بينها. ومع تحاشي «التعصب القطري» ينبغي القول بكل موضوعية ان قيادة الوفود العربية والإسلامية انعقدت، لاسيما في الأيام الثلاث الأخيرة لوزير الخارجية السورية الذي تألق خاصة في الجلسة الختامية كبرلماني متمكن ومرتجل، خطيب بارع. في كل حال لا ينبغي للجانب الإيجابي فيما جرى أن يحجب عنا الجانب السلبي. كان من الواجب على الحكومات العربية أن تنسق فيما بينها بأشهر، بل بسنوات، قبل مؤتمر دربان، كما كان عليها أن تنسق مع المنظمات غير الحكومية العربية التي اجتمعت في عمان (شباط/ فبراير/ ٢٠٠١).

٣- في الحصيلة العامة للمؤتمر يمكن القول أن الجانب الأوروبي الذي تولى التفاوض كفريق مع العرب والأفريقيين سجل انتصاراً لا بأس به. لم يتم وصف ممارسات إسرائيل بأنها عنصرية، كما لم يتم الاعتذار الواضح عن جريمة الاسترقاق ومايتبع ذلك من تعويض. إلا أن التصويت الذي جرى في جلسة المؤتمر الختامية سلط ضوءاً آخر على هذا الانتصار. كان ثمة في طرفٍ اصطفاف أوروبي أمريكي (جنوبي وشمالي)، وفي طرفٍ مقابل اصطفاف عربي إسلامي أفريقي آسيوي. كان ثمة إصرار فكري على أن العالم مكون من عنصر بشري واحد، فإذا به مكون - في الحقيقة - من عنصرين، أحدهما ظالم والثاني مظلوم منهك ويشعر مع ذلك انه يمتلك المستقبل.

٤- أظهرت كل الوفود العربية والإسلامية خشيتها من امتداد مفهوم الهولوكوست، وتعميم مشتقاته، لكي يصبح تدخلاً سافراً في حرية العرب والمسلمين الفكرية بل والدينية. وهكذا فحين تصدى وزير الخارجية السورية لوصف الهولوكوست، في الجلسة الختامية، بأنه حدث ارتكبه الأوروبيون ولا علاقة لغيرهم به، وأن على الأوروبيين ألا يحاولوا توزيع ذنوبهم على العالم، قوبل قوله بتصفيق حاد وارتياح شامل.

٥- أظهرت بعض الوفود العربية قلقها من اتجاه دعا إلى اعتبار العرب مشاركين عن المسؤولية في الاتجار بالرقيق، وإلى مطالبتهم بدفع تعويضات. تزايد القلق من هذا الاتجاه لدى إثارة إحدى جريدتي المؤتمر الموضوع على نحو بارز، وهناياتي بنا الحديث إلى الأمر السادس والأخير.

٦- ولكن هذا الأمر السادس هو الأهم أو بين الأهم. كانت ثمة للمؤتمر جريدتان يوميتان تغطيان أعماله. إحداهما أنيقة ملونة زاهية تبدو كنشرة دعائية. أما العنوان الذي أعطته لمن يود الاتصال بها فلم يكن في دربان، بل كان - حصراً - في نيويورك. عليك إذن لتخاطبها أن تتجه إلى رقم في نيويورك. وكانت الثانية أرق حجماً دون أي تلوين. وكان عنوان الاتصال بها مزدوجاً في الهند وفي المؤتمر. أضع هذا الكلام أمام مؤسسات الصحافة العربية ذات البعد الدولي. ولاسيما الحياة والشرق الأوسط وأسأل: لماذا لم يكن لك أيتها المؤسسات الصحافية العربية الضخمة، حضورك في دربان؟ لماذا لم تساهمي في الهدف النبيل الذي اتفق عليه العرب وهو محاولة إقناع المؤتمر الحكومي بذكر ممارسات إسرائيل على أنها عنصرية؟ ما لنا ولهذا الآن، ولأتقدم خطوة باتجاه إعلام المؤتمر. بعد أن ذكر الوزير الشرع في كلمته حلف الفضول وجدتها فرصة حلوة أن أحاول نشر تعريف بذلك الحلف عن طريق إحدى الجريدتين. اتصلت بالجريدة الهندية فوافتني مندوبتها فوراً. حدثتها عن الحلف فأبدت حماسة، ووعدت بنشر الحديث في عدد الغد. وفي عدد الغد لم يصدر شيء، لكنني فوجئت برئيس تحرير الجريدة يتقدم مني لكي يقول إنه يريد أخذ حديث عن الحلف «من أول وجديد». فعلت ولم يصدر شيء. لماذا أذكر هذه الحادثة الصغيرة؟ لأن السيد وزير الأوقاف الإماراتي، بعد أن ذكرت له إجرائي حديثاً عن حلف الفضول مع الجريدة، سألني أن أتدخل لدى مسؤوليها فلا يتابعون خطهم في الدعوة إلى تحميل العرب شيئاً من المسؤولية عن الاتجار بالرقيق. إلا أن الجريدة لم تعاملني كما ينبغي، لكي تكون لي دالة عليها. كان همها - كما يبدو - أن تشغل نفسها بالمؤتمر وأموال أغنيائنا، ولم يكن همها أن تنشغل بحلف فضلائنا. ولا تثريب عليها في ذلك. لكلٍ منا همه. أولوية الإعلام ثابتة إذن وفي مستويات متعددة. ولعل الحضور الإعلامي العربي في المؤتمر لم يكن على المستوى المأمول.

يتيح صدور طبعة ثالثة من الكتيب فرصة لتنقيحه. لم أستفد من هذه الفرصة. لم أعدّل أي حرف في دراسة أتممت كتابتها في ٢٦/٩/١٩٨٧ تحضيراً لندوة لم تعقد. لم أنقح الدراسة لأنها، بعد أن عممتها وزارة الخارجية السورية في ١١/٨/١٩٨٨ وعممها مكتب نائب رئيس الجمهورية رئيس الشؤون الثقافية في ١٩/٩/١٩٨٨، أصبحت أشبه ما تكون بوثيقة ذات صفة مرجعية. وهكذا فحين طبعت الدراسة كتيباً في عام ١٩٩١ اكتفيت بالتقديم لها. كذلك فعلت حين طبعت الثانية أوائل عام ٢٠٠١.

وهكذا أفعل الآن في الطبعة الثالثة. أضافت إلى الكتيب الهيئة الناشرة للطبعة الثانية وهي المنظمة العربية لحقوق الإنسان في الأردن، دراسةً قدمت إلى مؤتمر عمان كتبها الصديق الدكتور عبد الحسين شعبان، وهي دراسة قيمة أحببت أن أحتفظ بها في هذه الطبعة الثالثة. لكني أحببت أيضاً أن أضيف إلى هذه الطبعة بعض ما كتبته عن القرار في أوقات لاحقة.

كذلك كان إهداء الكتيب في طبعته الأولى والثانية إلى قادة العرب والعالم في الفكر والسياسة. وقد رأيت كتابة إهداء جديد منسجم مع تطورات عملية إحياء القرار.

وتبقى، بعد، كلمات لا بد منها. أشكر الوزير فاروق الشرع لأنه رأى ضمي إلى الوفد السوري المشارك في مؤتمر دربان. وأهنئه ودبلوماسيي الوفد على ما بذلوا من جهد مشهود منسق لخير العرب. وأحب أن أتوجه بتحية تقدير خاصة إلى دبلوماسي عربي شاب سمعت مداخلاته بالانجليزية، فأدهشتني دقتها في العلم وبلاغتها في الأداء، هو الدكتور جاسم محمد عبد الغني الخلوفي، من إدارة الشؤون القانونية والدراسات في وزارة خارجية الإمارات العربية المتحدة. وأذكر للدكتور الخلوفي أنني أتشارك في رأيي فيه مع أعضاء من الوفدين السوري واللبناني من الذين استمعوا إليه.

ثم إن من الواجب اليوم، وبعد عشر سنوات، أن أذكر اسم الصديق الذي حثني على نشر الدراسة كتيباً، والذي أشرت إليه في الطبعة الأولى، إنه الدكتور جورج حبش، أحد أبرز الرموز النضالية والفكرية، الفلسطينية والعربية.

وكلمة للمستقبل. أحدث مؤتمر دربان آليات متابعة دولية محذلقة. هل لي أن أتمنى على الأمين العام لجامعة الدول العربية أن ينشئ آليات متابعة عربية موازية للآليات الدولية؟ توحدت كلمة العرب في مؤتمر دربان كما لم تتوحد - ربما - في أي مؤتمر عالمي سابق. شعر كل من شارك في المؤتمر من العرب والمسلمين بذل حضاري حاولت إيقاعه به غطرسة «الشمال» وانحيازاتها اللامنطقية لإسرائيل. هل بإمكان الأمانة العامة - كخطوة أولى - أن تصدر تقريراً مكتوباً عربياً موحداً عن المؤتمر يكون له فعله المستقبلي في بناء آليات متابعة عربية تساهم في تقريب الدبلوماسيات العربية

إلى دبلوماسية واحدة، ولاسيما في المؤتمرات التي تعالج مسائل ليس طابعها الأول سياسياً؟

كلمة ثانية للمستقبل: أتابع الكتابة يوم ٢٠٠١/٩/١٢. أمس كان يوماً مشهوراً في العالم بالهجوم على مواقع أمريكية هامة في نيويورك وواشنطن وسقوط آلاف الضحايا. إذ أتقدم بأحر التعازي إلى أسر الضحايا وإلى الشعب الأمريكي فإنني أرجو أن تكون الكارثة الأليمة مناسبة لتقبل مزيد من الحوار الفكري الدولي الجاد، الذي بتقبله يتضاءل أسباب لجوء البعض إلى عمليات عنف إرهابية الطابع. ولهذا الكلام علاقة بموضوع هذا الكتيب. حين صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتيب سلمتها باليد إلى السفير ريان كروكر، سفير الولايات المتحدة الأمريكية بدمشق آنذاك، خلال حفل استقبال أقامه في منزله. وقلت له: «اقرأ هذا الكتيب عن قرار تحرم عليكم وزارتكم الإشارة إليه بمظنة أنه يعادي اليهود. هذا كتيب عن القرار وأرجو أن تعلمني إذا كانت فيه أية معاداة لليهود» وعد السفير المهذب، الذي يقرأ العربية بيسر ويتكلمها بطلاقة، وعد أن يقرأ الكتيب وأن يقدم لي رأياً فكرياً فيه، حتى بعد مغادرته دمشق. لم يفعل حتى الآن وقد يفعل في وقت لاحق. بعد أن وقعت الكارثة الأليمة يوم ٢٠٠١/٩/١١ اتجه تفكيري إلى السفير ثيودور قطوف سفير الولايات المتحدة الأمريكية الجديد بدمشق الذي عمل فيها قبل سنوات والذي تتطابق «تفعيلة» اسم عائلته مع «تفعيلة» اسم عائلتي دالة على أصله العربي، اتجه تفكيري إليه لأقدم له التعازي، وأيضاً لأسأله أن يقرأ هذا الكتيب هو وزوجته الفاضلة التي تنحدر من عائلة كريمة أصلها من مكان جميل مجاور للمدينة التي أنتسب إليها مدينة صافيتا، وأن يتفضل ويقدم رأياً فيه. أليس أن كل البشر من أصل إنساني واحد؟ أليس أن الفكر البشري يستطيع في حالات كثيرة أن يصل إلى نتائج واحدة بالتحليل الهادئ؟ ونتيجة اتجاه تفكيري إلى السفير قطوف فقد رأيت أن أختم الك... برسالة له، أرحب فيها بمقدمه، وأعزيه بالكارثة الأليمة، وتفصح عن المطلوب! ■■

* هذه المادة مكتوبة أصلاً كمقدمة للطبعة الثالثة لكتاب «القرار ٣٣٧٩ - العنصرية الصهيونية والمجتمع الدولي» للدكتور جورج جبور. الذي اختص الهدف لنشر هذه المادة التي تشكل انطباعاته وتقييمه وقراءته لمؤتمر دربان الذي حضره كعضو في الوفد الرسمي للجمهورية العربية السورية.

** شاركت منظمات غير حكومية لحقوق الإنسان في مناقشة مشروع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر في ١٩٤٨/١٢/١٠.

بعد شارون، محاكمة الشركات الأمريكية المخالفة لحقوق الإنسان

سلمان أبو سته

يستعد فريق من الناشطين العرب في أمريكا للقيام بحملة إعلامية، قد تتبعها دعوى قضائية، ضد شركة إنتل Intel العملاقة التي تصنع شرائح الكومبيوتر، وذلك لمشاركتها إسرائيل في الاستيلاء على أراض فلسطينية وطرد أصحابها من ديارهم وضلوعها في مخالفة الميثاق العالمي لحقوق الإنسان وتأييدها لسياسات إسرائيل العدوانية.

وهذا فصل جديد من اتجاه الرأي العام العالمي لمحاكمة مجرمي الحرب والذين اقترفوا جرائم ضد الإنسانية، مثل شارون الذي تجري محاكمته في بلجيكا، بعد المبادرة الجريئة التي قام بها المحامي شبلي ملاط ورفاقه. ولن يقتصر هذا على مقترفي الجرائم انفسهم، بل يشمل من يساندونهم ويتعاونون معهم والمستفيدون من هذه الجرائم اقتصادياً.

وهذا حال شركة إنتل، فقد انشئت قبل حوالي خمس وعشرين سنة مركزاً لها في حيفا والقدس، لكنها خلال السنوات القليلة الماضية قد أقامت أكبر مصنع لها في قرية عراق المنشية، لتصنيع شرائح بنتيوم ٣،٤.

وهذه كانت غلطة قاتلة قانونياً، وربما تؤثر كثيراً على أعمال الشركة في البلاد العربية. وقد قام الفريق العربي بتحديد موقع المجمع الصناعي على الخرائط الإسرائيلية، فوجد أنه في المنطقة الصناعية في قرية جات على مساحة ٦٠٠٠ دونم. وقد بني حول المجمع سور خرسانة عال ارتفاعه ٧ أمتار فوقه سور عال من القضبان الحديدية الخضراء. ويقع المجمع بين خط السكة الحديدية الممتد بين تل أبيب وبئر السبع والطريق السريع رقم ٦ الذي يخترق إسرائيل من الشمال إلى الجنوب.

وقارن الفريق هذا المكان بالخرائط البريطانية لعام ١٩٤٨ فوجد أن هذا المكان يطابق تماماً موقع بيوت قرية عراق المنشية التي هدمت، وبني مكانها وعلى باقي أراضي القرية، مصانع ومنازل لامتداد مستعمرة قرية جات التي كانت لا يتجاوز عدد سكانها ٥٠ شخصاً عام ١٩٤٨.

أهمية المكان ترجع إلى أن الوضع القانوني لقريتي عراق المنشية والفالوجة وضع خاص يختلف عن باقي قرى فلسطين. فعندما حوصرت فرقة من الجيش المصري بقيادة السيد طه (الضبع الأسود) ومساعده جمال عبد الناصر، رفض السيد طه الاستسلام وبقي محافظاً على موقعه وسلاحه. وعندما وقعت اتفاقية الهدنة بين مصر وإسرائيل في ٢٤ فبراير ١٩٤٩، كان هناك نص صريح يخص القريتين. إذ جاء في الملحق الثالث للاتفاقية نص الرسائل المتبادلة بين الدكتور رالف بانش، الوسيط الدولي بعد اغتيال برنادوت، ووالتر إيتان مدير خارجية إسرائيل، جاء فيه تعهد إسرائيل بأن «يسمح لجميع الأهالي المدنيين الذين يرغبون في البقاء في الفالوجة وعراق المنشية البقاء في ديارهم ويكونون آمنين على أنفسهم ومساكنهم وممتلكاتهم ومتعلقاتهم الشخصية». وقد أودعت هذه الوثيقة في الأمم المتحدة، وأصبحت جزءاً من الاتفاقيات الدولية.

ولم يحدث من قبل أن تعهدت إسرائيل هذا التعهد المسجل دولياً لأي قرية فلسطينية بعد انتهاء الحرب، إلا أنها بعد شهر من هذا التاريخ، أعطت تعهداً شبيهاً بذلك، ولكنه أقل تحديداً، للملك عبد الله عندما وافق على التنازل عن المثلث الصغير، الذي لا تزال فيه قرى أم الفحم والباقة الغربية داخل إسرائيل إلى اليوم.

وبدلاً من الوفاء بالتزاماتها الدولية، عمدت إسرائيل على الفور إلى التنكيل بأهالي عراق المنشية والفالوجة الذين بقوا في ديارهم وفرضت عليهم منع التجول وأطلقت النار على كل من أطل برأسه من الباب ومنعت عنهم الطعام أو الخروج إلى الحقول. وكان هذا جزءاً من حملة مدروسة لإجبار الأهالي على مغادرة ديارهم.

ووصفت المنظمة الخيرية الأمريكية (الكويكرز) التي كانت متواجدة في المنطقة آنذاك، الوضع بقولها إن اليهود شنوا على

القريتين حرباً نفسية مريعة. وجاء في تقرير رالف بانش للأمم المتحدة، بناء على تقارير مراقبي الهدنة، أن «القوات الإسرائيلية ضربت الأهالي وسرقت ممتكاتهم وأطلقت الرصاص عليهم دون تمييز وكانت هناك حالات من محاولات الاغتصاب».

وقد اخذ قرار التنظيف العرقي هذا قائد المنطقة الجنوبية آلون، بموافقة بن جوريون وبتحريض من يوسف فايتز المسؤول عن الأراضي لرغبته في الاستيلاء على هذا المكان الاستراتيجي. وقد نسب المؤرخ الإسرائيلي بني موريس إلى موشى شرتوك وزير الخارجية آنذاك قوله اننا نريد تطبيق «ما عملناه» في الفالوجة حيث طردنا العرب، في أماكن أخرى.

وقال موريس أن عملية الطرد تمت «بجميع الوسائل»، إشارة إلى استعمال القتل والعنف والترهيب لطرد الأهالي.

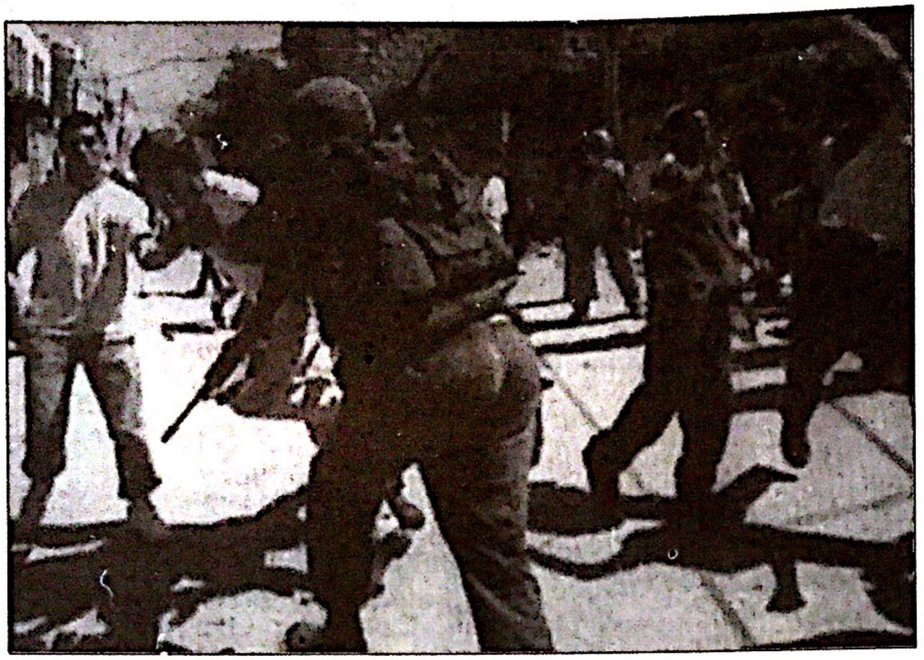
وقد بحث الفريق العربي عن أهالي عراق المنشية الذين يبلغ عددهم الآن ١٤,٣٤٥ حسب وكالة الغوث، فوجد أن منهم ٢٩ في غزة و٥,١٢٦ في الضفة، و٩,١٩٠ في الأردن. ومن هؤلاء حوالي ١٠٠٠ ولدوا قبل عام ١٩٤٨، ويستطيعون الإدلاء بالشهادة.

وقد اتصل الفريق بعدد من هؤلاء في مخيم البقعة بعمان وحصل على تأكيد بعملية التنظيف العرقي التي تعرضوا لها، كما حصل الفريق على صور لنقلهم بعد طردهم في شاحنات جهزتها بعض المنظمات الدولية.

كذلك عثر الفريق على بعض أهالي عراق المنشية في الولايات المتحدة يحملون الجنسية الأمريكية.

لقد كلف المصنع الحالي (F18) الذي أنشأته شركة إنتل على مساكن القرية حوالي بليون دولار بالإضافة إلى مساهمة حكومة إسرائيل برئاسة إسحق رابين بمقدار ٦٠٠ مليون دولار، ويعمل في المصنع ١,٦٠٠ مهندس و٢٠٠٠ عامل فني. وقد صدرت الشركة منتجات من هذا المصنع في إسرائيل العام الماضي بمقدار ٢ بليون دولار. وبلغت المبيعات في الربع الأول من عام ٢٠٠١ ما قيمته ١,٢ بليون دولار أي بزيادة كبيرة عن العام الماضي. ويبلغ عدد العاملين في مصنع حيفا ١٠٠٠ فني. ومجموع العاملين مع الشركة في إسرائيل ٥,٢٠٠ فني.

وتنوي الشركة توسيع استثماراتها في إسرائيل بمقدار ٤ بليون دولار جديد رغم الانخفاض الشديد للاستثمارات الخارجية في إسرائيل بعد الانتفاضة، حسب ما جاء في مجلة بزنس ويك الشهر الماضي.



وقد زار إسرائيل في شهر يونيه الماضي رئيس الشركة كريج باريت، وقابل أريل شارون الذي رحب به واكد له أن مجلس الاستثمار سيوافق على طلبه بزيادة الاستثمار وستساهم إسرائيل بنسبة ١٢,٥٪ من استثمارات الشركة الجديدة على شكل خدمات وبنية تحتية. وقال باريت أن شريحة بنتيوم ٤ الجديدة ستكتسح السوق العالمي وسينخفض سعرها من ٦٠٠ دولار إلى ٣٥٢ دولار، وأن مصنع عراق المنشية سيكون المنتج الأول لهذه الشريحة.

وقام باريت بعد ذلك بزيارة خاطفة للأردن ووعد بالقيام ببعض المشاريع البسيطة، إرضاء للعرب، والاستفادة من خبرات الشباب المتدربين على برامج الكومبيوتر.

حمل الفريق العربي في أمريكا هذا الملف عن شركة إنتل واتصل بها طالباً إيقاف استثماراتها في إسرائيل لأنها مخالفة صريحة للقانون الدولي واتفاقية جنيف الرابعة التي تمنع جرائم التنظيف العرقي والاستيلاء على الأراضي والبناء على أرض لا تملكها الشركة. ولأن الاستثمارات في بلد يمارس التفرقة العنصرية وانتهاك حقوق الإنسان مخالفة لا يجوز أن تقوم بها شركة أمريكية. ولأنه لا يجوز لشركة أمريكية أن تدعم سياسات إسرائيل التي شجبها المجتمع الدولي والتي تؤدي إلى إشاعة الاضطرابات والقلاقل في المنطقة. وطلب الفريق من الشركة أن تمتنع عن الاستثمار في إسرائيل وأن توجه نشاطها الاقتصادي إلى مناطق آمنة حسب القانون الدولي.

وقد أجابت الشركة أنها تعمل في إسرائيل حسب القوانين المرعية هناك، وأنها لا تقصد مخالفة القانون الدولي. ورد الفريق أن هذا تفسير غير مقبول على الإطلاق، وسأل الشركة: هل القيام بأعمال في ألمانيا النازية أو في جنوب أفريقيا العنصرية يعفيها من العقاب؟ وقال الفريق أنه لو لم تطرد إسرائيل أهالي القرية لأصبحوا الآن مواطنين إسرائيليين ولما أمكن للشركة البناء على أراضيهم بهذه السهولة.

وقد انهمرت عشرات الرسائل الألكترونية على الشركة من الناشطين العرب في أمريكا، وبدأت الاستعدادات لاتخاذ إجراءات قانونية في أمريكا لوقف مخالفة الشركة للقانون الدولي، كما تجري اتصالات مع جهات اقتصادية عربية للتأثير على إنتل في الأسواق العربية. وينظم الحملة الدكتور مازن قمصية في جامعة ييل الأمريكية (mazin.qumsiyeh@yale.edu).

هذا مثال آخر على الجهد الشعبي الذي تستطيع القيام به مجموعة ناشطة لملاحقة المخالفين لحقوق الإنسان والمقترفين لجرائم الحرب. وهذا المثال، مثله مثل الجهد الذي قام به المحامي شبلي ملاط لمحاكمة مجرم الحرب شارون، يجب أن يكون حافزاً لكل الجهات الشعبية لكي تقوم بدورها، بعد أن عجزت الدول العربية أن تقوم به. فعصرنا هذا هو عصر حقوق الإنسان وعصر صوت الشعب ■■

الشرعية الدولية.. والعنصرية الصهيونية ما بين الإدانة.. وإعادة الاعتبار

أحمد نبيل الهلالي

مداخلة في أعمال المؤتمر العشرين لاتحاد المحامين العرب المنعقد في بيروت آذار ٢٠٠١ تضامناً مع شعب لبنان والانتفاضة وقد حمل المؤتمر اسم دورة دعم انتفاضة الشعب الفلسطيني

ما هي العنصرية؟

عرفت موسوعة لاروس العنصرية بأنها: (نظام يضفي تفوقاً لجنس من الأجناس، أو سلالة من السلالات البشرية على بقية الأجناس والسلالات).

وبصورة عامة، فإن العنصرية توجد في كل مرة تتشجع فيه فئة من الناس بفكرة تفوقها على غيرها من الأجناس، بسبب النقاوة في سلالتها وعدم اختلاطها بأجناس وسلالات أخرى.

المجتمع الدولي وخطر العنصرية:

استشعر المجتمع الدولي منذ وقت مبكر، مخاطر العنصرية والتمييز العنصري على البشرية. وخاصة بعد كل ما سببته النازية والفاشية من نكبات وآلام لشعوب العالم. وعند إقامة منظمة الأمم المتحدة، في أعقاب اندحار النازية والفاشية، أكد ميثاق الأمم المتحدة مبدأ المساواة وعدم التمييز بين الناس. وطبقاً للمادة ٥٦ من الميثاق، تتعهد جميع الدول الأعضاء بالعمل جماعات وأفراد بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة على إدراك مقاصد الأمم المتحدة ويتمثل إحداها في تعزيز وتشجيع واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً دون تمييز بسبب العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين.

كما نص الميثاق التأسيسي لمنظمة اليونسكو المعتمد في ٤٥/١١/١٦ على أن (الحرب الكبرى المروعة التي انتهت مؤخراً، قد نشبت بسبب التنكر للمبادئ الديمقراطية، مبادئ كرامة البشر وتساويهم والاحترام المتبادل فيما بينهم وبسبب الترويج بدلاً من هذه المبادئ ومن خلال استغلال الجهل.. لمذاهب تفاوت البشر والتمايز العنصري).

وفي ١٩٤٦، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً أعلنت فيه: (أنه من المصلحة العليا للبشرية أن توضع نهاية عاجلة للاضطهاد الديني والمسمى العنصرية). ودعت الجمعية العامة في قرارها، الحكومات والهيئات المسؤولة أن تعمل طبقاً لنص وروح الميثاق وأن تتخذ الخطوات الفورية والفعالة تحقيقاً لذلك. كما أكدت الجمعية العامة على هذه المسألة وإدانتها وشجبها عبر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بمواده المختلفة التي أكدت على رفض التمييز والاضطهاد بأنواعهما لأسباب العرق أو اللون أو المنشأ، مدينة جميع اشكال التمييز العنصري والعزل والكراهية والاضطهاد الديني أو الديمقراطية.

إدانة الصهيونية كشكل من أشكال العنصرية

في العاشر من نوفمبر ١٩٧٥، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة، القرار ٣٣٧٩ بشأن إزالة جميع أنواع التمييز العنصري. وأعلن القرار أن الجميعة العامة: (تقرر بأن الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري).

وتشير ديباجة القرار إلى أن الجمعية العامة قد أدانت الصهيونية باعتبارها شكلاً من أشكال العنصرية بوحي من مجموعة من المواثيق الدولية وقرارات الشرعية الدولية. وهي:

- القرار ١٩٠٤ الصادر في ٦٣/١١/٢٠ بإعلان الأمم المتحدة للقضاء على التمييز العنصري بكافة أشكاله.
- القرار ٣١٥١جـ في ٧٣/١٢/١٤ بإدانة التحالف غير المقدس بين عنصرية جنوب أفريقيا والصهيونية.
- بيان مكسيكو حول (مساواة النساء ومساهمتهن في التطوير والسلام، الصادر عن المؤتمر العالمي لسنة المرأة الدولية المنعقد في مدينة مكسيكو في يونيو ١٩٧٥.
- القرار ١٢/٧٧ الصادر عن مؤتمر رؤساء الدول والحكومات لمنظمة الوحدة الأفريقية في أغسطس ١٩٧٥.
- الإعلان السياسي الهادف لتقوية السلام والأمن العالمين الصادر عن مؤتمر وزراء الخارجية لدول عدم الانحياز في أغسطس ١٩٧٥.

والواقع أن صدور قرار إدانة الصهيونية جاء متأخراً للغاية إذ منذ تأسيس إسرائيل بموجب قرار تقسيم فلسطين الذي أصدرته الجمعية العامة في ٤٧/١١/٢٩ وإعلان قيام دولة إسرائيل في ١٩٤٨/٥/١٥ كشفت إسرائيل عن وجهها العنصري القبيح. حيث تحدّت بثبات كل قرارات الشرعية الدولية بشأن الصراع العربي الإسرائيلي. وأقحمت المنطقة في أربعة حروب عدوانية هددت الأمن والسلام الدوليين، وواصلت ارتكاب جرائم التمييز العنصري ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية في الأراضي العربية المحتلة.

تراجع الجمعية العامة عن قرار الإدانة

أحدث قرار الجمعية بإدانة الصهيونية دوياً هائلاً في الأوساط الدولية.. وأثار ثائرة الصهيونية والإمبريالية العالمية. ذلك أنه يعتبر أول قرار تتخذه الأمم المتحدة للكشف عن حقيقة الصهيونية ودولتها: إسرائيل. والقرار بإدانة الصهيونية يضع دولة إسرائيل المستمدة من الفلسفة الصهيونية موضع الإدانة. ويضفي في المقابل بعداً دولياً لمشروعية النضال الوطني الفلسطيني والعربي ضد العدو الصهيوني. فمنظمة الأمم المتحدة التي أصدرت في ١١/٢٩/٤٧ قراراً بإقامة الدولة اليهودية بموجب قرار تقسيم فلسطين عادت بعد ثمانية وعشرين عاماً لتعلن للعالم أن الصهيونية حركة عنصرية تتنافى مع مبادئ وميثاق الأمم المتحدة وقرار الإدانة إذ يدمغ الصهيونية وهي الأصل. بالعنصرية إنما يدمغ بالتالي إسرائيل وهي الفرع. ولذلك فإن صدور قرار الإدانة أفقد الصهيونية العالمية والبلدان الإمبريالية المشابهة لها صوابها.

وعلق المندوب الإسرائيلي في جلسة الأمم المتحدة فور صدور القرار، صارخاً بأعلى الصوت: (هذا يوم أسود في تاريخ المنظمة الدولية)ـ وأصدر البرلمان الأوروبي في ١٣/ ٧٦/١٧ قراراً أعرب فيه عن: (دهشته البالغة لاعتبار الصهيونية نوعاً من العنصرية).

ونظمت الإمبريالية والصهيونية حملة ضغوط شديدة على منظمة الأمم المتحدة ودول العالم الثالث لإثنائها عن موقفها المبدئي ضد الصهيونية. وقامت مجموعة كبيرة من الشخصيات السياسية والعلمية والفكرية العالمية مجملة جمع توقيعات علي نداء إلى الأمين العام للأمم المتحدة مطالبة بالعمل على إلغاء القرار. وفي نوفمبر ١٩٨٥، نظمت البعثة الإسرائيلية في الأمم المتحدة اجتماعاً للتنديد بقرار عشر سنوات على صدور قرار الإدانة. وبعث الرئيس الأمريكي السابق ريغان برسالة إلى الاجتماع ندد فيها بقرار الجمعية العامة قائلاً: (إن أحداثاً قليلة حتى الآن قد أساءت إلى الشعب الأمريكي مثلما أساء قرار الصهيونية والعنصرية.. وأنا فخور بإعلان دعم من أجل إزالة وصمة العار هذه من سجل الأمم المتحدة.

واحتاجت حملة الضغوط هذه لأكثر من ستة عشر عاماً حتى تؤتى ثمارها. وفي ديسمبر ١٩٩١ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها ٨٦/٤٦ بعنوان (القضاء على العنصرية والتمييز العنصري). ولم يتضمن هذا القرار سوى جملة وحيدة نصها:

(الجمعية العامة: تقرر إلغاء الحكم الوارد في قرارها ٣٣٧٩ (د/٣٠) المؤرخ ١٠/١١/ ١٩٧٥).

وصدر القرار عارياً من أية أسباب تبرر إصداره ويعد هذا خروجاً شاذاً على أبسط قواعد القانون الدولي والعدالة الإنسانية.

وهذا القرار أصاب مصداقية منظمة الأمم المتحدة وكشف مدى خضوعها لأهواء الإمبريالية وفضح مكايلها المزدوجة وشكل القرار سابقة خطيرة في حياة المنظمة الدولية. وجسد نموذجاً حياً للضغوط التي تمارسها الإمبريالية العالمية على الدول الصغرى بهدف انتزاع قرارات من المنظمة الدولية تخدم المصالح الإمبريالية بالتعارض مع مبادئ وأهداف الأمم المتحدة. ومع ذلك فإنه صدور قرار الإدانة.. وحتى صدور قرار إلغاء هذه الإدانة.. لم يطرأ على الأيديولوجية الصهيونية أي تعديل.. ولم تقلع إسرائيل عن ممارساتها العنصرية.

وعلى العكس لقد صدر قرار إلغاء الإدانة لإسرائيل في ذروة ممارستها للتمييز العنصري وجاء القرار بمثابة مكافاة سخية لإسرائيل على خرقها الفج والمتواصل لميثاق الأمم المتحدة ولقرارات الشرعية الدولية.

إلغاء قرار الإدانة لا يرد اعتبار الصهيونية

قرار الجمعية العامة بإلغاء إدانة الصهيونية كمساوية للعنصرية ليس من شأنه رد اعتبار الصهيونية وتبرئة ساحتها من وصمة العنصرية. فإدانة الصهيونية كعنصرية لم يكن في حاجة إلى قرار يدينها بالاسم. إذ أن المواثيق الدولية لمناهضة العنصرية والتمييز العنصري تنص على إدانة كافة النظريات والأفكار والأفعال العنصرية، وذلك وفق معايير محددة لتحديد النظريات والممارسات العنصرية. وهذه المعايير تنطبق على الصهيونية كإيديولوجية. كما تنطبق على ممارسات إسرائيل كدولة.

ومنذ صدور قرار الجمعية العامة باعتبار الصهيونية شكل من أشكال العنصرية لم يطرأ أدنى تعديل على هذه الأيديولوجية أو على ممارسات إسرائيل. لذلك فإن تقييم المجتمع الدولي للصهيونية باعتبارها شكل من أشكال العنصرية يظل محتفظاً بقيمته التاريخية والمعنوية.

ومن الجدير بالتسجيل أن قرار الجمعية العامة الصادر في ديسمبر ١٩٩١ بإلغاء ٣٣٧٩ (د/٣٠) اكتفى بالنص على إلغاء هذا القرار دون أن ينص على تقييم جديد للصهيونية يبرئها من وصمة العنصرية.

ومن جهة أخرى فإن الإلغاء انصب فقط على القرار ٣٣٧٩ (د/٣٠) ولا يمتد أثره إلى سائر الوثائق الدولية التي تدين الصهيونية كشكل من أشكال العنصرية أو تدين ممارسات إسرائيل العنصرية. ومن بين هذه الوثائق على سبيل المثال لا الحصر: إعلان المكسيك بشان مساواة المرأة وإسهامها في الاتحاد والسلم الصادر في عام ١٩٧٥. وقد نص هذا الإعلان على أن (السلم والتعاون الدوليين يتطلبان إزالة الاستعمار الجديد، والاحتلال الأجنبي، والصهيونية والفصل العنصري، والاعتراف بكرامة الشعوب وحقها في تقرير المصير).

الصهيونية ايديولوجية عنصرية

أعلن البيان الختامي لمؤتمر بازل أن: (هدف العنصرية هو أن تخلق للشعب اليهودي وطناً في فلسطين يضمنه القانون العام) وقيام الصهيونية باختلاق (شعب يهودي) و(قومية يهودية) قائمة على أساس ديني بحت دليل صارخ على عنصرية الصهيونية. فالصهيونية تعتبر هذا الشعب اليهودي هو (شعب الله المختار) وبالتالي فهي تجعل من معتنقي الديانة اليهودية شعباً واحداً وعرقاً متميزاً. ويقول الصهيوني البارز موسى هس في كتابه (روما والقدس) الصادر في عام ١٨٦٢: (العرق اليهودي من العروق الرئيسية في الجنس البشري. ولقد حافظت السمة اليهودية على نقاوتها عبر العصور). ومقولة (شعب الله المختار) هي ترديد لمقولة الدولة النازية حول الجنس الآري المتفوق على سائر الأجناس. وهذا التنادي بالتفوق والاصطفاء العرقي هو ضرب من ضروب التمييز العنصري طبقاً لنص المادة التاسعة من إعلان الأمم المتحدة للقضاء على التمييز الصادر بقرار ١٩٠٤ في ٢٠/١١/ ٦٣.

ومن جهة أخرى فإن أهداف الصهيونية أيضاً (إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين). وسبيل الحركة الصهيونية العالمية لتحقيق هذا الهدف إبادة وتهجير الشعب الفلسطيني لإحلال يهود العالم المهجرين إلى إسرائيل محله. وهذه دعوة عنصرية تتسم بأبشع سمات العنصرية والتمييز العنصري فكراً وتنفيذاً، لأنها قائمة على الإبادة والتطهير العرقي لسكان فلسطين الأصليين وطردهم عن طريق الإرهاب وبث الرعب في نفوسهم ودفعهم دفعاً إلى مغادرة البلاد. وهذا يكشف الكيان الصهيوني كمشروع استعماري عنصري احتلالي. ولم يخفي قادة الصهيونية العالمية صبغة الصهيونية هذه بل كتب الزعيم الصهيوني جابو تنسكي في عام ١٨٣٣م يقول: (الصهيونية هي استيطان ولذا فهي تحيا وتموت مع القوة المسلحة). والمشروع الصهيوني مشروع إحلالي لأنه يحل اليهود المهاجرين إلى فلسطين من شتى بقاع الأرض محل الشعب الفلسطيني.

كما أن المشروع الصهيوني مشروع إجلائي لأنه يهدف إلى إجلاء وطرد أهل الأرض الأصليين. ويكشف الدكتور أنس قاسم أن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني يفوق في بشاعته الاستعمار الاستيطاني في جنوب أفريقيا فيقول: الاستعمار الاستيطاني في جنوب أفريقيا وروسيا لا يماثل هذا الاستعمار فهناك بقى الشعب في وطنه وإن أخضع لحكم أجنبي. أما الاستعمار الصهيوني، فقد قضى على وجود الشعب وكيانه واستولى على أرضه ووطنه هادراً بذلك جميع حقوقه العامة والخاصة. وهذا أسوأ أنواع الاستعمار العنصري.

وتعتبر سياسة (الترانسفير) أي الإبعاد القسري والمصادرة للأراضي التي انتهجتها إسرائيل مع أبناء الشعب الفلسطيني مظهر صارخ لعنصرية إسرائيل. ويستهدف العدو الصهيوني من سلاح الإبعاد تفريغ الأرض الفلسطينية من سكانها الأصليين وإحداث تغيرات ديموغرافية على أرض فلسطين توصلاً للتدليل على صحة مزاعم الصهيونية التي تدعى أن فلسطين (أرض بلا شعب). ولقد عبر المنظر الصهيوني رينيوف بغير حياء عن الهدف من سياسة الإبعاد قائلاً: (فلسطين يجب أن تكون للهيود وان انتهاج أساليب مناسبة موجهة نحو دولة يهودية ذات شعب نقي الأصل والعرق ينبغي أن يكون دائماً أمراً ضرورياً مهماً)، وأن العرب يعرفون منذ الآن مقاصدنا هذه كل المعرفة. وما نريد أن نفعله بهم. وما نرغب أن نحصل عليه منهم. وعلينا

ان نخلق على الدوام ظروفاً تقوم على أساس الأمر الواقع. كما علينا أن نوضح للعرب أن من واجبهم أن يرحلوا عن أراضينا وليسحبوا إلى الصحراء).

(رينيوف: طرق صهيونية ص٦٣ طبعة ١٩٦٩).

إسرائيل تمارس سياسات الفصل العنصري

إسرائيل منذ إعلان قيامها كدولة في منتصف ليل الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ لم تنقطع يوماً عن ممارسة سياسات الفصل العنصري، وشواهدنا على ذلك الآتي:

أولاً - ترسانة التشريعات العنصرية:

أصدرت إسرائيل منذ ١٥ مايو ١٩٤٨ ترسانة ضخمة من التشريعات العنصرية بهدف إطلاق يد الدولة الصهيونية في ممارسة التمييز العنصري. وهذه التشريعات جزء لا يتجزأ من الأيديولوجية، ونكتفي في هذا البحث بالتطرق إلى بعض هذه التشريعات على سبيل المثال لا الحصر.

(١) قانون العودة

صدر هذا القانون في ٥٠/٧/٥ وهو يعتبر من المصالح المميزة لطبيعة إسرائيل كدولة عنصرية.

فالمادة الأولى من القانون تنص على أنه (يحق لكل يهودي العودة إلى إسرائيل بصفة مهاجر عائد والاستيطان فيها في أي وقت) وهذه المادة توجه دعوة عامة لجميع يهود العالم للهجرة الجماعية والفردية إلى إسرائيل لتحقيق غزو استعماري استيطاني لفلسطين. وفي الوقت الذي ترفض فيه إسرائيل بعناد وإصرار عودة اللاجئين الفلسطينيين من مسلمين ومسيحيين الذين أكرهوا على ترك ديارهم عقب حرب ١٩٤٨ تحت وطأة الإرهاب. وذلك لمجرد انهم ليسوا يهوداً، وبمعنى قانون العودة في عنصريته يحرم من حق العودة اليهود المعارضين للعنصرية اليهودية. إذ تخول المادة الثانية من القانون وزير الهجرة الإسرائيلي سلطة حجب حق العودة عن (اليهودي الذي اشترك في عمل ضد الشعب اليهودي). ولقد كشف وايزمان أول رئيس دولة لإسرائيل مغزى هذا النص التشريعي حيث قال: (اليهود الصالحين هم وحدهم الذين يتمتعون بحق العودة إذ أن هؤلاء اليهود هم مواطنو الشعب اليهودي أما اليهود المتمثلون فلا يمكنهم الاستفادة من قانون العودة). وقانون العودة بذلك ينتهك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يؤكد على حرية الإنسان في الإيمان، والاتصال للبلد الذي يريده والعودة إليه.

(٢) قانون الجنسية:

صدر هذا القانون في ٥٢/٤/١ وهو يؤسس حق التجنس بالجنسية الإسرائيلية على أساس المعتقد الديني البحت. ففي حين يمنح القانون الجنسية الإسرائيلية لكل معتنق للدين اليهودي يصل إلى أرض فلسطين. يحرم غير اليهودي من هذا الحق. الأمر الذي يشكل تمييزاً عنصرياً يخالف الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ويفرض القانون قيوداً صارمة على حق الفلسطيني في الحصول على الجنسية الإسرائيلية لغلق أبواب إسرائيل في وجه عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم. ولقد اعترف حاييم كوهين عضو المحكمة العليا في إسرائيل في تحليله لقانون الجنسية بأن: سخرية القدر شاءت أن تكون المعايير البيولوجية والعنصرية التي روج لها النازيون والتي استوجبت منها قوانين نورمبرج هي نفسها الأساس لتحديد المواطنة رسمياً داخل إسرائيل.

(٣) قوانين الأراضي

أصدرت إسرائيل عدة تشريعات تتعلق بالأراضي والأملاك وهي تستهدف جميعاً إضفاء الشرعية على اغتصاب الدولة الإسرائيلية للأراضي والممتلكات العربية لأغراض الأمن والإنشاء والتعمير أو غيرها من الذرائع. وهذه التشريعات تكرس صراحة التمييز العنصري ضد المواطنين العرب ومن أبرز هذه القوانين:

- قانون الغائبين الصادر في ١٩٥٠ والذي يجيز مصادرة الأراضي اللازمة للمشروعات العسكرية ولإنشاء المستعمرات. وتطبيقاً لهذا القانون هدمت عشرات القرى ومئات المنازل بحجة التنظيم وشق الطرق الجديدة.

(٤) قوانين الحكم العسكري

ومن بينها قوانين الدفاع وحالة الطوارئ ومناطق الأمن وهي تزود إسرائيل بسند تشريعي لممارسة سياساتها العنصرية. بمصادرة وتقييد حق السكان العرب في التملك وبفرض قيود قاسية على تشغيل الفلسطينيين. وبتحديد إقامة الإنسان في أي مكان لقيد حقه في التنقل وفرض حظر التجول واعتقال الأشخاص اعتقالاً إدارياً لفترات غير محدودة ودون محاكمة وطرد أي إنسان خارج البلاد ومنعه من العودة إلى وطنه. وطبقاً لقانون حالة الطوارئ لعام ١٩٤٩ أصبح لوزير الدفاع صلاحية اعتبار أي مساحة أرض - منطقة أمن مغلقة - يحظر الدخول إليها أو الخروج منها إلا بتصريح من الحاكم العسكري ووفقاً لقانون الطوارئ لإعمار الأرض البور من حق وزير الزراعة الحق في الاستيلاء على أراضي العرب التي لم يزرعها أصحابها وتوزيعها على المزارعين اليهود.

واستناداً إلى الصلاحيات التي تمنحها هذه القوانين للحاكم العسكري الإسرائيلي، يفرض العدو الصهيوني إجراءات للحصار اللاإنساني المتكرر على أراضي السلطة الفلسطينية الأمر الذي يتسبب في التدهور السريع في الحقوق الاقتصادية والاجتماعية الثقافية للشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة.

(٥) قوانين الضم والإلحاق

في سبيل تنفيذ مخططها الاستعماري التوسعي أصدرت إسرائيل قوانين لإلحاق وضم أراضي عربية إلى الأرض الإسرائيلية.

ومن أبرز هذه القوانين القانون الذي اصدرته إسرائيل بعد أيام من عدوان الخامس من يونيو ٦٧ بضم القدس العربية إلى إسرائيل والقانون الصادر من الكنيست في ٨٠/٧/٣٠ باعتبار القدس الموحدة عاصمة لدولة إسرائيل. وخالفت إسرائيل بذلك أحكام اتفاقية جنيف لعام ٤٩ التي تنص على عدم جواز قيام سلطة الاحتلال بضم الأراضي المحتلة وإحداث أي تغييرات في وضعها. ولقد توالت قرارات الشرعية الدولية بإدانة مسلك إسرائيل إزاء القدس. فأصدرت الجمعية العامة في ٦٧/٧/٤ القرار ٢٢٥٣ الذي عبرت فيه عن (قلقها البالغ بشأن الظروف السائدة في القدس والناشئة عن الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل من أجل تغيير وضع المدينة، وتدعو إسرائيل إلى إلغاء كل الإجراءات التي اتخذت، والامتناع في المستقبل عن أي تصرف يستهدف تغيير وضع المدينة. وأصدرت الجمعية العامة في ٦٧/٧/١٤ القرار ٢٢٥٤ الذي أعربت فيه عن أسفها لعدم تنفيذ إسرائيل القرار السابق. وأدانت الجمعية إسرائيل بسبب تعنتها. وأصدر مجلس الأمن في ٦٨/٥/٢٠ القرار ٢٥٢ ثم أصدر مجلس الأمن في ٦٩/٩/٣ القرار ٢٦٧ وأعاد القراران التأكيد على مبدأ عدم السماح بالحصول على أية اراضي بالغزو المسلح وأدان القراران إسرائيل لعدم احترام قرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن.

ثانياً - الإبادة الجماعية للفلسطينيين:

تنص المادة الثانية من الاتفاقية الدولية بشأن قمع جريمة الفصل العنصري على أن من ممارسات التمييز العنصري: حرمان عضو أو أعضاء في فئة عنصرية من الحق في الحياة:

١- بقتل أعضاء في فئة عنصرية.

٢- بإلحاق أذى خطير، بدني أو عقلي، بأعضاء في فئة عنصرية.

وتمارس إسرائيل على نطاق واسع أعمال الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني. ولقد أشارت منظمة العفو الدولية إلى أنه (في غضون الفترة من ٨٧/١٢/٩ حتى ٩٣/٩/١٣ قتل نحو ١٠٧٠ مدنياً فلسطينياً على أيدي قوات الأمن الإسرائيلي في الأراضي المحتلة حيث أعدم بعضهم خارج نطاق القضاء وقتل البعض على أيدي فرق القتل الإسرائيلية بينما قتل البعض بدون وجه حق خلال مظاهرات أو أعمال الشغب أو عند نقاط (التفتيش).

ولقد ارتكبت إسرائيل منذ قيامها مسلسل لا ينتهي من المذابح الدموية ضد السكان العرب اللاجئين بهدف إرهاب الفلسطينيين وإكراههم على مغادرة فلسطين تحقيقاً لهدف الصهيونية في تحقيق (دولة يهودية خالصة).

ومن أبرز هذه المجازر:

- مجزرة قرية سعسع في ٣٨/٢/١٤
- مجزرة دير ياسين في ٤٨/٤/٩
- مذبحة صبرا وشاتيلا في سبتمبر ١٩٨٢
- مذبحة المسجد الأقصى في ١٠/١٨/ ١٩٩٠
- مذبحة الحرم الإبراهيمي في ٩٤/٤/٢٥
- مذبحة قانا في ١٩٩٦/٤/١٨

وقد مارست إسرائيل أبشع الوان القمع ضد الانتفاضة الفلسطينية إلى حد تكسير عظام أطفال الحجارة واغتيال الأبرياء. وقد ادانت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في ٨٨/٢/٩ إسرائيل بسبب انتهاكها لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة وسجل القرار باستنكار أن (انتهاكات إسرائيل الخطيرة والمستمرة لاتفاقية جنيف المتعلقة بحماية الأشخاص المدنيين وقت الحرب المؤرخة ٤٩/٨/١٢ والبروتوكولين الإضافيين لاتفاقات جنيف ١٩٤٩ هي جرائم حرب وإهانة للبشرية). كما أعلنت اللجنة في قرارها أنها تدين بشدة السياسة التي تتبعها إسرائيل في فلسطين المحتلة والمتمثلة في التحطيم الجسدي وتكسير عظام الأطفال والنساء والرجال وإجهاض النساء نتيجة للضرب المبرح.

ثالثاً: إنشاء المستوطنات اليهودية:

تخالف إسرائيل اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب بهدم منازل الفلسطينيين وإقامة المستوطنات اليهودية. ذلك أن المادة ٥٣ من اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب يحظر على الدولة المحتلة تدمير الممتلكات المنقولة وغير المنقولة لسكان الأراضي المحتلة.

رابعاً: إبعاد أبناء الشعب الفلسطيني وإنكار حقهم في العودة:

تواصل إسرائيل إجراءات إبعاد أبناء الشعب الفلسطيني عن فلسطين بالمخالفة لميثاق محكمة نورمبرج لمحاكمة مجرمي الحرب الذي نص في المادة ٦/ب على أن الترحيل الإجباري والإبعاد من جرائم الحرب. كما اعتبرت المادة ٦/جـ الترحيل والإبعاد الإجباري للسكان من الجرائم ضد الإنسانية. ولقد أصدرت منظمة الأمم المتحدة عشرات القرارات التي تعتبر الإجراءات الإسرائيلية المتعلقة بإبعاد وتشريد السكان المدنيين ورفض عودتهم بأنها انتهاكات خطيرة لميثاق الأمم المتحدة وقواعد القانون الدولي التي تحدد صلاحيات سلطة الاحتلال. ومن ابرز هذه القرارات: قرار الجمعية العامة ٣/١٩٤ في ١١/ ٤٨/١٢ الذي نص على أن (اللاجئين الراغبين في العودة إلى منازلهم والعيش في سلام مع جيرانهم يجب أن يسمح لهم بذلك في أقرب وقت عملي ممكن والسلطات والحكومات المسؤولة يجب أن تدفع تعويضات على الممتلكات لأولئك الذين يريدون عدم العودة). وقد أصدرت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في ٨٨/٢/٩ قرار (تدين فيه مجدداً إجلاء وترحيل وطرد وتشريد وقتل السكان الفلسطينيين وإنكار حقهم في العودة إلى وطنهم).

خامساً - الحصار غير الإنساني ضد الشعب الفلسطيني

الحصار الإسرائيلي الذي تفرضه بشكل متكرر على أبناء الشعب الفلسطيني هو صورة من صور العقوبات الجماعية على سكان الأرض المحتلة التي تحظرها المواثيق الدولية. والمادة ٣٣ من اتفاقية جنيف الرابعة تنص على أنه (لايجوز معاقبة الشخص عن ذنب لم يقترفه شخصياً ولا يجوز توقيع العقوبات الجماعية ولا يجوز ارتكاب أعمال الانتقام ضد الأشخاص). وتنص المادة ٥٣ من الاتفاقية على أن (يحرم على سلطات الاحتلال تدمير أو تخريب أية متعلقات ثابتة أو منقولة خاصة بالأفراد أو الجماعات أو المنظمات الاجتماعية في الأراضي المحتلة). ومن ابرز مظاهر العقاب الجماعي الذي شهدتها الأراضي المحتلة الحصار الذي فرضه الاحتلال في ٨٩/٩/١٩ على بلدة بيت ساحور بعد أن رفض سكانها الإخضاع للأوامر الإسرائيلية بتقليل الضرائب منهم إذ قام جنود الاحتلال خلال الحصار باقتحام المنازل والمحال التجارية والمصانع ومصادرة كل ما بها من ممتلكات من أثاث وأجهزة كهربائية ومواد غذائية.

وقد أصدرت الجمعية العامة قراراً في ٧/ ٨٩/١٠ اعربت في ديباجته عن مشاعر الصدمة الشديدة لأعمال النهب التي شهدتها بلدة بيت ساحور.

سادساً - تحالف إسرائيل مع الأنظمة العنصرية:

من أبرز الأدلة على عنصرية الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل موقفها الثابت المؤيد لظاهرة الاستعمار الاستيطاني. والثابت تاريخياً أن الحركة الصهيونية شجعت دوماً كافة التيارات المعادية للسامية بما فيها النازية. وعلاقات الحركة الصهيونية العالمية بألمانيا النازية ثابتة تاريخياً. ولقد صوتت إسرائيل دائماً في الأمم المتحدة ضد القرارات المناهضة للفصل العنصري في جنوب أفريقيا وأيدت على الدوام جنوب أفريقيا وقاومت توقيع جزاءات شاملة على نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. وواقع الحال أن تعاون إسرائيل مع جنوب أفريقيا مرجعه الطبيعي المتروك للبلدان واتخاذهما من العنصرية الدينية والعرقية الطائفية أساساً لهما. فالنظامان يستندان إلى ذات الأساس الفلسفي المعبر عن التفوق العرقي. ولقد ادانت مواثيق وقرارات الشرعية الدولية هذا التحالف المشبوه وأصدرت الجمعية العمومية القرار رقم ٢٦٤٩ في ٧٠/١١/٣٠. (تدين تلك الحكومات التي تنكر حق تقرير المصير للشعوب التي تعد له وخصوصاً شعبي جنوب أفريقيا وإسرائيل).

إن إسرائيل لا يجوز لها الإدعاء بأن شرعية وجودها مستمد من وعد بلفور لأن بريطانيا باعتبارها الدولة المنتدبة في فلسطين لم يكن من حقها التصرف في فلسطين كأنها من ممتلكات التاج البريطاني.

وإسرائيل لا تملك الزعم بأن شرعيتها مستمدة من قرار الجمعية العامة رقم ١٨١ الصادر في ٤٧/١١/٢٩ بتقسيم فلسطين لأن هذا القرار مشوب بالبطلان وعدم الشرعية حيث أن ميثاق الأمم المتحدة لا يخول الجمعية العامة سلطة إصدار قرارات ملزمة، كما أن قرار التقسيم مخالف لميثاق الأمم المتحدة لأنه ينكر حق العرب، بتقرير مصيرهم وينتزع قطعة ضخمة من فلسطين ليقدمها للصهيونية العالمية على طبق من فضة. وإسرائيل هي أول من رفضت الاعتراف بقرار التقسيم ولم تحترم يوماً الدولة اليهودية الواردة في قرار التقسيم.

وإسرائيل لا تملك الدليل على شرعية وجودها بقرار الجميعة العامة لقبولها عضواً في منظمة الأمم المتحدة لأن هذه العضوية معلقة على شرط فاسخ، فقد نصت ديباجة قرار قبول عضوية إسرائيل على أنه (بالإشارة إلى قرار دولة إسرائيل بأنها تقبل دون تحفظ التزامات ميثاق الأمم المتحدة وتتعهد باحترامها هذا اليوم الذي تصبح فيه عضواً في الأمم المتحدة).

ثم تعديل الديباجة إلى قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالحدود، وبعودة اللاجئين وتعويضاتهم. غير أن إسرائيل تتنكر بشكل ثابت لالتزاماتها وتعهداتها الدولية التي كانت أساساً وشرطاً لقبول عضويتها في المنظمة الدولية. وداست الدبابات الإسرائيلية على الحدود التي حددها قرار التقسيم للدولة اليهودية. واغتصبت إسرائيل معظم فلسطين المخصصة في قرار التقسيم للدولة الفلسطينية، كما اغتصبت الجولان والقدس. وظلت منذ إعلان قيامها تتحدى القرارات وتوجهات الشرعية الدولية بشأن وضع القدس وبعودة اللاجئين أو بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، ورفضت إسرائيل التوقيع على اتفاقية حظر نشاط السلاح النووي وانتهاكها للقانون الدولي من شأنه تحقيق الشرط الفاسخ الذي علقت عليه عضوية إسرائيل في الأمم المتحدة ■■

الديمقراطية: المدخل الوحيد للانتصار في مواجهة المشروع الصهيوني ـ الإمبريالي!

أحمد بهاء الدين شعبان

«قلب منطقتنا هامد وهو في حاجة لصدمة كهربائية لينبض من جديد»

أمين معلوف

وأظن أن «الصدمة الكهربائية»، هذه المرة، التي كانت ضرورية، حتى يعود القلب العربي ـ مجدداً ـ للنبض، ويستأنف معها دفعه للدماء في عروق أمة كادت تلفظ أنفاسها، تحت وطأة القهر والاستبداد، تمثلت في انتفاضة الشعب الفلسطيني الباسل التي تفجرت في مواجهة البطش الصهيوني، منذ عام تقريباً.

فحال المعايشة الشعبية غير المسبوقة، وعلى امتداد الوطن العربي كله، لوقائع الانتفاضة واندفاع الكتل الجماهيرية. ومن كل المستويات والمراكز والأعمار، في أنشطة مساندة الانتفاضة ودعمها المعنوي والمادي، وفي انفصال ـ كاد أن يكون كلياً ـ عن الأنظمة الحاكمة والهيئات الرسمية، أثبت، بشكل قاطع، مركزية القضية الفلسطينية في الوعي الجماهيري العربي، وكان ملفتاً التأثير الذي أحدثته الانتفاضة في الأجيال الجديدة، التي حاولت الأنظمة إجراء عملية «غسيل مخ» منظم لها باسم «ثقافة السلام» و«القبول بالآخر»!.. إلخ، فانخراط طلاب المدارس (حتى الابتدائية) والجامعات، وانتقالهم إلى دائرة الفعل، لترجمة مشاعرهم تجاه القضية، كما أن المراهنة على إمكانية بيع وهم «التسوية» الانهزامية لشعوبنا، بأجيالها جميعاً، ووصول ما يحدث في فلسطين المحتلة إلى لحظة التماس مع الوعي الشعبي البسيط، للإنسان (العادي) في بلادنا، كان ظاهرة جديدة، غير مسبوقة، تخرج بعملية الاهتمام بالقضية، من مجال «النخبة» التقليدية، إلى مدى أوسع، ويمنحها زخماً جديداً يفتح آفاقاً أرحب للصراع.

النقطة الجوهرية الواجب وضعها في بؤرة التحليل، في ظني الآن، وكما كانت في الماضي، وستظل في المستقبل أيضاً، هي قضية الديمقراطية، فالواقع أن ما يحول دون انتصار جماهيرنا في المواجهة الممتدة مع العدو الصهيوني ـ الأمريكي، الإمبريالي، ليس نقصاً في قدرة هذه الجماهير على العطاء، أو عجزها في خوض معارك المجابهة ودفع تكاليف الصراع، وإنما افتقادها لأبسط أطر البيئة الديمقراطية الحاضنة، فعبر عقود طويلة تم ترسيخ ثقافة القهر وآليات الاستعباد والاستبعاد، وتحولت العلاقة بين الطبقات الحاكمة والمحكومة إلى علاقات عدائية ثابتة، ودفعت النخب المثقفة، بتنظيماتها ومؤسساتها، وأشخاصها ورموزها، أكلافاً باهظة، في محاولة تمايزها عن الدولة وأدواتها الباطشة، حتى تحول الوضع، إلى أن يصبح على النحو الذي وصفه «خليل رامز سركيس»: «أمة ضارية، تفترس معنى الإنسان، كأن كل ما فيها أنياب!!»، وفي هذا الوضع تسللت عناصر الخراب إلى هياكل الوطن، وسهل على العدو اختراق حصونه الهشّة، وتلقينا الهزيمة تلو الهزيمة، دون أن يطال زلزالها، الذي هزّ أعماق مواطنينا، مقاعد الحاكمين، ومع كر الأيام ترسخ في وعي المحكومين بالقهر، في بلادنا، أن لا أمل في التغيير، وكرست ممارسات السلطات هذا الشعور حتى بات النظام السياسي العربي، في أغلب مجتمعاتنا، شائخاً وفي أبأس حالاته، وانعزلت قطاعات وفئات وأجيال كاملة، من خيرة أبناء هذه الأمة.. إحباطاً ويأساً، وعلى الرغم من كل التحذيرات، ومن أجراس الانذار التي ما فتئت تدق، دون انقطاع، منبئةً بعواقب استمرار الوضع على ما هو عليه.. لم تحرك الطبقات الحاكمة ساكناً لتدارك الأمر، بل على العكس، استمرت عمليات تجاهل الواقع، والركون إلى المعهود من أساليب التعاطي مع الكوارث المتوالية: «دفن الرؤوس في الرمال» باعتبارها سياسة مجربة، ثبتت جدارتها المرة تلو المرة!!

على هذه الخلفية الحزينة انفجرت وقائع الانتفاضة المجيدة، ولكن سرعان ما استشعرت النظم العربية في أغلب بلداننا، خطورة تداعيات الانتفاضة على استقرار أوضاعها، وكان هدفها الرئيس هو لجم حركة الشارع ومنعها من تجاوز الأطر المرسومة. وهكذا رأينا ـ على سبيل المثال ـ توجيهات رسمية لأجهزة الإعلام، وبالذات المرئية، بعدم التركيز على وقائع الانتفاضة وأشكال الانتهاك الإجرامي الإسرائيلي لحقوق الشعب الفلسطيني، حتى لا يستثير الأمر غضب الجماهير بأكثر مما هو قائم، وأحاطت جحافل الأمن بكل تحرك مستقل يحاول التعبير عن رأي الشعب فيما يجري من مذابح صهيونية مدعومة بصمت العالم وتواطؤه، وفي واقعتين متتاليتين، بالقاهرة، يوم ذكرى اغتصاب فلسطين (١٥ مايو/ أيار٢٠٠١ ويوم ١٠ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١) أحاط سوار غليظ من قوات «مكافحة الإرهاب!!» بمجموعات المثقفين والسياسيين الوطنيين الذين اجتمعوا في قلب العاصمة لابراز احتجاجهم على ما يحدث في فلسطين المحتلة، ومنعوهم منعاً كاملاً من التحرك ـ خطوة واحدة ـ تجاه أهدافهم المعلنة!

وبناء على ما تقدم ترسخ الاعتقاد لدي أن أفضل أشكال الدعم التي يمكن للمثقف العربي أن يقدمها إلى انتفاضة شعبنا الفلسطيني الباسلة، هو أن يَجِدّ في طلب الديمقراطية الحقيقية، في بلادنا، باعتبارها المدخل الطبيعي لكل اشكال تفعيل الشارع العربي، ودفعه للتحرك الفعّال من أجل الانضمام إلى صفوف المناضلين لتحرير فلسطين. إذ ليست المشكلة، في الواقع قدرات العدو الصهيوني/ الأمريكي المباشرة، فلدينا من الطاقات والإمكانات والاستعداد للبذل ما يجعلنا نطمئن إلى جدوى المواجهة. لكن أغلب الأنظمة العربية الآن، بسبب ارتباطاتها الموضوعية، الاستراتيجية، بالغرب وأمريكا، أصبحت تمثل سياجاً حامياً يمنع بالفعل انخراط الملايين من أبناء شعوبنا في سياق النضال من أجل إزاحة الاحتلال وتحقيق الانتصار.

إذن، فإن نجاح المثقف العربي، في كل دولة أولاً، ثم في المحيط القومي، في تفعيل وتنشيط قطاعات المثقفين الديمقراطيين، وفي جذب أعداد

متزايدة من المحبطين، إلى صفوف النضال ضد انفراد السلطة وهيمنتها وتكريسها للحال الراهن، هو خطوة ضرورية، لا سبيل إلى القيام بإنجاز أي مهمة من مهام النضال ضد الامبريالية والصهيونية، دون النجاح في تحقيقها.

وهو أمر ليس هيناً، لكنه ممكناً، ومدخله الحقيقي، حسبما دلت التجربة الشعبية في مصر مؤخراً، هو التوجه رأساً إلى الناس، خارج الغرف المغلقة، وبعيداً عن المناقشات البيزنطية التي تستغرق جلّ وقت وجهد الكثيرين. فهذا الأمر وحده يُصَعّب من قدرة الأجهزة الباطشة على السيطرة على حركة الناس، ويوسع نطاق المشاركة الشعبية في دعم الانتفاضة، والانضمام إلى صفوف المناضلين دفاعاً عن القضية.. كما أن هذه الخطوة تمهد الطريق أمام عملية بناء جديدة ـ من أسفل ـ لأدوات سياسية كفؤ، بعد أن أثبتت الآليات الفوقية القديمة عجزها عن التواصل مع الناس، أو تنظيم صفوفهم، أو إقناعهم وحيازة ثقتهم.

فالنضال من أجل التغيير الديمقراطي في بلادنا، هو المدخل الوحيد لتطوير الواقع العربي، وتهيئة مناخ مناسب لانتصار الشعب الفلسطيني في كفاحه، المدعوم من جبهة شعبية عربية عريضة فاعلة ومتفاعلة، تعيد القضية الفلسطينية إلى وضعها الأساس، باعتبارها جوهر نضال الأمة العربية من أجل التحرر والتقدم، وتخرج القضية من مأزقها الراهن، الذي دفعت الأنظمة باتجاهه، حين اعتبروها قضية شعب فلسطين وحده، وما علينا (عليهم!) سوى تقديم بعض أشكال الدعم ذراً للرماد في العيون!

كما أن النضال من أجل نصرة انتفاضتنا في فلسطين ـ في الواقع ـ هو أحد مداخل الكفاح الشعبي لانتزاع الحقوق الديمقراطية الأساسية لمثقفينا وطلائعنا، انطلاقاً من الوضع الذي تحوزه الآن، في بؤرة الاهتمام والوعي الشعبيين.. أي أن النضال من أجل الديمقراطية، والنضال في سبيل القضية أصبحا الآن مسألتين متداخلتين لا سبيل للفصل بينهما أو افتعال أي سبب للتناقض.

يؤثر هذا المنطلق، كثيراً على الانتفاضة، كمنصة إطلاق، موضوعية يمكن عبر تفاعلاتها في البيئة العربية الراكدة، خلق ركائز جديدة، لفهم آليات المتغيرات الداخلية والكونية، والتعاطي الناجح معها.

ما حدث في مؤتمر العنصرية الأخير في «ديربان» على سبيل المثال يطرح العديد من



إشكالات هذه القضية. فعلى ارضية الانتفاضة المجيدة، وعلى أرضية المقاومة الباسلة للمشروع الصهيوني الأمريكي الاستيطاني الإحلالي العنصري، رأينا ما حدث من استقطاب إيجابي بين كتلة شعبية ضخمة، تُكوّنُ الوعي الجديد لأممية إنسانية، أخلاقية (بالمعنى الموضوعي)، متفاعلة مع قضايا العدل والحق والتقدم، في مواجهة كتلة العولمة الرأسمالية التي تعكس نزوع الولايات المتحدة الأمريكية للهيمنة على الكون ومقدراته. إن رفض ومقاومة شعوب العالم لهذه التوجهات العدوانية العنصرية، يعود من جديد لكي يشكل سياجاً حامياً يلتف حول قضية فلسطين وطموحات شعبها في التحرر والاستقلال. لقد أصبحت «الحطة» الفلسطينية، مجدداً، رمزاً للنضال ضد العبودية والعنصرية والاستغلال، وعلى المثقف الفلسطيني والعربي، أن يعي ـ عميقاً ـ أهمية هذه التطورات، ومدى ما يمكن أن تقدمه لقضيته، والدواعي الأصيلة لقيمة اندماجه في صفوف هذه الحركة التقدمية ـ كمناضل متفاعل ـ من أجل إعادة بناء آليات النضال الأممي، الشعبي، التي ثبت قدرتها على مناطحة الثور الأمريكي ـ الصهيوني، والانتصار عليه، والانتقال إلى مواقع المناهضة المعلنة.

وعودة إلى ما تقدم، وتلخيصاً للفكرة الرئيسة:

يحول بيننا وبين النجاح في هزيمة المشروع الصهيوني الإمبريالي وتحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني، سيطرة أنظمة مهترئة، تابعة غير ديمقراطية، في معظم أقطار وطننا العربي. إنها سبب الهزيمة والمانع من انخراط المثقفين والفئات الفاعلة من المجتمع في الصراع، والانتصار في المواجهة.

ومن هنا، فالنضال من أجل الخروج من أسر هذا الوضع، وبناء أوطان ديمقراطية تحقق مشاركة جماهيرية حقيقية، وتستأصل أسباب الوهن في الجسد العربي، هو المدخل الوحيد للانتصار في معركتنا الممتدة مع العدو الصهيوني الإمبريالي، ومن أجل تقدم شعوبنا وسعادتها.

وقضية فلسطين، بما حازته من اهتمام محوري، صارت تمثل مدخلاً طبيعياً لجذب قطاعات متزايدة من المثقفين، ومن أبناء الشعب للاهتمام بالشأن العام، وللتحرك في اتجاه التفاعل مع تطوراته، وعلى المثقف العربي ألا يجعل هذه الفرصة الثمينة تهرب من بين يديه مهما كانت الأسباب. كما أن القضية الفلسطينية، أصبحت تُكوِّنُ ـ على مستوى العالم ـ مركز اهتمام واسع، وبؤرة استقطاب جديد، توحد ما بين النضال المحلي من أجل تحرير فلسطين، وعودة شعبها إلى وطنه المحرر، وبين مواجهة الاستغلال على الصعيد العالمي، والعبودية، والعنصرية، وتفتح المجال أمام بناء شكل جديد لتضامنية شعبية عالمية جديدة، ذات مضمون إنساني وأفق تقدمي.

من هنا نبدأ، ومن هنا تتحدد مسؤولياتنا، كأفراد، وكجماعات، تشعر بمسؤولية حقيقية في ألا تكتفي باللهاث من أجل تفسير مجريات ما يحدث في العالم، وإنما أن تحقق ذاتها بالانخراط الفعال في مجرى عملية تغيير هذا العالم، ذاتها ■■

الانتفاضة في عام
إنجازات سياسية.. وماذا بعد؟

بقلم عبد الحميد محمد

إن الإحاطة الشاملة لتقديم بحثاً كاملاً على كل ما يطلبه السؤال.. يبدو غير ممكناً في بحثٍ بهذا الشكل، وذلك لأسباب هامة وموضوعية، منها أن بعض الوقائع والمفاصل والأحداث والتي فعلتها أو تفاعلت معها الانتفاضة خلال عام، إن يكن فلسطينياً أو عربياً، إقليمياً، أو دولياً بحاجة لرصد دقيق وتأريخ أوسع وأشمل لها من باب الأمانة العلمية والتاريخية، فبعض المفاعيل انطلقت ومازالت تتفاعل.. وأخرى بدأت وانقطعت.. إن قراءة التاريخ الجاد والقريب تتطلب مستوى علمياً ومنهاجياً أعلى يعمق المعايير الموضوعية ويستبعد الإسقاطات والرغبات حتى لا تكون قراءة إنجازات الانتفاضة السياسية بمثابة سرد ذاتي لرغبات ليس إلا.. وانطلاقاً من هذه القاعدة.. سأكرس البحث على القضايا الأبرز والتي ليست بحاجة كبيرة للدرس والتمحيص العلميين مركزاً بالأساس على تناول المستوى السياسي لمفاعيل وإنجازات الإنتفاضة فلسطينياً.. عربياً.. إسلامياً.. ودولياً، ومتجنباً الخوض في المستويات الأخرى الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، الفكرية، والعسكرية إلا بالقدر الذي يخدم توضيح الفكرة بالمستوى السياسي.

لم يكن دخول شارون إلى الحرم القدسي الشريف ـ الأقصى ـ بحراسة ثلاثة آلاف جندي مدججين بالسلاح قبل عام سبباً كافياً لوحده، رغم أهميته في اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الجديدة، بل جاء هذا الدخول مفجراً لمجموعة تراكمات وتناقضات.. وأسباب تولدت عبر سبع سنوات من اتفاقيات أوسلو.. عبرت عن حقيقة ما يعتَور الوجدان الشعبي من وقائع تؤكد أن اتفاقية أوسلو، لم يكن بمقدورها إيصال الشعب الفلسطيني إلى تحقيق أهدافه الوطنية في الحرية، والاستقلال وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة وعاصمتها القدس، وعودة اللاجئين الفلسطينيين ارتباطاً بالقرارات الدولية ذات الصلة (٢٤٢-٣٣٨-١٩٤ وغيرها.

لذا فإن الانتفاضة جاءت وبعد اتفاقات كامب ديفيد الثانية مؤكدة أن الشعب الفلسطيني يدرك أن حل قضيته لن يتأتى إلا بإرادة كفاح الشعب الفلسطيني.. وأن سلام الإذعان.. سلام القوة.. سلام ومنطق إسبرطة والذي حاولت إسرائيل فرضه على الشعب الفلسطيني ارتباطاً بالإخلالات المتحققة في موازين القوى الإقليمية والدولية لصالحها.. لم يثنِ الشعب الفلسطيني عن رفع الهامات عالياً والتلويح بالقبضات وإلقاء الحجارة في وجه المحتلين الصهاينة تعبيراً عن إرادة نضالية جماهيرية ترفض التسليم بمنطق الأمر الواقع وسياسة الإخلال بالتوازنات والتي اعتبرتها بعض عناصر النخبة السياسية العربية الرسمية في الصراع العربي ـ الإسرائيلي أمراً حاسماً يتطلب الانصياع للإرادة الأمريكية والإسرائيلية لأن مقتضيات.. وتوازنات الصراع الإقليمي والدولي في ظل تسيد إرادة القطب الواحد أمريكا، لا يعطى الشعب الفلسطيني أكثر مما هو معروض عليه إسرائيلياً وأمريكياً.. إن الانتفاضة الباسلة أسقطت بحجارة أطفالها.. وإرادة نسائها وشيوخها وجماهيرها هذه الأسطورة الزائفة.. وصفعت بمفاعيلها كل من لازالوا أسرى عقدة التفوق العسكري الإسرائيلي.. وذلك لأنهم لم يدركوا حقيقة ما تصنعه إرادة الشعوب.. إرادة الانتفاضة في الإنسان العربي والإنسان الفلسطيني.. في تقديري، ان هذا أول إنجازات الانتفاضة، وذلك لأنها اندلعت بقوة وعنفوان من جديد، رغم اتفاقيات أوسلو، ووجود سلطة فلسطينية مارست دوراً في خلق حالة ممانعة في وجه من سعوا إلى مقاومة الاحتلال عبر ملاحقاتها ومحاصرتها لهم بهذا القدر او ذاك.. وقد اندلعت الانتفاضة هذه المرة، وهي تحمل في أحشائها تنامياً متدرجاً لحالة مقاومة مسلحة، أكدت فيها ان الشعب الفلسطيني يملك مخزوناً كافياً متميزاً يعبر عن نفسه في كل المنعطفات السياسية والتاريخية الهامة التي تمر فيها قضيته الوطنية العادلة.. إن الانتفاضة الراهنة، ورغم قصر عمرها الزمني حركت بتأثيراتها.. ومفاعيلها السياسية مجموعة حقائق.. ووقائع سياسية، لا يمكن لها أن تغيب عن عيون مخططي السياسة الإقليمية، والدولية هذه الحقائق/ الوقائع تطفو على سطح خرائط صانعي القرار الدولي كبقعة زيت في منطقة استراتيجية وحيوية تعوم على بحار من النفط، المادة الاستراتيجية الهامة والرئيسة في عالم اليوم.. وهذه الحقائق/ الوقائع هي أولاً كشفت الانتفاضة وجود فرق كبير وهام بين ممكنات القدرة.. ومكونات القوة.. وأن ليس كل من يمتلك القدرة قوياً.. أو لا يمتلك القوة ضعيفاً والعكس صحيح.

ثانياً: كسرت الانتفاضة مفهوم الأمن الصهيوني.. وزعزعت منطوق ان «إسرائيل» واحة للديمقراطية في الشرق الأوسط، مما أشهر إمكانية فشل المشروع الصهيوني وبين قابليته للهزيمة، وبدأت تهتز صورة إسرائيل أمام العالم.

ثالثاً: فرضت الانتفاضة تراجعاً ملموساً على قدرة إسرائيل في التحكم في مسار التاريخ الشرق/ أوسطي «هذه القدرة التي كسبتها إسرائيل بعد انتهاء الحرب الباردة.. وبفعل سيطرة أمريكا وانفرادها في صياغة القرار العالمي».

رابعاً: بينت الانتفاضة أن مشروع السلام مع إسرائيل يقف على سكة الفشل، وأن مقولة السياسة الرسمية العربية، إن السلام معها (هو خيارها الاستراتيجي، ليست صحيحة،

وإن السلام وسيلة لهدف، وليس هدفاً بحد ذاته، وأن هناك خيارات بديلة وذلك لأن سلام إسرائيل مع العرب ليس أكثر من خيار تكتيكي يخدم أهدافها الاستراتيجية بتكريس اغتصابها للأراضي العربية.

إن الانتفاضة كشفت بشكل لا يقبل الدحض، أن السلام خطر على إسرائيل أكثر من العرب نفسها بحكم أنها تسعى دائماً لإيجاد تناقض خارجي يحفظ عليها تماسكها.. وكيان هذه حقيقته لم ولن يكون وجوده حقيقة مطلقة في المنطقة والعالم.. فالتاريخ يؤكد كل يوم أن كل أنظمة القوة قد انهارت.. هزم نظام نابليون، وهزم نظام هتلر.. وانهارت أنظمة العزل، والفصل العنصري في روديسيا وجنوب أفريقيا وحتى نظام إسبرطة هُزِمَ وانهارَ في التاريخ القديم.. إنها دروس قاسيَة من التاريخ لكل الأنظمة والتي تُصنف إسرائيل في خانتها.

إن الانتفاضة حققت كل تلك الحقائق والوقائع على المستوى السياسي العام.. هذه الحقائق والوقائع والمقولات والمفاهيم التي صنعتها الانتفاضة بتضحيات.. ومعاينات.. ودماء أبنائها، جعلت إمكانية انتصار الشعب الفلسطيني وتحقيق أهدافه الوطنية، إمكانية واقعية رغم كل ما يعترضها من مصاعب.. وعقبات..

إن إنجازات الانتفاضة على المستوى السياسي لم تقف عند حدود ما ذكر أعلاه، بل حققت الانتفاضة العديد من الإنجازات السياسية الأخرى، إن يكن فلسطينياً أو عربياً، أو إسلامياً، فمثلاً:

١- وحدت الانتفاضة الشعب الفلسطيني بالداخل والخارج، وفعلت دور فلسطيني عام ١٩٤٨ والذين ساهموا بدور هام في أيام الانتفاضة الأولى،

٢- أعادت الانتفاضة رسم المشهد الوطني الفلسطيني لجهة وحدة الفصائل السياسية الفلسطينية عبر الانضواء تحت لواء لجنة المتابعة الوطنية والإسلامية وهو إنجاز حققته الانتفاضة بدرجة عالية من الكفاءة.. وإن لم يغب عن هذا المشهد حالة من تمازج.. وتصارع التكتيكات.. والاستراتيجيات والرؤى والمواقف السياسية.

٣- أعادت الانتفاضة الحياة لدور حركة التحرر الوطني الفلسطيني باعتبارها طليعة حركة التحرر العربية، وأبرزت قدرتها على إثارة تفعيلها.. وجذب الحالة الشعبية العربية.. وما الغضب العارم والذي اجتاح الشارع العربي من المحيط إلى الخليج إلا دليل شاهد على ذلك.

٤- بعثت الانتفاضة الحياة في مؤسسة الجامعة العربية والتي انقطعت اجتماعات قمتها لحوالي عشرة أعوام.

٥- جيشت الانتفاضة حالة إسلامية شعبية ورسمية، مازالت تداعياتها ومفاعيلها فاعلة وإن يكن بشكل غير كافٍ.

أما فيما يخص مفاعيل وتأثيرات الانتفاضة على إسرائيل بشكل مباشر، فأهم ما يمكن الوقوف أمامه هو أثر الانتفاضة والمقاومة على الاستيطان في الأراضي الفلسطينية في الضفة وقطاع غزة.

فالمستوطنات في قطاع غزة تحولت إلى معازل.. وتم إغلاق غالبية المصانع في المستوطنات في قطاع غزة والضفة الغربية.. وقد انعكس هذا التدهور في النشاط الاستيطاني ليعمق أزمة المشروع الصهيوني برمته.. وهذا مما يبين حجم المأزق الذي وصل إليه ويعاني منه الكيان الصهيوني خاصة إذا اعتبرنا حسب زعم بن غوريون.. أن إسرائيل أقيمت على ثلاث دعائم.. أو أقانيم وهي (هجرة.. أمن.. استيطان) مع اعتبار الاستيطان هو الدعامة الرئيس بينها.. يقاس بها ديناميةً وحيوية هذا المشروع الصهيوني برمته.

فماذا فعلت الانتفاضة بدعائم - أو أقانيم إسرائيل - توقف الهجرة إليها، بل وانطلقت هجرة مضادة منها إلى العديد من دول العالم، وانكسرت نظرية الأمن الإسرائيلي.. وأسطورة التفوق العسكري والعرقي.. المستوطنات في الضفة وقطاع غزة تحولت إلى معازل يختنق فيها المستوطنون حسبما يقولون: «فالفلسطينيون يضيقون الخناق علينا وحياتنا أصبحت لا تطاق».. ورغم محاولات حكومة شارون المحمومة لمعالجة أزمة الاستيطان وذلك عبر إعادة تسعير الهجوم الاستيطاني والحديث عن استجلاب مليون مهاجر صهيوني جديد،إلا أن هذه المحاولات تذهب أدراج الرياح بسبب ظروف غير مواتية لإنجاح هذه المحاولات على كل الأصعدة محلياً، إقليمياً ودولياً.

إن شمعون بيرس يزعم بأن إسرائيل لا يمكنها حتى في ظل عملية سلام مع العرب التخلي عن المستوطنات، وذلك لأن «المستوطنات كيان عضوي لإسرائيل يحتاج إلى مقومات حيوية للنمو الطبيعي».

إن مفاعيل وإنجازات الانتفاضة على هذا الصعيد أوجدت حالة تآكل متدرجة بالمشروع الصهيوني استناداً إلى رؤية الدعائم التي أقيم على أساسها هذا المشروع وهي تتراجع.. وتتآكل بشكل بطيء، متدرج ولكن مستمر.

إن إنجازات الانتفاضة على المستوى السياسي أسهمت بشكل فعال بإفشال عقيدة التفكيك والتسويف والمماطلة التي اتبعتها حكومات إسرائيل المتعاقبة في عملية السلام مع الفلسطينيين، فلم تفلح سياسات شامير منذ مدريد أو كل من تبعه أن يكن رابين، بيرس، نتنياهو، باراك، أو شارون بتمرير هذه العقيدة على الشعب الفلسطيني بجعله يتلهى بمكاسب وقضايا صغيرة متناثرة على حساب تضيّع القضايا الرئيسة والكبيرة. من وجهة نظري أن العد العكسي بزوال الكيان الصهيوني، قد بدأ والمسألة ليست مسألة قرب، أو بعد ذلك لأن كيان ينطوي على كل تلك التناقضات ويتصرف بكل هذا القدر من العنصرية فإن مصيره الزوال المحتم.

لا شك إن الأحداث الأخيرة والتي حصلت في الولايات المتحدة سيكون لها تأثير سلبي على الانتفاضة لجهة إضعاف التأييد العالمي لها، فغبار التهيج الإعلامي الأمريكي الغربي ضد العرب والمسلمين سيلحق بعض الضرر في قدرة الانتفاضة على الاحتفاظ ببعض مواقع التأييد الدولي، ولكن هذا لا يعني شيئاً إذا اعتبرنا استمرار الانتفاضة فلسطينياً وعربياً خياراً لابد منه لتحقيق أهداف الشعب الفلسطيني بالحرية والاستقلال.. وأعتقد أن الأمر هو هكذا.. وهذا يتطلب استمرار مرحلة التدافع - والتقاطع - والتوازي بين استراتيجيات الانتفاضة الشعبية.. والمقاومة المسلحة مع استراتيجية الحل السياسي التفاوضي ومنطق الاشتباك الدبلوماسي الساخن لتطبيق قرارات الشرعية الدولية والأمم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية للحفاظ على استمرار الدعم الدولي للقضية الفلسطينية.

لذا مطلوب رفض فكرة العودة إلى ما كان عليه الوضع قبل ٢٨/ أيلول والتي جاءت فيها وثيقة ميتشل وكذلك الخطط الأمنية التي جاء بها تينيت لأن فيهما ما قد يوصل إلى إجهاض الانتفاضة أو تجويف إنجازاتها وهذا ما يصب الماء في طاحونة السياسة الإسرائيلية، وبدلاً من ذلك مطلوب التركيز على المضي بالانتفاضة الشعبية والمقاومة المسلحة - واستراتيجية الحل السياسي الدولي من منطلق قرارات الشرعية الدولية والأمم المتحدة وصولاً إلى دحر الاحتلال ومخلفاته وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس، وعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم.. وأعتقد أن هذا يجمع عليه كل الشعب الفلسطيني وقواه السياسية، وهو أهم مقومات استمرار الانتفاضة.. إن سقوط ما يزيد عن ثماني مئة شهيد.. وحوالي ثلاثين ألف جريح من بينهم حوالي خمسة عشر ألف إعاقة دائمة، وتدمير الآلاف من البيوت والبنية التحتية والمجتمعية للشعب الفلسطيني، لا يمكن لها أن تمضي بدون الإصرار الشعبي القاطع على استمرار الانتفاضة حتى تحقيق أهدافها بالحرية، والدولة، والقدس عاصمة أبدية للشعب الفلسطيني ■■

العنف الإسرائيلي وأثره على أطفال فلسطين

رانيا زكاري

بمضي عام على انتفاضة الأقصى، وأوضاع حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة إلى تدهور سريع. وإن استمرار الاحتلال الإسرائيلي والانتهاكات الخطيرة والمنظمة والكثيرة لحقوق الإنسان التي تقوم بها إسرائيل قد نجمت عنها أزمة حقوقية إنسانية. ومع ذلك وبالرغم من أن وضع حقوق الإنسان والوضع الإنساني الراهنين في الأراضي الفلسطينية المحتلة خطيران، إلا أنه يجب الإقرار بأن جذور الأزمة الراهنة تمتد إلى أبعد من بداية انتفاضة الأقصى، وتعزى إلى الاحتلال الإسرائيلي المستمر للأراضي العربية بما فيها فلسطين. فقبل اندلاع انتفاضة الأقصى، خلق الاحتلال الإسرائيلي المستمر وانتهاكات حقوق الإنسان الدولية والقانون الإنساني الدولي، وضعاً متفجراً اشتعل مع الزيارة الاستفزازية التي قام بها أريل شارون للحرم الشريف. ومع ذلك فإنه ومنذ بداية انتفاضة الأقصى في ٢٨ أيلول ٢٠٠٠، أصبحت أوضاع حقوق الإنسان والأوضاع الإنسانية في الأراضي الفلسطينية أكثر خطورة، وقد شملت الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي استخدام القوة المفرطة وغير المبررة ضد المدنيين، وسياسة القتل خارج إطار القانون، وممارسة التعذيب ضد مختلف الفئات العمرية، وكذلك إقامة وتوسيع المستوطنات ومصادرة الأراضي وتدمير الممتلكات المدنية والحصار المفروض على الأراضي الفلسطينية المحتلة وأخيراً وليس آخراً انتهاكات الحماية الخاصة الممنوحة لأولئك الذين يتمتعون بوضع خاص، الطواقم الطبية والـ[illegible]تين والعاملين في مجال حقوق الإنسان والأطفال.

حيث عمدت قوات الاحتلال الإسرائيلي إلى تدمير البنية المجتمعية الفلسطينية على الصعيدين المادي والإنساني. فعلى صعيد التدمير المادي: تقوم قوات الاحتلال الإسرائيلية بتدمير البنى التحتية بطريقة مدروسة ومبرمجة وكذلك الحصار الاقتصادي المتواصل الذي أنتج عجزاً تصل قيمته إلى مليارات الدولارات في الاقتصاد الفلسطيني وعشرات الآلاف من العاطلين عن العمل. ووصول ٤٩٪ من الفلسطينيين إلى تحت مستوى خط الفقر وكل هذا بهدف إخضاع الفلسطينيين وإفقادهم أي أمل بقيام كيان اقتصادي متماسك وقادر على العيش، فقد شل الحصار الوحشي الشامل على المدن والقرى الفلسطينية حركة الأفراد والبضائع مما أدى إلى اتساع دائرة الفقر إلى أكثر من ٥١٪ من الشعب الفلسطيني وارتفاع نسبة البطالة إلى أكثر من ٤٥٪ إضافة إلى تعطيل وشل عمل المؤسسات الفلسطينية والبرامج الصحية والتعليمية، وتدمير البنية التحتية والأنشطة الاقتصادية، وأبعد من ذلك فقد عمدت سلطات الاحتلال الإسرائيلي إلى تدمير البنية البشرية للمجتمع الفلسطيني عن طريق اعتمادها سياسة العنف المبرمج الذي يستهدف قتل الفلسطينيين وإبادتهم باستخدام القوة الهمجية في عمليات الجيش الإسرائيلي العسكرية، وكذلك في ممارسات مستوطنيه اليومية، مما أدى إلى حصيلة مرتفعة جداً من الشهداء من مختلف الأعمار وعشرات الآلاف من الجرحى والمصابين مادياً ونفسياً.

ولم تفرق القوات الإسرائيلية في اعتداءاتها الوحشية بين رجل أو إمرأة أو شيخ أو طفل أو شاب. وقبل الدخول في موضوعنا لا بد من خلفية عامة عن بنية المجتمع الفلسطيني البشرية سعياً منا للوصول للنتائج السلبية لممارسات الاحتلال. على بنية هذا المجتمع وصولاً بذلك إلى الفئة التي تشكل محور الموضوع ومحور المجتمع الرئيسة وهي الأطفال. وكذلك لنستنتج من سياق الإحصاءات التبدلات المريعة الطارئة على هذا المجتمع جراء استمرار الاحتلال الإسرائيلي بممارساته الوحشية. حيث بلغ عدد السكان الفلسطينيين في الضفة والقطاع ٣,١٥ مليون نسمة وذلك حسب إحصاءات تعود لأواسط العام ٢٠٠٠ و٣,٣٠٠م.ن عام ٢٠٠١ يعيش ٦٣,٩٪ منهم في الضفة و٣٦,١٪ منهم في غزة.

وعام ١٩٩٧ كانت نسبة الذكور إلى الإناث هي ١,٤٠ مليون ذكور و١,٣٨ مليون إناث أي نسبة ١٠١,٩ وعام ٢٠٠٠ أصبحت النسبة ١,٥٩ مليون ذكور مقابل ١,٥٥ مليون إناث بنسبة ١٠٢.

وبالنسبة لمعدل المواليد عام ٩٧: ٤٢,٧ بالألف وفي عام ٢٠٠٠، ٣٤,٩ بالألف و٢٥,٣ بالألف بالعام ٢٠٠١ ويتميز المجتمع الفلسطيني بأنه مجتمع يافع حيث ٥٣٪ منه شباب أقل من ١٨ سنة حسب عام ٢٠٠٠ و٤٩,١٪ منه إناث، و٩٪ ذكور.

وارتفع مستوى الأطفال الذين أنهوا المرحلة الأساسية /الإعدادية/ من ٦٥٤٦٧٩ عام ١٩٩٤-١٩٩٥ إلى ٩٤٢,٩٤٢ عام ١٩٩٨-١٩٩٩ حيث بلغت نسبة النمو ٤٤٪.

وبالنسبة للمرحلة الابتدائية ارتفعت من ٩١,٦٪ في العام الدراسي ٩٤-٩٥ إلى ٩٦,٨٪ في العام ٩٩-٢٠٠٠.

وفي المرحلة الإعدادية من ٤٦٪ عام ٩٤/٩٥ إلى ٥٦٣٩٪ عام ٩٩-٢٠٠٠.

وقد انخفضت نسبة الأطفال تحت خط الفقر من ٢٧,٢٪ عام ٩٦ إلى ٢٤,٠٪ عام ٩٨.

وهناك ٣٤,٠٦١٪ من أطفال فلسطين هم جزء من قوة العمل وهؤلاء يشكلون ٥,٩٥ من الأطفال من عمر ١٠-١٧ سنة. النسبة الكبرى منهم شمال الضفة ٩,١٪ وجنوب الضفة ٧,٣٪ وهناك ٧٤,٤٪ من الأطفال العاملين يعملون أكثر من ٣٥ ساعة في الأسبوع.

وفي عام ٢٠٠١ بلغ عدد السكان ٣,٣٠ مليون ٦٣,٦٪ في الضفة الغربية و٣٦,٣٪ في غزة. ١,٦٧ مليون ذكور و١,٦٣ مليون إناث.

وفي عام ٢٠٠١ حافظ المجتمع الفلسطيني على شبابه وفتوته حيث ٥٣,١٪ أقل من ١٨ سنة و٢٧,٠٪ إناث و٢٦,١٪ ذكور. وعدد الذكور عام ٢٠٠١ أقل من ١٨ سنة ٨٩٢ ألف والإناث ٨٦٠ ألف.

على هذه الخلفية الديمغرافية ننتقل الآن للحديث عن وضع أطفال فلسطين في ظل الإنتفاضة هذه الفئة التي تمثل أهم فئات الشعب، فهي عماد المستقبل وطاقة البناء لأي مجتمع في العالم. وفي مجتمعنا الفلسطيني تشكل هذه الفئة العمرية الصغيرة الكبيرة المساهم الأكبر في تسديد فاتورة بقاء المجتمع الفلسطيني واستمرار هويته العربية، هذه الفئة الحالمة الصانعة للواقع. الخارجة من رحم الاحتلال والمعاناة والانتفاضة إلى عالم التحرر والاستقلال والنهوض الفلسطيني. فئة أطفال فلسطين. التي أثبتت للعالم أجمع أن في الحجر قوة تمكن حامله من مواجهة أعتى آلات الحرب وأدوات القمع، إذا كان حامل هذا الحجر صاحب حق يناضل لاسترداده ممن اغتصبوه.

وأطفال فلسطين هم الأكثر من بين فئات وشرائح الشعب الفلسطيني، تضرراً من ظروف الاحتلال والقهر والمعاناة وفيما يلي بعض الإحصائيات عن وضع الأطفال والانتفاضة من حيث عدد الشهداء والجرحى.

يشكل الأطفال البالغ عمرهم أقل من ١٨ سنة ٤٧,٠٪ من العدد الكلي للشهداء والجزء الأكبر من الشهداء الأطفال كان في عمر ١٥-١٧ سنة.

٦١,٢٪ بالنسبة الكلية و٣٥,٣٪ في الضفة و٢٥,٩٪ في غزة.

ونسبة الشهداء من عمر ١٢-١٤ سنة ٢٥,٩٪ من المجموع ٩,٥٪ منهم في الضفة و١٦,٤٪ في غزة ولعمر أقل من ١٢ سنة بلغت نسبة الشهداء من العدد الكلي ١٢,٩٪.

وعدد الأطفال الشهداء حسب آخر إحصائية أوردتها الجزيرة الجمعة ٢٠٠١/٩/٢٨ بلغ ١٧٤ شهيد ونسبة الأطفال الشهداء بإصابات الرأس ٣٨,٨٪ من المجموع، وفي العنق والصدر ٣١,٠٪.

وقد ترك العنف الإسرائيلي آثاراً نفسية وجسدية خطيرة وسلبية على الأطفال الفلسطينيين، حيث صرح ٨٤,٩٪ من الفلسطينيين بوجود آثار سلبية للغاية على أطفالهم، وعطل الحصار الإسرائيلي الأنشطة التعليمية للأطفال الفلسطينيين، فمنع أعداداً كبيرة من الطلبة الفلسطينيين سنوياً من تقديم امتحاناتهم وكذلك إجبار الطلبة على ترك المدارس تحت تأثير المضايقات التي تمارسها سلطات الاحتلال ضدهم، من محاربة المناهج التعليمية العربية، والنقص في المباني المدرسية والتسهيلات التعليمية إضافة إلى فرض أساليب العقاب الجماعي والإغلاق المتكرر لمؤسسات التعليم وتعطيل الدراسة. ولم يتمكن الأطفال ومعلموهم من الوصول إلى مدارسهم عبر الحواجز الإسرائيلية. وتروواح عدد المعلمين الغائبين من ١٠٪ إلى ٩٠٪ من المجموع العام وعدد التلاميذ الشهداء حتى ٢٠٠١/٩/٩ بلغ ١٦٦ شهيداً.

وهناك ٥٣,٢٪ من التلاميذ قتلوا بالرصاص في الرأس و٣٩٪ بإصابات العنق والصدر. وعدد التلاميذ الجرحى لغاية ٢٠٠٠/١١/٢٩ بلغ ٧٤٠ تلميذاً اي بنسبة ١٧,٤٪ من المجموع الكلي للضحايا في الانتفاضة.

وإن هذا كله يعد انتهاكاً لحق اساسي من حقوق الطفل حسب الإعلان العالمي لحقوق الطفل وهو حق التعليم حيث أظهرت نتائج المسح أن ١٢٦,٤٩٥ طالباً وطالبة أفادوا بأن مدارسهم تعرضت للاعتداءات الإسرائيلية (سواء للقصف، الإغلاق من قبل الاحتلال الإسرائيلي، المداهمة من قبل قوات الاحتلال،أو تحولت لثكنة عسكرية أو التعرض للغاز) كما افاد ٣٦٪ من الأطفال (٥-١٧) نسبة الملتحقين بالتعليم بانه تم تقليص فترة الدوام المدرسي نتيجة الإجراءات الإسرائيلية، مما يعني أن هذه الفئة من الطلبة قد خسرت جزء من حقها الكامل في تلقي نصيبها من التعليم. وهناك نسبة كبيرة من الطلاب اضطروا للتغيب عن المدرسة، أو الانتقال من مدرسة لأخرى، وكذلك اضطر آخرون لترك المدرسة بشكل مؤقت وآخرون بشكل دائم.

وكذلك انتهك الإسرائيليون ابسط حق من حقوق اي طفل في العالم، وهو الحق في الوطن ليعيش فيه حراً كريماً، حيث انه بالرغم من أن قسماً كبيراً من اطفال فلسطين يعيشون على أرضها، إلا أنه ما قيمة العيش على أرض الآباء والأجداد إن لم يعش هذا الطفل بكرامته؟ وما قيمته إن لم يقترن بالشعور بالأمن والسلام والاطمئنان وما قيمته إذا لم يوفر أسباب ومتطلبات الحياة الكريمة لهذا الطفل. حيث تتميز حياة هؤلاء الأطفال بعدم الاستقرار بسبب التغير الدائم لمكان الإقامة هروباً من بطش آلة الحرب الإسرائيلية حيث أن ١,٧٪ من مجمل السكان في الأراضي الفلسطينية غيروا مكان إقامتهم في منتصف ٢٠٠١.

يعيش الطفل الفلسطيني في ظل الانتفاضة في وضع صحي سيئ للغاية. ناجم عن عدم توفر الأدوية اللازمة للعلاج وعدم القدرة على دفع تكاليف العلاج، حسب إفادة ٣٨٪ من السكان، وفي حين أفاد ٢٣٪ منهم بأن السبب الرئيس في عدم الحصول على الخدمة الصحية يعود لعدم القدرة على الوصول إلى مكان الخدمة نتيجة الإجراءات الإسرائيلية و١٨٪ منهم أفادوا بأن السبب يُعزى لعدم تمكن الكادر الطبي من الوصول إلى المراكز الصحية/ العيادات، أو بسبب نقص أدوات ومعدات علاج كافية.

وقد اضطر قطاع لا بأس به من الأطفال والفتيان الفلسطينيين. وتحت وطأة ضغوط الحياة وارتفاع تكاليف المعيشة للعمل في المصانع والمؤسسات، وفي أعمال لا تناسب أعمارهم ولا تكوينهم الجسدي والنفسي. وذلك رغم تحريم اتفاقيات العمل الدولية له. وفيه خرق لحق ضروري من حقوق الطفل العالمية وهي حق التمتع بحياته وبأوقات فراغه بأشياء مفيدة وصحية.

وإن لهذا الأمر نتائج ضارة على صعيد البناء الشخصي والنفسي للطفل الفلسطيني، فمن ناحية شجع على تسرب الأطفال من المدارس، وعزز توجهات العدو في التفريغ الثقافي والتجهيل العلمي لأبناء الشعب الفلسطيني، ويسهم في إبطاء معدلات النمو الذكائي والمعرفي وإعاقة تطور الشخصية لديهم. وتتزايد بالتالي عوامل الضغط النفسي المؤثرة عليهم، وتتعزز في نفوسهم مشاعر القهر والاضطهاد والدونية والتي قد تدفعهم إلى ارتكاب بعض أشكال السلوك اللااجتماعي، مما يمكن أن يحولهم جانحين وفي ظل الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين وتفاصيل المعاناة المستمرة لأبناء وأطفال الشعب الفلسطيني والانشغال في مواجهة هذا الاحتلال، تتضاءل فرص اللعب عند الطفل الفلسطيني، حيث لا تتوفر المستويات الدنيا من فرص ومتطلبات هذا النشاط الطفولي الهام. مما يؤدي إلى تدني نسبة مشاعر المتعة والبهجة والفرح ورفع نسبة الملل والضجر والضيق والانقباض في نفس الطفل الفلسطيني. ويطفئ شعلة الحماس والإقبال على الحياة لديه، وإن حرمان الطفل الفلسطيني في ظل ظروف الاحتلال والانتفاضة من اللعب يعادل حرمانه من الطفولة بكاملها.

وقد تعرضت حقوق الطفل الفلسطيني بأكملها للانتهاك جراء الممارسات الإسرائيلية، والأحرى بنا أن نقول بأنها انتهكت بكل ما تعنيه هذه الكلمة، حيث أن هذا الطفل معرض بأي لحظة لأن يفقد أبويه من جراء قذيفة إسرائيلية تطلق من بندقية جندي إسرائيلي.

وعلى الطفل الفلسطيني دفع ثمن ذلك وتحمل نتائجه، وهو مضطر للعيش تحت الدمار والقصف الإسرائيلي المستمر لبلدته وربما لبيته بعيداً عن الإعلان العالمي لحقوق الطفل الذي أقر حق أي طفل أن يعيش بأمان بعيداً عن الحروب. وكذلك حقه في الحماية من العنف والتعذيب هذا الحق الذي يُنتهك يومياً من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلية. حيث يتعرض الأطفال الفلسطينيون للاعتقال: وغير ذلك إن الأطفال الفلسطينيين الذين أدخلوا إلى سجن تلموند (حسب محامية مؤسسة الضمير للدفاع عن المعتقلين) خلال انتفاضة الأقصى يعانون من ظروف صعبة للغاية نتيجة لاستخدام أساليب في التحقيق محرمة دولياً، كوضعهم في أقسام مغلقة في الزنازين لفترة طويلة، إضافة إلى النقص الحاد في الطعام واللباس وحرمانهم من الزيارات، وكذلك تهديد حياتهم المستمرة من قبل السجناء الجنائيين وتجار المخدرات وعملية أسر الأطفال ساهمت في إفراغ الكثير من المقاعد الدراسية وحرمانهم من التعليم، وتبدأ معاناة الأطفال لحظة أسرهم، يعاملون كبقية الأسرى حيث تتم محاصرة المنزل، واقتحامه وتكسير البوابة أحياناً وانتزاع الطفل من بين أهله وعصب عينيه وتكبيل يديه والتحقيق معه في نفس الليلة وحرمانه من النوم. وإن ذلك مخالف لما نصت عليه المواثيق الدولية، واتفاقية حقوق الطفل وقواعد الأمم المتحدة الخاصة بالأطفال، التي نصت على معاملة الطفل معاملة تتناسب مع عمره واستناداً لاتفاقية مناهضة التعذيب التي حرمت التعذيب واعتبرته جريمة يُعاقب مرتكبها.

وما من طفل فلسطيني إلا ويعاني من خطر تلوث البيئة نتيجة الهدم المستمر للمباني وكذلك عدم العناية الكافية بالنظافة، والسموم والأدخنة التي تتصاعد كل دقيقة من جراء عمليات القصف الإسرائيلي لقراهم وبلداتهم. وهم يعانون كذلك من النقص المستمر في الغذاء اللازم لنموهم السليم نتيجة غلاء الأسعار والحصار الإسرائيلي الذي يمنع المواطنين الفلسطينيين من التنقل بسهولة لتأمين مستلزمات عائلاتهم. في ظل وضع تحول فيه المواطن الفلسطيني إلى واحد من أكبر دافعي الضرائب في العالم، وفي ظل ارتفاع الأسعار ومستوى المعيشة،وكذلك في ظل ظروف الملاحقة والاعتقال لأبناء الشعب الفلسطيني، وكيف يمكن للمجتمع الفلسطيني ومن خلال مؤسساته وخاصة الأسرة أن يشبع لأبنائه حاجاتهم الأمنية بأشكالها المختلفة، في ظل ظروف

الاحتلال التي لا تحمل في طياتها إلا التهديد المستمر لجميع مصادر الأمن والاستقرار والحماية وبصورة تجعل الفلسطيني يتحرك في متاهة بين حاضر غير آمن ومستقبل غامض ومجهول المصير.

وقد تعرضت نسبة لابأس بها من الأطفال الفلسطينيين نتيجة الإصابات التي تعرضوا إليها إلى تشوهات وإعاقات وذلك كله نتيجة استمرار وتمادي إسرائيل في خرقها وانتهاكها لحقوق الطفل الفلسطيني مهما كانت هذه الحقوق، فقد وصل بها الحد إلى التعرض لهؤلاء الأطفال والمساس بمستقبلهم من خلال إعاقتهم وتسبيب تشوهات لهم.

فقد اظهرت النتائج أن ١,٢٪ من الإصابات تركت إعاقات دائمة و٣,٦٪ تركت إعاقات مؤقتة، في حين أن ٢,٧٪ تركت تشوهات، وشكلت الإعاقات الدائمة من الأطفال ما نسبته ٢٦٪ من مجمل الإعاقات الدائمة، وشكلت الإعاقات المؤقتة بين الأطفال ٢٨٪ من مجمل الإعاقات المؤقتة، في حين شكلت التشوهات بين الأطفال ٢٢٪ من مجمل التشوهات.

وقد تعرضت حياة الطفل الفلسطيني للاهتزاز جراء الاعتداءات الوحشية لقوات الاحتلال الإسرائيلي، في ظل مجتمع مسكون بالخوف والإحباط والهلع، وفي ظل أسر أصبحت أسراً محطمة ممزقة ومهدمة، وفي ظل ظروف التشرد والإبعاد والهجرة القسرية التي يعيشها ابناء الشعب الفلسطيني.

وقد ظهرت بعض الآثار النفسية والسلوكية على الأطفال جراء أحداث العنف الإسرائيلي أثناء فترة الانتفاضة حيث أظهرت النتائج أن حوالي ٥٩٦٠٠٠ طفل (عمرهم أقل من ١٨ عام) ظهرت عليهم نوبات البكاء وحوالي ٧٨٨٠٠٠ طفلاً ظهرت عليهم حالات الخوف من الوحدة، وحوالي ١٣٩٠٠٠ طفلاً ظهرت عليهم حالات الخوف من الظلام، وحوالي ١٧٢٠٠٠ طفلاً عانوا من حالات التبول اللاإرادي. ـ وعن نسبة الأطفال الذين ظهرت عليهم أعراض نفسية ندرج الجدول أعلاه.

الحالة	الفئة العمرية٪ ٥ ـ ١٧	الأفراد الذين ظهرت عليهم الآثار النفسية٪
	٤٣,٦	٤١,٠
نوبات البكاء	٥٣,١	٣٦,٦
خوف من الوحدة	٥٥,٤	٣٥,٨
خوف من الظلام	٤١,٣	٢٩,٠
خوف من لون الدم	٣٣,٦	٤٥,٢
الشعور باليأس والإحباط	٢٧,٦	٣٣,٤
زيادة التفكير بالموت	٢٢,٤	٣٠,٧
نوبات الغضب		

وتزعم سلطة الاحتلال الصهيوني أن الأطفال يتعرضون لهذه الظروف نتيجة مشاركتهم في أعمال العنف. ولكن حسب كل المواثيق والاتفاقيات الدولية الخاصة لحقوق الطفل يتضح انه من المستبعد جداً أن يتم تصنيف الأطفال الفلسطينيين في سن ١٥ الذين قتلوا في أحداث انتفاضة الأقصى على انهم محاربين أولاً لأن طبيعة المواجهات هي عبارة عن انتفاضة مدنية ضد الاحتلال الإسرائيلي، أي ان جيشاًمحتلاً يواجه سكان مدنيين، وليس نزاعاً بين جيشين مسلحين. ومن الصعب إذاً القول أن إلقاء الحجارة من جانب الصبيان «الفلسطينيين» على مواقع عسكرية «إسرائيلية» محصنة جداً يشكل نوعاً من المشاركة في أعمال عدائية خطرة حسب تقرير صادر بتاريخ ٢٠٠١/٣/١٦ إضافة إلى ذلك فإن كثير من الأطفال الفلسطينيين الذين قتلوا او اصيبوا لم يكونوا مشاركين أصلاً في اية أحداث.

وحسب المبادئ الدولية للقانون الإنساني الدولي المتعارف عليها، يجب حماية السكان المدنيين من المخاطر التي تنشأ بسبب وجود عمليات عسكرية، ويجب على وجه الخصوص أن لا يصبحوا هدفاً لأي هجوم. ويعرف المدنيون بأنهم الأفراد الذين لا يشتركون في أية أعمال ملحة، ومنذ زمن بعيد يعود إلى سنة ٦٣ نص قانون ليبر Lieber codco في المادة ١٨ على الحاجة إلى حماية خاصة لغير المحاربين، خاصة الأطفال والنساء.

وتحاول إسرائيل أن تمحو صورة الاحتجاجات المدنية عن الانتفاضة وتريد أن تبرز صورة وجود نزاع مسلح بدلاً من ذلك، أي أنها تسعى لبيان أن الجيش الإسرائيلي يواجه قوات مسلحة فلسطينية، بينما انه من الظاهر للعيان وذلك ما يؤكده الفلسطينيون أن ما يحدث هو انتفاضة مدنية شعبية ضد الاحتلال الإسرائيلي وليس هناك بالطبع أشخاصاً يمكن أن يكونوا «مدنيين وغير مسلحين اكثر من الأطفال»، ولذلك يجب حماية هؤلاء.

ولقد تم منح الأطفال حماية خاصة في أوقات النزاع المسلح، كما جاء في نصوص اتفاقية حقوق الطفل لسنة ١٩٨٩ والتي وقعت عليها إسرائيل وخاصة المادة ٣٨ المتعلقة باحترام قواعد القانون الإنساني الدولي ذات الصلة بالطفل وكذلك يجب ضمان ورعاية الأطفال المتأثرين بنزاع مسلح.

وليس غريباً أن تكون قد خرقت كل هذه الاتفاقات الدولية والتي أقرت بعضها وخاصة ما يتعلق بحقوق الطفل الفلسطيني.

إن واقع الاحتلال وظروف القهر والعدوان التي تعرض لها شعبنا الفلسطيني قد فرضت على أبنائه التصدي والمقاومة والتضحية لإزالة هذا الاحتلال واستعادة الأرض والحقوق المغتصبة من خلال مسيرة يشهد التاريخ الإنساني بعظمتها، كما دفعت ظروف الاحتلال والعدوان بأطفال فلسطين إلى التخلي عن مزايا ومحاسن الطفولة، وتجاوز مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب والرجولة تحقيقاً لمعادلة الصمود والبقاء.

وإذا كان أطفال فلسطين قد تخلوا عن طفولتهم من أجل الوطن، فإن من واجب دولتهم وكل من بيده قراره في المرحلة الآنية أن يعيدوا إليهم هذه الطفولة.

ولأن انهيار هؤلاء الأطفال يعني انهيار كل المجتمع، فلا يمكن تصور مستقبل فلسطين بدون هؤلاء الأطفال الذي سيكبرون وفي قلوبهم وعقولهم حب الوطن، وكره العدو، والإصرار على الانتقام للأرض وللشهداء واستعادة كل ما سلبه هؤلاء من حقوق مشروعة لهذا الشعب، وإن تدمير هذه الفئة العمرية يمثل خسارة كبيرة فادحة يصعب تجاوزها عبر سنوات طويلة جداً بل دعونا نقول انه يستحيل تجاوزها لأنهم هم الفئة الأساس في هذا المجتمع.

وأخيراً لابد من حملة عالمية دولية متماسكة ومستديمة للدفاع عن حقوق الأطفال الفلسطينيين التي تتعرض يومياً لعشرات الانتهاكات من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي والتي تتجاوز في بعض الأحيان حدود التصور البشري كسياسة التعذيب وتفننها في أساليبه، وكذلك إعاقتها وعدم تمكينها من تلقي الرعاية الصحية اللازمة، ووصول آلتها الحربية إلى الأطفال الرضع في أحضان أمهاتهم، وبعد ذلك يجب تصعيد وتيرة هذه الحملة العالمية من أجل توفير حماية دولية للشعب الفلسطيني من كل ما يتعرض له يومياً، وإن توفير الحماية والرعاية لهؤلاء الأطفال ستشكل دعامة وأمن لمستقبل فلسطين، فهم حماة الوطن وهم رافعوا رايات التحرير وهكذا يجب تنشئة أولئك الأطفال على مبادئ حب الوطن والتفاني في عطائه، وكراهية العدو والرغبة في الانتقام منه لكل ما ارتكبه على ارضنا وبذلك تنمو عند الطفل الشخصية الوطنية المحاربة للحبة للحق والكارهة للباطل ومرتكبه ■■

المعلومات الرقمية في هذا المقال مستمدة من مركز المعلومات الفلسطيني ووزارة الصحة ومؤسسة الضمير والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.

هل يمكن سلخ الدب قبل صيده؟!

عبد القادر ياسين

ما أكثر الحقائق التي أكدتها «انتفاضة الأقصى والاستقلال»، وما أقل استفادتنا بهذه الحقائق، التي لا تقتصر على ما أوردته «الهدف» في ورقتها. ولعل في مقدمة هذه الحقائق كشف مدى بشاعة جريمة حرمان فلسطين من عمقها العربي، فضلاً عن أن القدس خط أحمر، وأن الدين لا يزال ضمير الثورة في العالم الثالث، وأن غياب الوحدة الوطنية، والحريات الديمقراطية، فضلاً عن الاستراتيجية طويلة النفس للمقاومة، وقد الحقت جميعها أبلغ الأضرار بقضيتنا الوطنية، وقائمة «الحقائق» طويلة لا يتسع لها المجال.

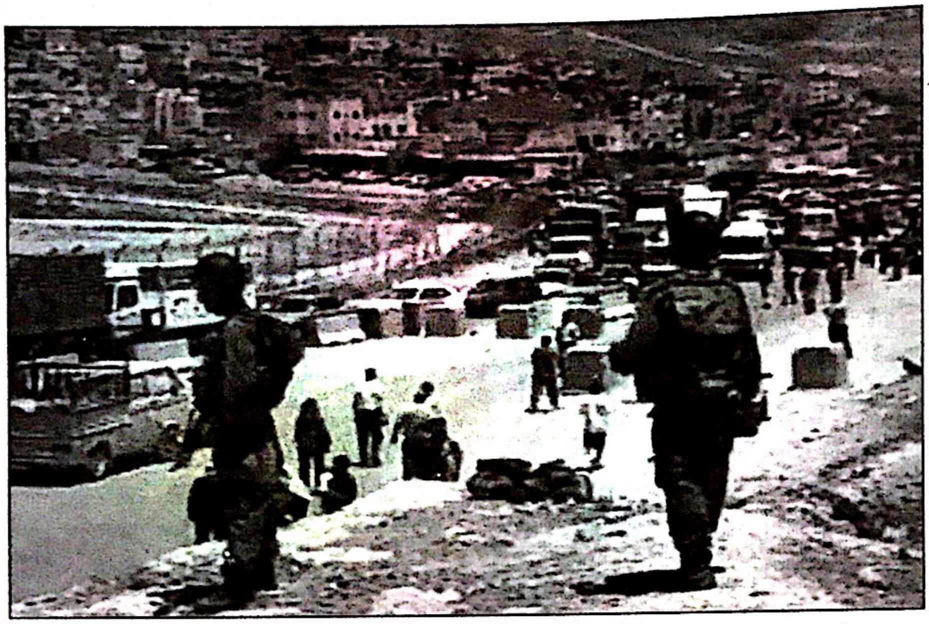
لقد تعاملت الورقة مع احتمال واحد هو انتصار الانتفاضة، ولا أدري كيف لمجلة «الهدف» أن تستبعد الخيار الآخر.

لاشك في أن انتصار الانتفاضة سيؤسس لعهد عربي جديد، بعد أن تأكد مدى تبعية الحكام العرب ـ بتفاوت طبعاً ـ للسيد الأمريكي القابع في البيت الأبيض. حتى تحول دور «دول الطوق» إلى خانق للانتفاضة، حام للكيان الصهيوني، عبر قمع مختلف مظاهر التضامن الشعبي مع الانتفاضة، والملاحقة والبطش بكل من حاول توصيل السلاح إليها، وتعزيز التأرجح لدى بعض صناع القرار الفلسطينيين، بل محاولة حكام عرب تحويل هذا التأرجح إلى استسلام لإرادة العدو، عبر تعزيز دور «اللوبي الأمريكي ـ الصهيوني».

لم يكتف الحكام العرب بكل ما اقترفوه في حق الانتفاضة، بل زادوا عليه بأن أسهموا بدور كبير في محاولات تزييف وعي الشارع العربي، عبر تكريس صورة «الراعي الأمريكي»، وبذل قصارى الجهد لمحاولة «تبصيره بما يجري ضد الشعب الفلسطيني»! وكأن السيد الأمريكي لا يعلم تفاصيل أكثر، أو لا يقف وراء هذا كله. وكأن الصواريخ والبوارج والطائرات والدبابات الأمريكية الصنع، ومعها المساندة السياسية المطلقة، والدعم الاقتصادي غير المحدود للكيان الصهيوني، لم تكفِ الحكام العرب دليلاً على مدى متانة العلاقة العنصرية بين الإمبريالية الأمريكية والكيان الصهيوني.

لذا أجد نفسي مضطراً للاعتذار عن المضي في الإجابة، مكتفياً بالإشارة إلى شروط انتصار الانتفاضة، حتى لا نسبح في بحر من الأوهام، أو نشيد قصوراً على الرمال، وحتى نبدأ من نقطة صحيحة، أو نسحب الحلقة الرئيسية، وهي الوحدة الوطنية الحقيقية والفاعلة، التي لا تزال غائبة عن الانتفاضة. برغم مرور سنة على اندلاعها. أما ما تحقق من هذه الوحدة فليس أكثر من «علاقة مستريحة بين الفصائل» بكلمات قائد يساري فلسطيني، أثق في تقديره للأمور. أما دأب مندوبي الفصائل الثلاثة عشرة على التوقيع على بيانات الانتفاضة، ثم الذهاب «للنوم في الطراوة»، فلا يمت للوحدة الوطنية بصلة. ذلك أن الوحدة الوطنية تتطلب ـ كما هو معروف ـ وحدة كل الفصائل والأحزاب الفلسطينية الفاعلة، لتضرب عن قوس واحد، عبر مؤسسة تحالف، تمتلك سكرتارية، لتيسير العمل اليومي للتحالف، والتنسيق بين مختلف أنشطته، ومتابعة التكليفات الموكلة لأعضائه، تحكم هذا كله لائحة داخلية. والأهم أن تنبثق عن مؤسسة التحالف هذه قيادة جماعية، لصنع القرار السياسي الفلسطيني، قادرة على اجتراح استراتيجيه للمقاومة طويلة النفس، وتعمل على كنس الفاسدين والمتعاملين داخل السلطة وخارجها. أما الدعم العربي فضمن الشروط الذاتية، ويجب أن يتعدى منطق الصدقة، إلى الدعم العسكري والسياسي، والاقتصادي.

لعل من نافلة القول إن مثل هذه الوحدة ستحسم الأمر لصالح اتجاه المواجهة في قمة الانتفاضة، على حساب اتجاه مهاودة الإحتلال، الذي لا يرى جدوى في الانتفاضة، بل الجدوى ـ برأيه ـ في التواكل على الإدارة الأمريكية، التي يعترف المهاودون بتحيز هذه الإدارة للكيان الصهيوني، وهو التحيز الذي سيستمر عقوداً وعقود. فيما ستحسم تلك الوحدة الوطنية تردد الاتجاه المتأرجح، لصالح المواجهة. وإلا فستعقد راية النصر للمهاودين، بعد أن يكونوا قد استقطبوا المتأرجحين، وألحقوا الهزيمة باتجاه المواجهة مع العدو، مما يسلم الشعب الفلسطيني والأمة العربية إلى نكسة خطيرة ومديدة، لا يعلم إلا الله مداها.



قد يقول قائل إن ثمة فرد واحد يقف حجر عثرة دون تحقيق الوحدة الوطنية. وهذا صحيح ومنطقي في آن. على أنه لم يحدث أن شخصاً منح سلطة مطلقة، وتنازل عنها طواعية، أو رحب بمن يشاركه في هذه السلطة، إلا إذا فرض الآخرون أنفسهم على المستأثر بالقرار، بقوة حضورهم في ميدان الكفاح. وقديماً قالوا: «يا فرعون مين فرعنك؟!». رد فرعون من فوره: «لم أجد من يردني!». وعليه فإن قيام وحدة وطنية حقيقية في الميدان من شأنها أن تفرض نفسها على مستوى صنع القرار، بل إن مركز صنع هذا القرار قد ينتقل إلى الفصائل المتحدة. أي أن مجموع الفصائل ليس بريئاً من تأخر التئام الوحدة الوطنية، أو امتداد الاستئثار بالقرار الفلسطيني، حتى اليوم.

بعد ذلك فحسب، يمكن إعادة تنظيم صفوف الشعب الفلسطيني، وقواه الحية، بعد تطهير تلك الصفوف من المتعاونين والفاسدين، في السلطة وخارجها.

وبعد، فسنكون كمن يبيع سمكاً في ماء، إذا ما تحدثنا عن التأثيرات الإيجابية العميقة للانتفاضة داخل الوطن العربي، على المستويين التكتيكي والاستراتيجي والله من وراء القصد ■■

المستوطنون في الأراضي المحتلة

البنية والاتجاه السياسي

أحمد جابر

يقوم الكيان الصهيوني منذ بدايات تأسيسه على ركائز متعددة أهمها ركيزة الاستيطان القائمة على فكرة استجلاب اليهود من كل أنحاء العالم وزرعهم في فلسطين على حساب الشعب الفلسطيني الذي خُطِّطَ له أن يطرد من أرضه في محاولة لترسيخ المقولة الكاذبة بأن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض.

وإذا كان الاستيطان اليهودي قبل ١٩٤٨، قد مثل أهمية قصوى في إقامة الكيان الصهيوني عبر طرد أكثر من ٨٠٠ ألف فلسطيني، في ذلك الوقت (ناهزوا الآن ٤،٥ مليون لاجئ) من ديارهم وتشريدهم خارج وطنهم، إلا أن أهمية الاستيطان والدور الذي يلعبه المستوطنون قد ازدادت بصورة ملحوظة بعد الاحتلال الإسرائيلي لما تبقى من فلسطين عام ١٩٦٧ عبر احتلال الضفة الغربية بكاملها وقطاع غزة والقدس، إضافة للجولان وسيناء.

وقد شكل احتلال ١٩٦٧ نقطة تحول تاريخية في مسيرة استكمال المشروع الصهيوني حيث شكل هذا الاحتلال التقاء دولة إسرائيل بـ «أرض إسرائيل» حسب وجهة نظر الحركة الصهيونية في إطار الشرعية الدينية لدولة إسرائيل عبر عودة اليهود إلى الأرض الموعودة في «يهودا والسامرة» حسب تحليل عزمي بشارة ومن هنا سعت إسرائيل لترسيخ الاستيطان وزرع أكبر عدد ممكن من المستوطنين في أنحاء الضفة وغزة خصوصاً في القدس التي حظيت بمكانة هامة في التفكير الاستيطاني الصهيوني.

وقد لعب المستوطنون أدواراً متعددة في مسيرة الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي وجغرافياً واقتصادياً وأمنياً وسياسياً وعسكرياً على حد سواء.

يهدف هذا العمل إلى إلقاء الضوء على البنى الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمستوطنين في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ومن جهة أخرى تبيان الدور الذي يلعبونه في الحرب الهمجية التي تشنها دولة إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني منذ عام ١٩٦٧ وحتى اليوم.

وبشكل عام فقد جاء في تقرير جماعة السلام الآن الإسرائيلية (الاحتلال خلال سنوات أوسلو) بتاريخ ٢٠٠٠/١٢/٣ بأن هناك ما يقارب مائتي ألف مستوطن إسرائيلي يعيشون في ١٤٥ مستوطنة في الضفة الغربية وقطاع غزة وهناك ٢٠٠ ألف مستوطن يعيشون في الجزء الشرقي المحتل من مدينة القدس.

ويعيش ما يقارب نصف المستوطنين في مستوطنات كبيرة أصبحت مدناً مثل معاليه أدوميم وأرييئيل وجفعات زئيف وكريات أربع وبقية المستوطنات الصغيرة التي يسكن في كل منها ما لا يزيد عن ١٠٠٠ مستوطن.

ولاحظ التقرير أن المستوطنين ليسوا في مجملهم مجموعة متجانسة ومعظمهم ليسوا متدينين ولا هم بالضرورة وطنيون.

وفي ٢٠٠٠/١٢/٨ نشرت يديعوت احرونوت استطلاعاً للرأي بين أن عدداً كبيراً من الإسرائيليون لا يعرفون شيئاً أو يعرفون القليل من المستوطنات. ومن بين كل ١٠ قام ٦ بزيارة إلى مستوطنة بسبب الخدمة العسكرية على الأغلب و٣ منهم كسائحين و٢ لزيارة أقارب أو معارف.

وتبين أن ٢٦٪ من الإسرائيليين لهم أقارب في المستوطنات و٨٢٪ لا يعرفون أين تقع كريات أربع.

نتائج وتحليل استطلاعات رأي المستوطنين حول قضايا متعددة:

نستند في تحليل بنية المستوطنين إلى ثلاثة استطلاعات للرأي نفذت أعوام ١٩٩٥ و١٩٩٧ و١٩٩٩، وقد اشرفت على هذه الاستطلاعات دائرة التحليل الاستراتيجي في مركز البحوث والدراسات الفلسطينية ضمن مشروع (مفاوضات الوضع الدائم: المستوطنات) والذي تنفذه الدائرة بالتعاون مع مؤسسة بولينغ الإسرائيلية ومركز موداعيم إزراعي ومركز بيسان للدراسات الاستراتيجية في جامعة بارايلان في تل أبيب. ونشرت نتائج البحوث في أعوام ٩٦ و٩٨ و٢٠٠٠ على التوالي.

الاستطلاع الأول أجري في عهد حكومة رابين والثاني في عهد نتنياهو والثالث جرى بعد خمسة شهور من تسلم باراك للحكم، وسنرصد التغيرات التي طرأت على التركيبة السكانية للمستوطنين بمختلف المستويات.

كشفت العينة أن ٤٩،٨٪ من المستوطنين أعمارهم تقل عن ٣٤ عاماً عام ١٩٩٩ مقارنة بـ ٥١،٨٪ و٥٦،٧٪ لعامي ٩٥-٩٧ على التوالي مما يعكس تناقضاً ملحوظاً في هذه العينة.

بينما كشفت أن ٤٠،٥٪ أعمارهم ما بين ٣٥-٤٠ عام ٩٩ مقابل ٤٢،٢٪ و٣٦،٥٪ لعامي ٩٥ و٩٧ على التوالي.

وكشفت أن ٩،٧٪ تزيد أعمارهم على ٥٥ عاماً عام ٩٩ مقابل ٥،٩٪ و٦،٧٪ عامي ٩٥ و٩٧ على التوالي أيضاً.

المستوى العلمي:

لوحظ أن معظم المستوطنين هم مُن نوي التعليم العالي فحوالي ٣٢،٦٪ منهم يحملون شهادات جامعية أولى وأعلى عام ١٩٩٩ مقابل ٢٧،٤٪ و٢٤،٣٪ لعامي ٩٥ و٩٧ على التوالي وتقل نسبة ذوي التعليم الهامشي (اعدادي وابتدائي وأقل) عن ٦،٤٪ عام ٩٩ مقابل ٨،٥٪ و٧،٥٪ لعامي ٩٥ و٩٧ على التوالي. وتنعدم الأمية تماماً.

الدخل:

يبلغ الدخل المتوسط في إسرائيل حوالي ٤٦٠٠ شيكل سنة ١٩٩٥ و٥٢٠٠ش عام ١٩٩٧ و٦٨٠٠ش عام ١٩٩٩.

ويلاحظ أن ٥٨٪ من المستوطنين بلغ دخلهم المتوسط وأقل عام ١٩٩٩ مقابل ٤٨،٥٪ و٤٩،٤٪ لعامي ٩٥ و٩٧ على التوالي.

الجنس:

عكست العينة أن ٤٧،٦٪ من المستوطنين من الذكور عام ١٩٩٩ مقابل ٤٧،٨٪ و٤٨،٩٪ لعامي ٩٥ و٩٧ على التوالي.

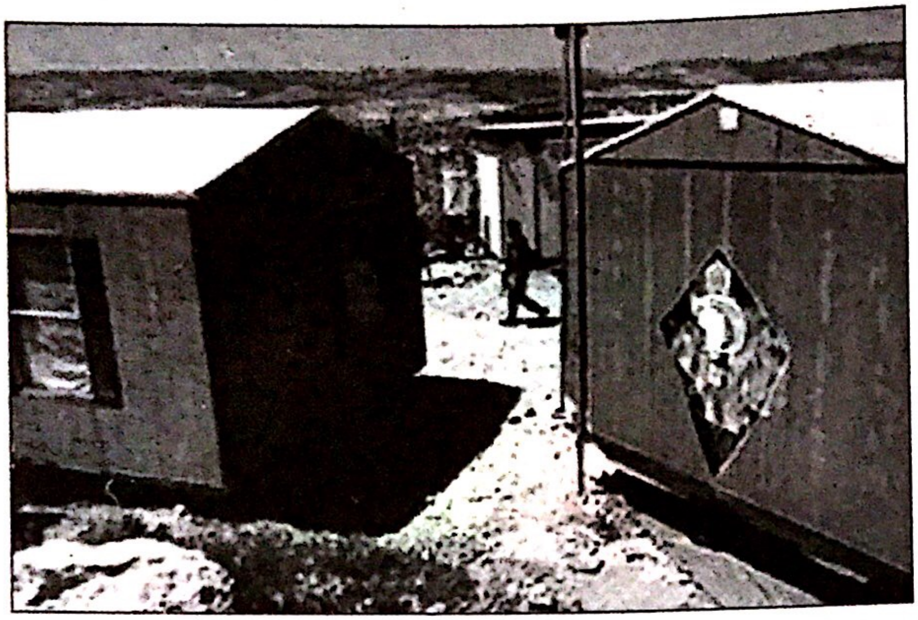
أما الإناث فـ ٥٢،٤٪ عام ١٩٩٩ مقابل ٥٢،٢ و٥١،١ لعامي ٩٥ و٩٧ على التوالي.

سنة الهجرة إلى إسرائيل:

يلاحظ أن أغلب المستوطنين ٧٨٪ منهم هاجروا إلى إسرائيل قبل ١٩٨٨ اي قبل الهجرة الروسية التي تصاعدت ذلك العام مما يعكس قلة التوجه الاستيطاني في المناطق من قبل الروس ويعكس أن معظم المستوطنين هم من القدامى في إسرائيل.

التوجهات الدينية:

ينقسم المستوطنون من هذه الناحية إلى



أربع مجموعات:

- ٥٢،٤٪ منهم متدينون فعلياً (متدينون أرثوذكس) ومتشددين (أرثوذكس حريدين) عام ١٩٩٩ مقابل ٤٥،٤ و٤٤٪ عامي ٩٥ و٩٧ على التوالي.

بينما كان ١٦،٢٪ من التقليدين عام ١٩٩٩ مقابل ٢٥،٥٪ و٢٢،٥٪ لعامي ٩٥ و٩٧ على التوالي.

و٣١،٤٪ علمانيين عام ١٩٩٩ مقابل ٣٣،٩٪ و٣٣،٢٪ لعامي ٩٥ و٩٧ على التوالي.

مكان العمل:

كشف الاستطلاع أن ٣٤،٧٪ من المستوطنين يعملون داخل إسرائيل لعام ١٩٩٩ مقابل ٣٧،٦٪ و٣٥،٨٪ لعامي ١٩٩٥ و١٩٩٧ على التوالي.

وهناك ٤١،٦٪ يعملون في الضفة عام ١٩٩٩ مقابل ٣٩،٧٪ و٣٦٪ لعامي ٩٥ و٩٧ على التوالي.

بيت داخل إسرائيل

يتبين أن ٢٥،٩٪ عام ١٩٩٩ تمتلك عائلاتهم بيتاً داخل إسرائيل مقابل ٢٠٪ و٢٩،٥٪ لعامي ٩٥ و٩٧ على التوالي.

مقابل ٧٤،١٪ لا يملكون بيتاً داخل إسرائيل مقارنة بـ ٨٠٪ و٧٠،٥٪ لعامي ٩٥ و٩٧ على التوالي.

الدوافع للسكن في الضفة:

تبرز دوافع متعددة للمستوطنين للإقامة في المناطق المحتلة تتنوع هذه الدوافع ما بين أيديولوجية ودينية وقومية وأمنية واقتصادية واجتماعية.

وقد سجل ٣٧،٨٪ من المستوطنين عام ١٩٩٥ أسباب سكنهم في الضفة باعتبارات اقتصادية، وارتفعت النسبة إلى ٤٢،٤٪ و٤٦،٤٪ عامي ٩٧ و١٩٩٩ على التوالي. ويعود ذلك لرخص أسعار البيوت المقامة في المستوطنات وللحوافز المالية التي تقدمها الحكومة لإقامة هذه البيوت وللمستوطنين، وأصحاب هذه الدوافع يسكنون عادة في مستوطنات تقع قرب القدس أو على طول الخط الأخضر.

أما الاعتبارات الدينية والأمنية فتحتل مكانة هامشية مقارنة بباقي الأسباب مجتمعة حيث وصلت عام ١٩٩٩ إلى ٣١،١٪ وهي تقل بكثير عن الأسباب الاقتصادية وحدها يأخذها معيار مقارنة وحيد.

ويستند اليهود المتدينون والقوميون في استيطانهم على القناعة والإيمان بالحق التاريخي والديني لليهود، فهم يدّعون أن الضفة الغربية جاء ذكرها في الإنجيل اليهودي كيهودا والسامرة، فهي ذات مغزى ديني لهم وتعتبر جزءاً من أرض إسرائيل القديمة كما ورد في التوراة.

ومن وجهة نظر الجناح الحاخامي اليميني في إسرائيل فإن القانون اليهودي يحرم التفريط بأي جزء من أرض إسرائيل الموعودة، وقد صرح روني زالمان رئيس لجنة الحاخامات ليهودا والسامرة وقطاع غزة بأنه لا يمكن أن يكون هناك جدل واختلاف بأنه من الأمثل أن يتم استيطان جميع أرض إسرائيل من قبل اليهود فقط من [تقرير عن الاستيطان في الأراضي المحتلة/ مارس ١٩٩٤].

وهذه اللجنة قد قدمت اعتراضاً قبل عام من توقيع أوسلو أكدت فيه بأنه تم بالفعل التشريع من قبل حاخامنا طيب الذكر تزيو يهودا كوك بأن أي قرار سواء كان قراراً يهودياً أو غير يهودي ويهدف إلى انتزاع أي جزء من أرضنا هو قرار غير شرعي لتعارضه مع إرادة الرب التي ستنتصر في النهاية! وأي استثناء لذلك بهدف صنع السلام مع الفلسطينيين الذين تم تسميتهم هنا ـ بحيوانات بأشكال بشر ـ هو وهم من الشيطان.. [تقرير مارس ١٩٩٤].

ويقوم المستوطنون المتدينون والقوميون ببناء مساكنهم في مناطق إسرائيل الكبرى من أجل ضمان عدم نقل أي جزء إلى أي سلطة بديلة.

وحركة غوش إيمونيم (مجمع الإيمان) هي الحركة الأكثر شهرة والتي تمثل هذه الشريحة الأكثر تعصباً من المستوطنين، وهذه الحركة التي تأسست عام ١٩٧٤ لتضم عدداً من اليهود المتدينين المنتمين إلى الصهيونية الدينية وهي أحد تيارات الحركة الصهيونية المؤمنة بأن الإخضاع الإسرائيلي للأراضي المحتلة هو مؤشر لبداية ظهور عصر العودة للمسيا، وإن استمرار سيطرة إسرائيل على هذه المناطق سيعجل من ظهور المسيا وهذه الحركة لعبت دوراً هاماً في صعود الليكود للسلطة عام ١٩٧٧ وعملت دائماً كقوة ضاغطة للمستوطنين وكوسيلة للضغط تقوم ببناء المستوطنات بدون انتظار التفويض أو التصريح الحكومي.

الموقف من عملية السلام:

يلاحظ ١٥،٩٪ و١٣،٨٪ و١٢،٧٪ في السنوات ٩٥ و٩٧ و٩٩ على التوالي إمكانية تحسن العلاقة مع الفلسطينيين بعد عملية السلام.

بينما رأى ٣٦،٤٪ و٤٠،٥٪ و٣٥،٧٪ للسنوات نفسها بأن العلاقة ستسوء

ورأى ٣١،٧٪ و٣٣٪ و٣٧،٦٪ على التوالي بأنه لن يحدث تغير ولم يرد ١٦٪ و١٢،٧٪ و١٤٪ لنفس السنوات ٩٥ و٩٧ و٩٩ على التوالي وتعكس الأرقام النظرة المتشائمة تجاه العلاقة مع الفلسطينيين حيث رأى ٧٣،٣٪ عام ١٩٩٩ بأن العلاقات ستسوء أم لن تتغير.

من جهة أخرى وحول الاستعداد لترك المستوطنة في حالة تعويض عادل من الحكومة أجاب بـ نعم ٢٩،٥٪ ز٢٢،٦٪ ز٢٥،٣٪ للسنوات المبحوثة على التوالي وأجاب بـ لا ٥٧،٥٪ و٦٦،٩٪ ز٧٠،٧٪ للسنوات نفسها ولم يحر رداً ١٣٪ و١٠،٥٪ و٤٪ على التوالي مما يعكس تشدد آخر في البقاء في المستوطنات.

وحول الاستعداد للعيش في المستوطنة كمواطن إسرائيلي تحت السيادة الفلسطينية وافق ١٥،٧٪ و١٧،٣٪ و١٩،٧٪ للسنوات ٩٥ و٩٧ و٩٩ على التوالي ورفض ٧١،٤٪ و٦٩،٣٪ و٦٧،٣٪ لنفس السنوات على التوالي أيضاً. ولم يقرر بعد ١٢،٩٪ و١٣،٤٪ و١٣٪ على التوالي.

وحول الاستعداد للنظر بعرض تجاري

معقول من فلسطينيين لشراء البيت أو العمل في المستوطنة أجاب بـ نعم ١٥,٣٪ و١٢,٨٪ و١٢٪ للسنوات المبحوثة على التوالي وأجاب بـ لا ٧١,٦٪ و٧٩,١٪ و٨٣,١٪ لنفس السنوات. ولم يحدد ١٣,١٪ و٨,١٪ و٤,٩٪ للسنوات ذاتها.

ورفض ٧٦,٢٪ قبول فلسطينيين للعيش بجانبه في المستوطنة ووافق ٢٣,٢٪ لعام ١٩٩٩ وفي عام ١٩٩٩ صرح ٤٨,٩٪ برفض أي قرار حكومي لإخلاء المستوطنات في أي ظرف ووافق ١٢,٢٪ حتى في حال اتخاذ القرار بأغلبية يهودية عادية، ووافق ١١,٢٪ حتى لو كان القرار متخذاً باحتساب الأصوات العربية في الكنيست ولم يحدد ٧,٧٪.

وقال ١٣,٩٪ عام ١٩٩٩ انهم مستعدون لحمل السلاح ضد الحكومة لمقاومة الإخلاء ورفض ذلك ٧٩,١٪ ولم يحددوا موقفهم ٧٪.

وعارض ٧٩,١٪ أي مواجهة مع الجيش للإخلاء ودعا ٨,٢٪ لمواجهات كلامية فقط ودعا ٦,٨٪ لمواجهات جسدية سلمية و٢٪ لمواجهة نشطة ولم يحدد ٣,٣٪ والأرقام هي لعام ١٩٩٩.

وحول الاتجاهات السياسية للمستوطنين:

صرح ١٨٪ أنهم صوتوا لباراك في الانتخابات ١٩٩٩ و٧١,٨٪ لنتنياهو و١,٣ لم يصوتوا.

وصوت ٢٣,٥٪ لليكود و١٣,١٪ لموليدت و٠,٦٪ لتسومت و٩,٢٪ لإسرائيل واحد و٠,٨٪ لميرتس و٢٪ لحزب المركز و٠,٤٪ للطريق الثالث و١٪ لإسرائيل بعليا و١١,٦٪ و٦٪ ليهوديت هاتورا و٨٪ لشاس و٣,٦٪ ليشنوي و٦,٨٪ لم يصوتوا و١٣,٤٪ لأحزاب أخرى.

الوضع القانوني والممارسات:

يعتبر المستوطنون وفقاً للقانون الإسرائيلي أفراداً مقيمين في إسرائيل وهذا الإجراء هو محض قانوني وليس تشريعي كون إسرائيل لم تضم الضفة والقطاع وهؤلاء بالتالي يخضعون للمساءلة أمام المحاكم الإسرائيلية التي عادةً ما تنظر في حالة الجرائم ضد المستوطنين قد ينظر فيها أيضاً من قبل محاكم المستوطنات وفي حالات نادرة من قبل المحاكم العسكرية الإسرائيلية.

ونظرياً فإن للمحاكم المحلية الفلسطينية سلطة على جميع الأشخاص المتواجدين في الأراضي المحتلة ولكن عملياً لا تملك هذه المحاكم القدرة لاتخاذ أي إجراء قانوني ضد أي مستوطن يهودي يرتكب أي جريمة ضد الفلسطينيين.

الممارسات الاستيطانية ضد الفلسطينيين:

يتجلى العنف كسمة أساسية لعلاقة المستوطنين بالفلسطينيين، ومع ثقتهم بعدم تعرضهم للعقاب من السلطات الإسرائيلية فإن المستوطنين في العادة يقومون باعتداءات منظمة وعشوائية فيحرقون ويدمرون الممتلكات والمحاصيل، ويداهمون القرى ويغلقون الطرق ويطلقون النار بدون مبرر.

ويخدم معظم المستوطنين في جيش الدفاع النظامي أو الاحتياط ويحصلون من الجيش على تجهيزات دفاعية مثل بنادق الـ م١٦ وعوزي وأسلحة قناصة، وهم ملزمون بتادية الخدمة حيث يقيمون وفقاً لتنظيمات الدفاع الذاتي التي سنت عام ١٩٧٣.

ووفقاً للأمر العسكري رقم ٨٩٨ الصادر في مارس عام ١٩٨١ فإن المستوطنين يحق لهم إيقاف أي فلسطيني والتحقق من هويته واعتقاله في حالة أي شك. وللمستوطنين شبكة دفاع إقليمية خاصة بهم إلى جانب وحدات عسكرية تعمل بأوامرهم وهناك تنسيق مع الجيش.

وتاريخ العنف الاستيطاني ضد الفلسطينيين تاريخ طويل موغل في دمويته، ففي يونيو ١٩٨٠ قامت مجموعة سرية من المتطرفين اليهود عرفت بأسم مجموعة الإرهاب اليهودية ماحتريت (العالم السفلي) وضمت في صفوفها أعضاء من غوش إيمونيم وضباط احتياط من الجيش بتفجير سيارات ثلاث من رؤساء البلديات في الضفة وهم بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس الذي فقد رجليه ورئيس بلدية رام الله كريم خلف الذي أصيب بجراح بليغة وإبراهيم الطويل رئيس بلدية الخليل، وقتلوا عدداً من الطلبة الفلسطينيين أثناء هجوم على كلية الشريعة في جامعة الخليل في يناير ١٩٨٣.

كما قاموا بوضع عبوات ناسفة في باصات القدس الشرقية وخططوا لتفجير قبة الصخرة وكشف النقاب عن وجود هذه الشبكة في مايو ١٩٨٤.

وقامت منظمة إرهابية أخرى تدعى ت.ن.ت TNT بالتخطيط لتفجير ثلاثة كنائس ومساجد في القدس وفتحت النار على باص فلسطيني.

وبعد أوسلو في ٢٥ فبراير ١٩٩٤ قام باروخ غولديشتاين وهو مستوطن في كريات أربع قرب الخليل بفتح النار على المصلين في الحرم الإبراهيمي وقتل ٢٩ فلسطينياً وفي ٢٧ اكتوبر ١٩٩٦ قام ناحوم كورمان وهو مستوطن وضابط أمن للمستعمرة المجاورة لقرية حوسان بالدخول إلى القرية وضرب الطفل حلمي شوشة (١٠ سنوات) بوحشية حتى الموت وفي ١ يناير ١٩٩٧ قام جندي من القوات النظامية وبمساعدة مستوطن آخر بفتح النار على الفلسطينيين في سوق الخليل المركزي وأصابوا ثمانية بجروح خطيرة.

وصرح المستوطن المذكور وهو ناعوم فريدمان بأنه ليس إنسان ويريد قتل العرب. بالنسبة للحكومة الإسرائيلية فهي تقف عادة موقفاً سلبياً ولا تتخذ أي إجراءات ضد المستوطنين من مرتكبي أعمال العنف ضد الفلسطينيين وفي حالات نادرة فقط، ثم تقديم المستوطنين المسؤولين عن هذه الجرائم للمحاكمة وغالباً ما تصدر بحقهم أحكام مخففة للغاية بل مثيرة للسخرية السوداء.

ولغرض التحقيق في ممارسات المستوطنين فإن الحكومة الإسرائيلية قامت في ابريل ١٩٨١ بتشكيل لجنة تحقيق وقدمت اللجنة تقريرها المعروف باسم (تقرير كارب) وأكدت فيه أن معظم حالات مهاجمة الفلسطينيين من قبل المستوطنين تنظر بها المحاكم الإسرائيلية ولا يحاسب المسؤول عنها عادة وتسقط الحالة بعد إجراء تحقيق شكلي غير دقيق.

وعبر فحصها لـ ٧٠ ملفاً وجدت اللجنة أن ٥٣ ملف تم حفظها في مكتب تحقيقات الشرطة الإسرائيلية واستنتجت أن الشرطة فشلت في التحقيق في حالات متعددة وأن التحقيقات في بعض الحالات تمت وبشكل مقصود ببطء وبطريقة شكلية وأشارت اللجنة أن المستوطنين وبشكل منتظم يرفضون التعاون مع الشرطة للتحقيق في قضايا الاعتداء أو ممارسة العنف ضد الفلسطينيين.

المستوطنون والانتفاضة

رغم أن عنف المستوطنين ليس أمراً جديداً إلا أنه تزايد بشكل كبير خلال انتفاضة الأقصى فمنذ بداية الانتفاضة بتاريخ ٢٠٠٠/٩/٢٨ سقط أكثر من عشرين فلسطينياً وربما أكثر على ايدي المستوطنين الإسرائيليين وجرح ٥٠ على الأقل بنيران المستوطنين وتم الاعتداء على العشرات بالضرب المبرح وهذه الأرقام رغم أنها هامشية مقارنة بما فعله الجيش الإسرائيلي إلا أنها ذات دلالة بالغة على تفاقم مشكلة الاستيطان ومؤشر يؤكد أن عنف المستوطنين يشكل مشكلة بالغة الخطورة في الأراضي الفلسطينية، ويحتاج دور المستوطنين وتصاعد هذا الدور أثناء الانتفاضة بحثاً خاصاً ربما تساعد الظروف على إنجازه ■■

(*) تم الحصول على المعلومات الرقمية لهذا المقال من:

١- نتائج الاستطلاع رقم ١-٢-٣ لأعوام ٩٥ و٩٧ و٩٩ على التوالي، للرأي العام بين المستوطنين وقطاع غزة حول مستقبل المستوطنات الإسرائيلية (مركز الدراسات والبحوث الفلسطينية - نابلس).

٢- التقرير الشامل للاستيطان الإسرائيلي في قطاع غزة حتى نهاية ١٩٩٩ الصادر عن المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان.

٣- تقرير المجموعة الفلسطينية لمراقبة حقوق الإنسان لعام ٢٠٠٠.

ثقافة وفنون

إنها ثقافة المقاومة
ضد إرهاب الدولة المنظم!

ربما من الصعب، على العقل الغربي، أن يستوعب حجم القهر المتراكم في النفوس، الذي جعل عشرات الآلاف من الفلسطينيين، يندفعون بغضب كرجل واحد، يوم ٢٩ أيلول/ سبتمبر العام الماضي، للرّد على الإهانة التي وجّهها لهم آنذاك مجرم الحرب الصهيوني آرييل شارون، الذي دنّس على مرأى العالم ومسمعه الحرم القدسي الشريف في اليوم السابق لهذا التاريخ.. وربما يصبح الأمر اكثر تعقيداً، وانغلاقاً أمام هذا العقل الذي يقف مشدوهاً، غير قادر على تفسير أسباب هذا الزخم المتواصل، الذي يجعل شعباً أعزل، محاصراً، برجاله ونسائه، وأطفاله يواصل انتفاضته على نحوٍ غير مسبوق في التاريخ، رغم الإرهاب الأسود لـ «الإف 16» و«الأباتشي» التي مزقت الأجساد، وطالت باغتيالها الجبان رؤوساً وقيادات فلسطينية تاريخية.

حوالي سبعمائة شهيد، وعشرات الآلاف من الجرحى، إضافة إلى سياسة الحصر، وتقطيع الأوصال، وهدم المنازل، والتجويع.. باستخدام آلة القمع العسكرية الضخمة (من صنع امريكي).. لم تستطع كسر إرادة الشعب الفلسطيني وتطويعه وفرض الهزيمة عليه.

إنها ثقافة المقاومة الوطنية المشروعة في مواجهة كيان استيطاني عنصري، اقتلاعي، مدجّج بالأسلحة الفتاكة، ويمارس إرهاب الدولة المنظم، إنها مقاومة شعب يتطلع إلى الحرية والاستقلال، وصمّم على نحوٍ قاطع على كنس الاحتلال، وهذا الأمر يختلف جوهرياً عن المحاولات الإسرائيلية المشبوهة للصق تهمةَ «الإرهاب» على مقاومة شعبنا المشروعة.

إن الأمر شديد الوضوح، ولسنا في موقع الدفاع عن أنفسنا لندفع عنها تهمة «الإرهاب»، وعلى الولايات المتحدة.. والمجتمع الدولي أن يكفّا عن الكيل بمكيالين.. ويتمتّعا بالعقلانية اللازمة في النظر إلى قضايا الشعوب العادلة، إذا ما أرادا فعلاً محاربة الإرهاب واقتلاعه من جذوره، وأول الخطوات على هذا الطريق هو تعريف الإرهاب تعريفاً موضوعياً، غير منحاز، وفصله عن حق الشعوب المقهورة في المقاومة من أجل حريتها واستقلالها.

نحن كشعب فلسطيني ندين الإرهاب، لأننا أول ضحاياه.. بل نحن من أكثر شعوب العالم توقاً للحرية والسلام، ولأننا نحب الحياة، ونريد أن نعيشها بكرامة، فهل ينصفنا المجتمع الدولي ولو لمرة واحدة؟!

في الخطاب الثقافي بين انتفاضتين

نصار زواهرة

أن نكتب في الثقافة معناه الخوض في حقل متعدد الأبعاد والمفاجآت، فالثقافة ليست قراراً وإنما عملية اجتماعية يتداخل في سياقات حركتها الوعي والخبرة والتقاليد المتراكمة ومواقف الجماعات وممارستها العميقة. وكل هذا في حالة التفاعل مع الفضاء الثقافي التاريخي الذي يؤطرها.

عقد من الزمن يفصل ما بين الانتفاضة الفلسطينية الكبرى عام ٨٧، والانتفاضة الراهنة، يبدو هذا الفاصل الزمني وكأنه يقيم حالة قطع بينهما، بينما الواقع يشير إلى التداخل والتلاحم والتواصل الذي يستند إلى آلاف الخيوط والمسارب التي تشير وتعكس اهتمامات ومواقف ووعي الشعب الفلسطيني الذي يمارس الانتفاض ليؤكد أكثر من حق وأكثر من وجود مادي وليدافع عن أكثر من حقوق ومصالح جماعية وفردية.

بهذا المعنى يجب أن نعي المساحة الزمنية التي تفصل ما بين الانتفاضتين، بما هي مساحة عبرت في أنهارها وجداولها أحداث ومحاولات سياسية وأوهام وحقائق وصراع سياسي - اجتماعي - ثقافي، وتغيير حتى في طبيعة الجموع والأعمار.

نستطيع القول بأن الانتفاضة الأولى كانت تعكس التمرد الجماعي الفلسطيني على الاحتلال، هذا التمرد الذي نضج وتأسست شروطه وأدواته في سياق مقارعة الاحتلال والتي كان لطلائع القوى والأحزاب السياسية الدور الرئيس فيها في عقود ما قبل الانتفاضة، إلى جانب الدور الذي لعبه الشعب الفلسطيني في الشتات وخاصة حالة الكفاح المسلح التي خاضها بكل ما رافقها من وعي وخطاب سياسي وثقافي وقيم وعادات. ذلك التمرد الانتفاضي الشامل والهائل، جاء على خلفية شاملة من محاولات الاحتلال الإسرائيلي لتجويف وعي الجماعة الفلسطينية في الضفة والقطاع، عمليات التجويف تلك قامت على فصل الإنسان الفلسطيني عن انتمائه للأرض، وتحويله بالتدريج إلى مجرد عامل أو مجموعات من العبيد التي تكدح في مزارع السيد المحتل، وبما أن هذه العملية التي لعب فيها الاستيطان رأس الحربة، فإنها كانت بحاجة إلى عملية رديفة تقوم على تجويف الوعي وتشويه ثقافة المجتمع وتكريس حالة القهر الداخلي من خلال زرع الوهم بأن هزيمة أبدية كما أن انتصار الاحتلال هو شأن طبيعي للغاية.

ترافقت هذه السياسة مع عمليات تدمير منهجي للوعي عبر تعميم قيم الأنانية، وعدم الثقة بالذات، والتجهيل والسيطرة على مناهج التعليم، والاستلاب، وتنمية عقد النقص والشعور بالعار، والإحساس الدائم بالهزيمة، حتى قبل أن تبدأ المواجهة، أو قبل أن ينتهي غبار الصراع. هذه العمليات العميقة لم تكن تمضي وتفعل أو تؤثر هكذا ببساطة بل تمت مواجهتها بما هو متوفر من آليات الدفاع الذاتي الواعي أو غير الواعي، وذلك باستخدام أدوات الفعل الثقافي المتاحة: الأدب، الفن، إضافة لتعميم روح العمل التطوعي.

هنا جاءت الانتفاضة الأولى لتقيم تلك الجسور المذهلة ما بين الممارسة السياسية وأدواتها الثقافية وما بين الحركة الاجتماعية الشاملة التي فجرتها الانتفاضة، إضافة لما أثارته من اهتمام إعلامي كان من الضروري أن تقترب من اللغة الثقافية وأدوات التعبير الثقافي المتنوعة لتبني لذاتها في سياق الحركة، إطاراً ثقافياً يعطي لتلك الحركة الانتفاضية فضاءات ومناخات ثقافية متعددة الألوان والأبعاد مما يمنحها عمقاً ويحولها إلى ظاهرة شاملة ومتكاملة وليست مجرد رد فعل أو انفجار شعبي صدفي مؤقت.

ولهذا فإن الانتفاضة الكبرى وعبر صيروراتها، وبقدر ما شكلت رافعة سياسية وطرحت، شعار الحرية والاستقلال كشعار ناظم، فإنها وبذات الوقت قد أطلقت فعلاً ثقافياً في غاية التنوع والعمق الأمر الذي شكّل قوة دفع وتصويب للممارسة والوعي الاجتماعي المقاوم. بمعنى أن الانتفاضة تحولت إلى قوة ثقافية متصادمة مع محاولات التجويف والتشويه التي جهد الاحتلال على مدار عقود من أجل تكريسها وتحويلها إلى قوة تدمير ثقافي داخلي.

هذه الحقيقة وجدت بتعبيراتها في مجموعة واسعة من الممارسات الاجتماعية:

الاقتصاد المنزلي - التعليم الشعبي - انخفاض المهور - تراجع النزعات الاستهلاكية - العمل التطوعي - الثقة بالذات - احتضان عائلات وأبناء الشهداء - تنامي الشعور الجمعي بالقوة - تهاوي صورة الاحتلال كقوة لا تقهر - تقدم دور المرأة الكفاحي عبر مشاركتها الواسعة في المظاهرات والصدامات.

كما ترافقت مع ظواهر كفاحية وجدت غذاءها في هذه البيئة الثقافية الناهضة مثل (الاشتباك مع العدو المولوتوف كآلة عامة - المطاردين - الصمود في التحقيق) والتي لم تعد مجرد ظواهر نخبوية بل أصبحت ظواهر اجتماعية كفاحية.

بطبيعة الحال نحن نتحدث عن عملية حراك متعددة أفقياً وعمودياً دون أن نغفل بعض الظواهر السلبية المرافقة، لقد وجد المجتمع نفسه أمام حالة من ازدواجية السلطة ولكن دون توفر القدرة والإمكانية بحكم وجود الاحتلال وهيمنته بالمعنى العام على تحويل هذه الإزدواجية إلى حالة مقنعة بمرجعيات محددة وواضحة.

إذن كانت الانتفاضة الأولى بمثابة الصدمة الثقافية التي أيقظت وألهبت الوعي الجماعي، وكان من أبرز ترجماتها الثقافية حضور الوعي الاجتماعي فيها إلى جانب الوعي السياسي الوطني. المساحة الزمنية والمكانية ما بين الانتفاضة الأولى والانتفاضة الراهنة شهدت أحداث جدية عنوانها اتفاقات التسوية، ثم قيام السلطة الفلسطينية وانسحاب قوات الاحتلال من المدن الفلسطينية الكبرى.

هذه الأحداث ترافقت مع حالة تراجع في الحركة الشعبية، نتيجة الشعور بأن الأمور أصبحت خارج نطاق التأثير الشعبي، وأن القضايا الكبرى يجري التقرير بشأنها بعيداً في إطار مسارات التفاوض السرية والعلنية. في هذا السياق هبت رياح ثقافية محلياً وعربياً ودولياً: أخذت تروج للتسوية في إطار تفكك التحالفات دولياً، وهيمنة القوة الأمريكية وتمزق العالم العربي إثر الحرب الأطلسية ضد العراق. هنا يمكن القول أن نوعاً من ثقافة الوهم والتشويه أصبحت تعصف في الواقع، (الشرق الأوسط الجديد - النظام العالمي الجديد - أوهام السلام والرفاه - التطبيع - التعايش.. الخ).

هذا إضافة إلى انتشار منظمات غير حكومية ذات طابع ثقافي، حاولت زرع قيم الليبرالية الجديدة في المجتمع الفلسطيني سواء بوعي أو بغير وعي.

كل هذا وسواه من خطاب وممارسة دفع بالوعي الشعبي الذي أحدثته الانتفاضة الأولى إلى الركود والبهتان، وبدا وكان من السؤال الذي

يقول هل كان للانتفاضة وتضحياتها ما يبررها؟ سؤال معقول. وحقيقة الأمر أن لغة وخطاب (السلام) الموهوم كان يزرع أيضاً وعياً واهماً، ويشوّه وعياً متأصلاً، أي كان محاولة لفصل الخطاب الثقافي والسياسي عن الواقع الميداني المرعب الذي كان يتلخص في الانفصال بين الأوهام ودعاتها وبين ما يقوم به الاحتلال واقعياً. ففي الوقت الذي كان الحديث يتواتر عن حل سلمي، كان الاحتلال يرى في عملية السلم أداة ملائمة لفرض الاستسلام السياسي وتكريس إنجازاته التي حققها عبر العدوان والتوسيع والمجازر والحروب. بكلمة أخرى اعتبار عملية السلام كإعلان انتصار تاريخي للمشروع الصهيوني. هنا حصل الصدام بين سذاجة العقل السياسي الشرقي وصرامة المشروع الاستعماري الصهيوني في المنطقة.

وكانت لحظة الحقيقة، لحظة الصدام والاشتباك الدامي المتواصل منذ عشرة شهور فيما يعرف بانتفاضة الأقصى أو (القدس).

هذه الانتفاضة التي يمكن القول بأنها الرد العملي على الوهم ومحاولة لإعادة الأمور إلى نصابها، أو بكلمات أخرى محاولة للقول بالدم الفلسطيني نعم نريد السلم ولكن ليس هكذا؟!

مع اندلاع التمرد الفلسطيني الجديد استعاد الوعي الشعبي عافيته واستحضر مخزونه وذاكرته.

الانتفاضة الراهنة هي نوع من عودة الأصول ورد على ثقافة وخطاب التهافت الفلسطيني والعربي.

لقد راكمت الانتفاضة الأولى تداعياً هائلاً من الاحساس بالذات وكرامتها كمجموع وأفراد، وقد شهدت الجماعة الفلسطينية عبر سنوات أوسلو كيف حولت إسرائيل (عملية السلام) إلى عملية قتل معنوي للجماهير الفلسطينية! إضافة للاستباحة السياسية.

هذا التناقض العميق هو الذي أعطى للانتفاضة الراهنة أحد أهم أبعادها حضوراً، نقصد عنف المواجهة، فعند إحساس أي جماعة بأنها تعرضت للخداع أو أنها سمحت بأن تخدع فإنها في لحظة ما مستعدة لتفجير أي عاصفة تستعيد ذاتها، وتفرض مجدداً جدول أعمالها الذي هو في الأساس جدول الحد الأدنى في حالتنا الفلسطينية.

وبنظرة عامة على المشهد الثقافي الفلسطيني الذي تقاطع بصورة واضحة مع المشهد الثقافي العربي ندرك عمق الوضوح والنقد الذي حمله، بحيث أنه كنس كل مظاهر المهادنة والتطبيع والتسامح الساذج، وكأنه يقول لقد تركنا للساسة الفرصة فكانت النتيجة مزيداً من القهر ومزيداً من الإذلال. فكانت اللغة والخطاب الثقافي والسياسي الراهن نوعاً من جردة حساب لا تترك هامشاً لمزيد من (الهبل) السذاجة.

ليس هذا فحسب بل واستعاد الخطاب ذاته مجمل الرموز التي استحضرها من أعماق الذاكرة الشعبية إلى الدرجة التي باتت معها عبارة (لا مجال للسلام مع إسرائيل) لازمة في اي حديث سياسي.

والحقيقة أن الممارسة الإسرائيلية كشفت أيضاً عن مازق مستحكم في السياسة الاستراتيجية أساسه النظرة الاستشراقية الفوقية تجاه الشعب الفلسطيني والأمة العربية، الأمر الذي يشير إلى أن الاحتلال لم يدرك معاني وأبعاد الانتفاضة الأولى كبروفة كبرى لرفض الاحتلال ومقاومته مهما كان الثمن ومهما امتد الزمن.

ولهذا استل الاحتلال آلة حربه، عنصريته وفاشيته ليلقن هذا (الشرق الأوسط) درساً لن ينساه بحيث لا يعود يفكر برفع راسه مرة أخرى، بمعنى آخر هي ذات السياسة التي تحكم عقلية الحلف الأمريكي ـ البريطاني في مواصلة تأديب العراق.

الخطير في هذه القراءة أن العدو لا يدرك بأنه يدفع بالوعي الشعبي إلى نقطة اللاعودة، وبأنه بممارسته الدموية يستعيد اللغة ذاتها التي كان يتّهم الآخرين بأنهم يستخدمونها للإبادة، أي أنه يقوم بالإبادة ضد الشعب الفلسطيني، أو الاستسلام المطلق كخيار وحيد عن الاحتلال. وما دامت الأمور محكومة لهذه الأيديولوجية فإن الصراع مرشح للتصاعد.

من هنا كان الخطاب السياسي والثقافي الفلسطيني في الانتفاضة الراهنة نوعاً للحسم السياسي. إنه يواصل القطع مع الاحتلال، فكما قطع في الانتفاضة الأولى محاولات الاحتلال التي استهدفت التشويه والتجويف النفسي للشعب الفلسطيني على الصعيد الاجتماعي والنفسي فإنه يواصل التقدم لتكريس القطع على المستوى السياسي في الانتفاضة الراهنة.

هذه الزاوية تفسر لنا خلفيات رد الاحتلال الشامل الذي هيمنت على خطابات زعمائه وقواه المتنوعة مفردات لافتة للنظر من نوع: (الردع ـ حقل الشوك ـ الدفاع النشط ـ الباب الدوار).. الخ، ودهشة الاحتلال وجنونه العسكري يعكس صدمته الداخلية النفسية من قدرة الشعب الفلسطيني على الصمود والمقاومة وامتصاص واحتواء الضربات الإسرائيلية بما في ذلك سقوط مئات الشهداء، وعشرات آلاف الجرحى والحصار الجماعي الشامل.

يقابل هذه السياسة العنصرية الفوقية سياسة رفض فلسطيني شعبي عميق، وبأن الدم الإسرائيلي ليس أغلى من الدم الفلسطيني، وبأن الأمن الإسرائيلي يواجه الأمن الفلسطيني.

إذن الانتفاضة الراهنة دفعت بالصدام إلى مستويات أكثر تعقيداً بالمعنى السياسي والنفسي والثقافي.

لا يستطيع الإنسان أن يقول بأن مفاعيل الانتفاضة الراهنة قد اختمرت على المستوى الثقافي ولكنها بدون شك تسير باتجاه إعادة رسم الفضاء الثقافي لنضال الشعب الفلسطيني الذي سيعبر عن ذاته في لحظة ما، وبصورة متراكمة، بإبداعات ثقافية توازي وتتناغم مع حالة الوعي بالذات التي تحفرها الجموع المنتفضة.

فالمأساة الفلسطينية الراهنة بكل مراراتها يوازيها مستوى البطولة التي يبدعها الإنسان الفلسطيني انطلاقاً من أصغر أشكال المقاومة وصولاً لأرقاها وضوحاً وتأثيراً.

لقد ارتفع منسوب الوعي الشعبي وتعمد بالممارسة وبما أن العلاقة ما بين الثقافة والممارسة والوعي هي علاقة حبلى بالإبداع فإنها بالضرورة ستصل إلى لحظة الولادة التي تنعكس فيها كل أشكال وأدوات الثقافة تنوعاً.

المهم أن يدرك المثقفون هذه الجدلية وأن يعطوا للممارسة الثقافية حريتها وتحررها بحيث تستجيب وتنسجم مع المصلحة الشعبية العريضة. بشرط أن تمارس دورها لالتقاط أجنة الحركة في الوعي العام وتحولها إلى بانوراما ثقافية عميقة، ومبدعة وأن لا يتخلى المثقف عن دوره كنبي. تلتقط أذنه وقلمه وريشته وجسده ما لا تلتقطه الأذن العادية أو القلم العادي أو الريشة العادية. لكل هذا يجب الحذر حتى لا يتحول الخطاب الثقافي إلى خطاب عزيزي يقدس الرموز أكثر مما يقدس المضمون والهدف الذي هو الإنسان بهمه وقضاياه الكبرى والصغيرة. أستطيع القول أن الانتفاضة الراهنة قد وصلت بفعلها وصورها إلى كل بيت عربي، وشكلت بهذا المعنى مناسبة ليدلي أي هاو برأيه.

وتحولت مقاومة الفلسطيني ودمائه ومأساته وبطولته إلى عنوان لستر عري الذات العربية، فكيف يا ترى بالإمكان تخليص هذه القضية الكبرى والبطولة الكبرى من هذا التهافت، والارتقاء بالوعي والثقافة العربية إلى المستوى الذي يشكل الحاضنة وقوة البناء والتغيير الثقافي والاجتماعي والسياسي الذي هو شرط حاسم من شروط مواجهة خصم لا يدخر جهداً لحسم الصراع لصالحه.

هذا هو دور الثقافة، وخاصة المثقف الفلسطيني الذي يجب أن يعي دوره كمثقف عربي وعالمي يحمل قضية شعب وقضية إنسان!! ■■

في فعاليات "جرش" المهداة لفلسطين وانتفاضتها

أيقونة الشعر.. محمود درويش حاضراً.. في زواريب عكا... والجدارية!

خاص بـ "الهدف": ريم الخوري - عمان

في عامه العشرين. حيث يعتبر هذا العمر رمزاً للنشاط والابتكار - يبدو مهرجان جرش للثقافة والفنون الذي يقام في الأردن سنويا، كهلاً أكثر مما ينبغي، ويعود ذلك لجملة من الظروف الموضوعية الواقعة، ليس أولها الأوضاع السياسية السائدة في المنطقة العربية وعلى رأسها فلسطين بانتفاضتها وجراحها التي تزداد اتساعاً، وليس آخرها استلام الإدارة من قبل الشاعر جريس سماوي، والشعر مع العمل الإداري مسألة ذات خلاف، فالإدارة التي تتطلب الحزم والعملية تتناقض لحدٍ بعيد مع شفافية وخيال الشعر خاصة في مثل حالة الشاعر سماوي الشفاف بامتياز.. جرش هذا العام - المهرجان وليس المدينة التي ينوف عمرها عن الألفي سنة، بدا حتى لعارفيه ومتابعيه على مدى العشرين سنة الماضية أقل حيوية وزخماً، ولكنه أكثر انتقائية من الناحية الثقافية التي حرص المدير الجديد أن تصبغ فعاليات المهرجان وأيامه السبعة عشر.

افتتحت المهرجان الملكة نور الحسين رئيسة اللجنة الوطنية العليا لمهرجان جرش التي ترعى مؤسستها هذا المهرجان منذ انطلاقته إلى جانب مؤسسات إعلامية واقتصادية أخرى، وكالعادة يتم الافتتاح برفع راية المهرجان وإيقاد الشعلة في وسط ساحة جرش الرئيسية التي اختفت فعالياتها هذا العام واقتصرت الأنشطة على المسرحين الرئيسيين الشمالي والجنوبي للمدينة.

في الحقيقة، كانت الشعلة المضيئة للافتتاح أمسية الفنان السوري بشار زرقان الذي قدّم آخر أعماله الفنية لأول مرة «الجدارية» للشاعر محمود درويش الذي كان حاضراً في الأمسية وأبدى إعجابه بأداء بشار لشعره حيث رافقته المغنية اللبنانية سمر كموش، صدح بشار بصوته الدافئ الأقرب للترانيم بمقاطع شعرية منتقاة من الجدارية بمرافقة الكمان، التشيلو، الكونترباص، مما أضفى جواً من الحزن الجميل على هذا العمل المبدع الذي تماهى فيه زرقان حدّ العبادة هو الذي عرفه الجمهور الأردني منذ أربع سنوات حين سجل موقفاً يحسب له حين رفض الغنّاء قبل خروج السفير الإسرائيلي ومجموعته من المدرج، السفير الذي كان حاضراً (بالأخص كما أُخبرت - ليستمع إلى غناء هذا السوري؟!) في يوم الافتتاح أيضاً، وعلى المسرح الجنوبي قدّم الفنان الأردني عمر العبد اللات مجموعة من أغانيه الجديدة، مفتتحاً بذلك الأمسيات الغنائية الفنية «الشبابية» لنجوم العرب الأكثر انتشاراً وسماعاً في الجيل الجديد هذه الأيام: أحلام من الإمارات، إيهاب توفيق من مصر، كاظم الساهر من العراق، عاصي الحلاني من لبنان، وجورج وسوف الذي استقطب أكبر عدد من الجمهور خلال حفلاته الثلاث.

بين الصبر والأحلام...

الفرقة الفلسطينية القادمة من الداخل والتي تحمل في اسمها «صابرين» معاني أعمالها الفنية، قدّمت في اليوم الثاني للمهرجان واحدة من أفضل فعالياته، وصابرين لايعني اسم العلم فقط بل يعبر أيضاً ليس عن حال الفلسطينيين وحدهم في هذا الزمن بل عنّا جميعاً على نحو ما، المميز في الفرقة هو الصوت الرائع لكاميلا جبران التي قدمت أكثر من عشر أغنيات بكلمات لكبار الشعراء العرب كمحمود درويش وسيد حجاب وأحمد فؤاد نجم وغيرهم، والفرقة تأسست عام 1980 في القدس وسعت منذ ذلك الوقت للتأكيد على الثقافة الفلسطينية الغنية بموروثها الغنائي والموسيقي الأصيل، وقامت بجهود الملحن سعيد مراد والشاعر جميل البرغوثي ثم المغنية كاميلا جبران والذين أنجزوا عدداً من الألبومات منها: «عن الصمود 1982» «دخان البراكين وموت النبي عام 1987» و «جاي الحمام 1994» احتفالاً بالسلطة الوطنية وعلى أمل تحقيق الاستقرار والسلام وبعده ليس بوقت طويل أصدرت ألبومها «على فين» حيث الحلم بعالم أفضل.

حضور حفل صابرين كان يشارك كاميلا معظم أغنياتها التي كانت مساحة لإطلاق الآهات الدفينة بصوت عال، وفي السهرة الجرشية ذاتها قدمت المطربة الإماراتية أحلام



المغنية كاميليا جبران وفرقة صابرين.

على المسرح الجنوبي عدداً من الأغنيات الجديدة والقديمة التي يعرفها الجمهور ويطرب لها رقصاً وتصفيقاً، وبمقارنة بسيطة بين حفلتي صابرين وأحلام كان لابد من تسجيل ملاحظة أن الجمهور العربي الذي يمكن أن نطلق عليه صفة «السياحي» صار أكثر ميلاً للضجيج والإيقاعات الصاخبة والرقص لينسى ما يسمعه أو يراه عن الأوضاع التي يعيشها على اختلاف درجات قسوتها، وربما أيضاً لأن الضجيج يخفف كثيراً من إلحاح النداء الداخلي والشعور بالهم الوطني الذي يمكن التعبير عنه بوساطة الفن كما فعلت «صابرين».

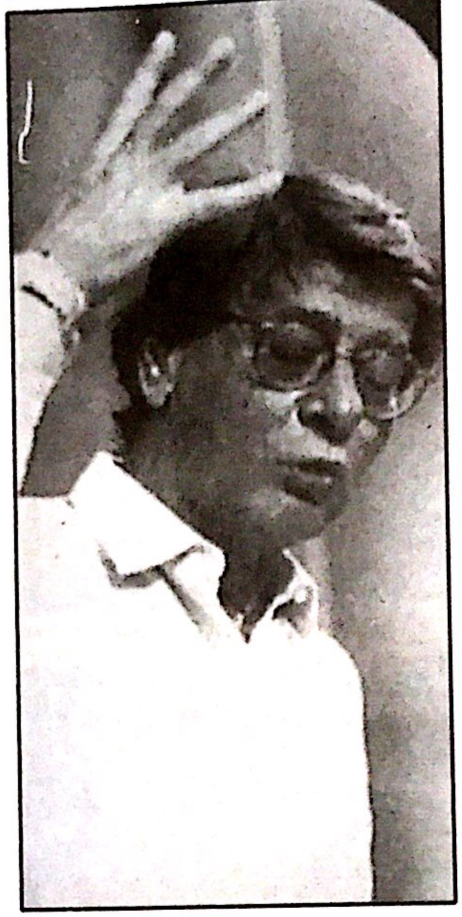
هواجس إنانا

مفاجأة المهرجان كانت فرقة إنانا السورية للمسرح الراقص التي قدّمت عرضها «هواجس ٨٨» الذي أثار التصفيق والإعجاب بنهاية كل واحدة من لوحاته، وعلى مدى فصليه الأول والثاني الذي لم يغادر الجمهور مكانه في وقت الاستراحة بينهما، إنانا التي نضج عرضها وصار أكثر قوة باستمرارية عرضه واكتساب الراقصين الخبرة العملية والقدرة الأكبر على امتلاك مساحة المسرح وملئها بالتعبير الحركي الجميل، وبقيادة مؤسسها ومدربها جهاد مفلح أعطت إنانا انطباعاً رائعاً للأردنيين عن شكل وتوجه جديد للمسرح السوري يصنعه جيل شاب يحترم الجمهور والفن ويؤمن برسالته.

تركيا كانت البلد الأجنبي الوحيد الذي شارك في جرش هذا العام، حيث كانت التوجهات أن تقتصر المشاركات على الدول العربية تضامناً مع الانتفاضة وتقليصاً للنفقات، ففي سنوات سابقة كانت فرق فنية مختلفة من أوروبا والعالم تشارك بأنشطة متنوعة أيام المهرجان، تركيا قدمت فرقة «توتاف للغناء والرقص الصوفي» في أمسية إنشاد ديني لغة تركية ولهجة عثمانية إن جاز التعبير، والتعبير الحركي لشباب الفرقة يشبه إلى حدٍ بعيد الرقصات التي تقوم بها حلقات الأذكار المولوية والشافعية والقادرية وغيرها من الفرق الصوفية، وفي نهاية الحفل قدمت مجموعة من الراقصين لوحات من التراث الشعبي لريف تركيا تعبر عن الفروسية والقوة حيث يتناغم قرع الطبول مع تشابك الأيدي وضربات الأقدام على الأرض.

أيقونة الشعر

يمكن القول أن الجانب الثقافي الذي يفترض ان يكون موازياً للجانب الفني في جرش لم يبدأ فعلياً إلا في اليوم الخامس للمهرجان حين افتتحت الفعاليات الثقافية بأمسية لأيقونة الشعر العربي، محمود درويش على مسرح مركز الحسين في عمان،



ودرويش ليس شاعراً عربياً كبيراً والنجم الأكثر سطوعاً في المشهد الشعري العربي الحالي وحسب، بل هو رمز لوطن وقضية، وذاكرة جيل من المثقفين الذين ناضلوا بالفكر إلى جانب نضالهم السياسي.

محمود درويش الذي - ورغم ظروفه الصحية الخاصة بعد العملية التي أجريت له في القلب - لم يتأخر عن الحضور بصوته وقصائده الرائعة التي بدأها بـ «أطل على ما أريد» ثم بنصّه الجديد «القربان» و«عابرون في كلام عابر»، لم ينسى درويش تحية أصدقائه الذين فارقوا الحياة، ورثاهم بشعره، وأولهم إميل حبيبي الذي كان على موعد معه - كما يذكر في الأمسية - قبل وصولي بساعات كان حبيبي قد فارق الحياة.

كذلك يتذكر زيارته لقبر توفيق زيّاد في الناصرة ووضعه باقة ورد على قبره وقصيدة لروحه، وعلى مدى ساعتين أو تزيد قليلاً قرأ درويش من قديمه مقاطع من «مديح الظل العالي» ومرثية للشاعر اليوناني ريتسيوس الذي يعتبره من أكبر شعراء العصر. وفي ختام الأمسية قرأ من الجدارية المقاطع الخاصة بتجربته مع الموت، موضحاً قبل إلقائه لهذه المقاطع علاقة الفنون «والشعر أحدها» مع الموت وكيف أتاحت الخلود لأصحابها المبدعين.

ولسوء تنظيم وتوقيت أثار انزعاج كثيرين كانت تعرض في الوقت ذاته أمسية درويش، مسرحية «الزاروب» لسامية قزموز البكري القادمة من «عكا التي لا تخاف من هدير البحر» ومونودراما الزاروب التي أخرجها فؤاد عوض وأنتجها مسرح «تل الفخار» في عكا ومثلتها في العرض الثالث بعد المئة - العرض الأول للزاروب عام 1992 - سامية البكري تحكي قصة الناس الذين هُجروا من عكا في البحر المتوسط، أو خرجوا من بيوتهم إلى لبنان وسورية إبان النكبة 1948، وعن أولئك الذين ظلوا في دورهم متمسكين بترابها وحجارتها بأيديهم وأسنانهم، في العرض تنبش البكري في ذاكرة الناس، الحارات، الحمامات القديمة، حجارة الأسوار والبيوت التي لم يبق من أصحابها سوى أسمائهم وروائحهم وتراث عائلاتهم، وأيضا عن المحتل الذي يدّعي باطلاً أحقيته في استملاك الأرض والبيوت التي يقول أن لاأصحاب لها، في زاروب سامية البكري نرى عجائز وجدّات عكا القديمة، سورها في مواجهة المتوسط، رموزها الوطنية والإنسانية كسميرة عزام وغسان كنفاني، وكل الروائح والأصوات والحكايات التي يحاول الغزاة يوماً بعد آخر سرقتها من ذاكرة أهل المدينة التي ماتزال حتى اللحظة واقفة بأسوارها وناسها وعنادها غير عابئة بهدير البحر وهيمنة المحتل.

أما المسرح القومي المصري فقد عرض الجديد «الناس يلي في التالت» في عرضه العربي - خارج مصر - الأول في جرش، والنص الذي كتبه السيناريست المعروف أسامة أنو عكاشة مثّله عدد من نجوم المسرح العربي وعلى رأسهم الفنانة سميحة أيوب ورشوان توفيق وعبد العزيز مخيون وأخرجه مخرج شاب يخوض التجربة للمرة الأولى هو محمد عمر، لكن المسرحية لم تكن بالمستوى الذي روّج لها، فعكاشة الذي عُرف ككاتب تلفزيوني مميز بأعماله ذات البعد الاجتماعي والسياسي والإنساني لم يقدم في عمله المسرحي الخطابي شيئاً جديداً أو فكراً مختلفاً، فالخطاب في العمل حول الأمن وأجهزة الاستخبارات والقمع جاء مباشراً وعبر حوار فيه الكثير من السردية المملة و«الأفيهات المصرية» والخروج من النص أحياناً واستمر هنا كله!! على مدى ثلاث ساعات هي زمن العرض.

شعراء... ولكن؟!

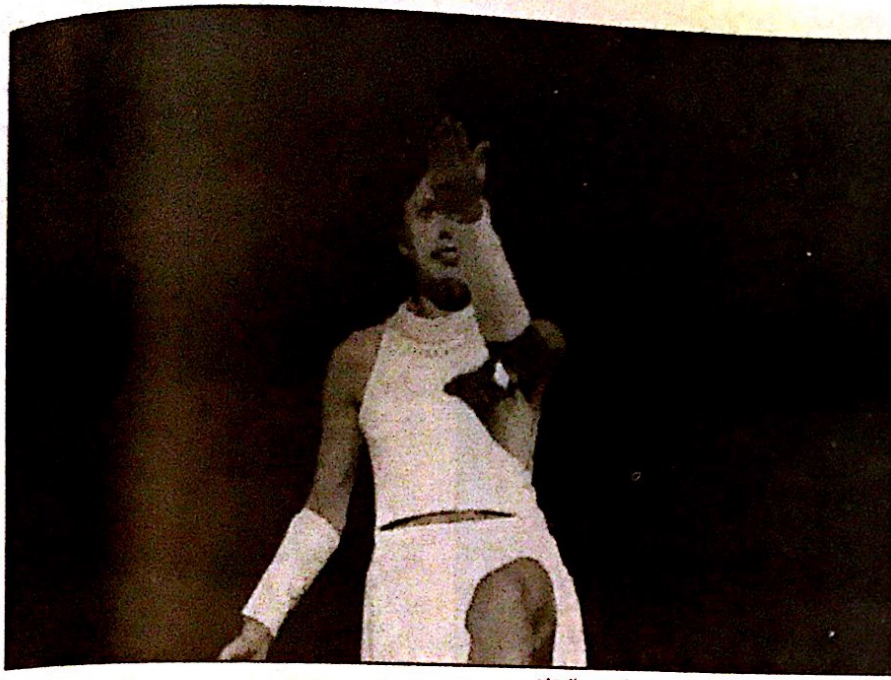
بعد أمسية درويش التي افتتح بها مهرجان الشعر، تتالت على مدى عشرة أيام أمسيات شعرية تعرضت لكثير من النقد والتقييمات السلبية في غالبها خاصة أنها طرحت أسماء شعرية أردنية غير معروفة حتى لجمهور الشعر

الأردني، مع ذلك كانت بعض أسماء الشعراء العرب الذين يشكلون نقاطاً مضيئة في الواقع الشعري العربي المعاصر كنزيه أبو عفش من سورية ومحمد الغزي من تونس، وأمجد ناصر من الأردن وبعضاً من جيل الشباب بقصيدته الحديثة كجهاد هديب وسامر أبو هوّاش وحسين جلعاد.

وكان المهرجان فرصة لتقديم أسماء جديدة، بغض النظر عن مستوياتها، وأسماء قديمة عادت للظهور كنوري الجراح، وفرج بيرقدار الذي قدّم في الأمسيات الثلاث التي شارك فيها «في عمان وجامعة فيلادلفيا وإربد» نصاً شعرياً مميزاً عن تجربة المعتقل والعلاقة مع الجلاد والجدران الصامتة مدة خمسة عشر عاماً.

ألّفت لجنة الشعر التي تتغير في كل دورة جديدة لمهرجان جرش من الشعراء والنقاد الأردنيين «طاهر رياض، حكمت النوايسة، حيدر محمود، غسان عبد الخالق، وسليمان الأزرعي» وهذه اللجنة كما يقول الشاعر طاهر رياض حاولت ـ قدر ماتستطيع من جهد ـ أن تغطي الأسماء الشعرية لمختلف الدول العربية (سورية، العراق، تونس، مصر، الكويت، اليمن) وأن لاتكرر أسماء سبق وان شاركت في دورات سابقة وتختار هذه الأسماء بحيث يشارك في كل أمسية ـ كما يقول رياض ـ شاعران عربيان «مهمان» وثلاثة شعراء من الأردن؟! من جيل الشباب أو من الذين يقفون على المنبر الشعري للمرة الأولى لتقديم تجاربهم، وفي هذا الجانب تحديداً وقعت مشكلات الاختيار التي لم تسلم من نتائجها لجنة اختيار الشعراء المشاركين والتي كانت الحديث الساخن بعد كل أمسية بين صانعي الشعر والجمهور الذي حضر وأمِل وأسف أخيراً.

أما الحلقة النقدية فقد اتخذت من أدب المقاومة ـ مقاربات وآفاق عنواناً رئيسياً لها كون المهرجان مُهدى للانتفاضة الفلسطينية، وعلى مدى أربعة أيام غاب عنها الجمهور لسوء التوقيت ولأن للنقد بطبيعة الحال جمهوراً مختصاً هو بدوره قليل العدد والمتابعة للنقد المقروء على المنابر، قُدِّمت أوراق نقدية للنقاد: يوسف سامي اليوسف ونبيل سليمان ومحمد لطفي اليوسفي وابراهيم أبو هشهش وامتنان الصمادي وآخرون في حين غاب الناقد المصري محمود أمين العالم لاعتذاره عن الحضور في اللحظات الأخيرة.



الفنانة رانية الحارثي في دور زائشة بنت النقاش.

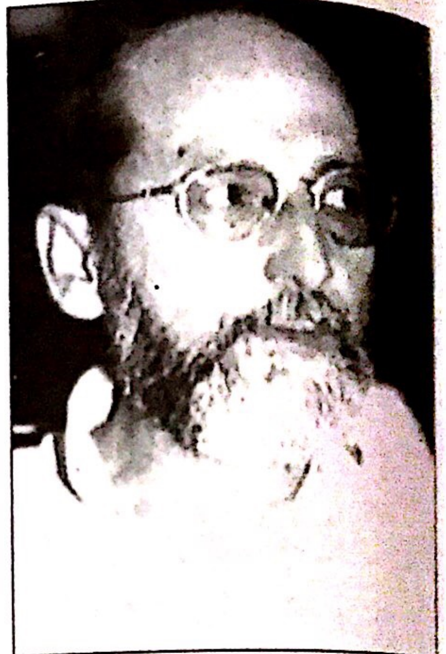


مشهد من «هواجس ٨٨٠» لفرقة إنانا.

تراب الكنعانيين

دورة السينما التي أقيمت في النصف الثاني لأيام جرش أهديت للأديب العربي العالمي ـ نجيب محفوظ ـ حيث عرضت مجموعة من الأفلام المأخوذةعن رواياته وبحضور بعض أبطال هذه الأفلام كنور الشريف وبوسي والمخرجين مدكور ثابت ومحمد كامل القليوبي، من الأفلام التي عرضت في الاحتفالية: «حكاية الأصل والصورة عام 1972»، و«الجوع 1989 لعلي بدرخان»، «قلب الليل 1986» لعاطف الطيب، «خان الخليلي 1996» لصلاح أبو سيف، كذلك أديرت ندوة عن نجيب محفوظ بعنوان «الأدب والسينما» شارك فيها حسن عطية ومحمد رضا ومحسن زايد وعلي بدرخان ـ وهذه التظاهرة هي الأولى من نوعها في جرش وسوف تكون ـ كما يؤكد جريس سماوي مدير المهرجان ـ انطلاقة لتكوين ظاهرة ثقافية احتفالية بفن السينما العربية في دورات المهرجان القادمة.

المخرج والممثل المسرحي محمد صبحي الذي حضر مع عرض فيديو لمقاطع من أعماله المسرحية (سكة السلامة، ماما أمريكا، كارمن) شارك الحضور بحوار مفتوح حول المسرح الملتزم وعلاقة الفن بالسياسة وتحدث صبحي عن مدى أهمية اتخاذ الفن العربي المعاصر لمواقف جدّية في السياسة خصوصاً لمواجهة التحديات والهيمنة الأمريكية التي تعيشها

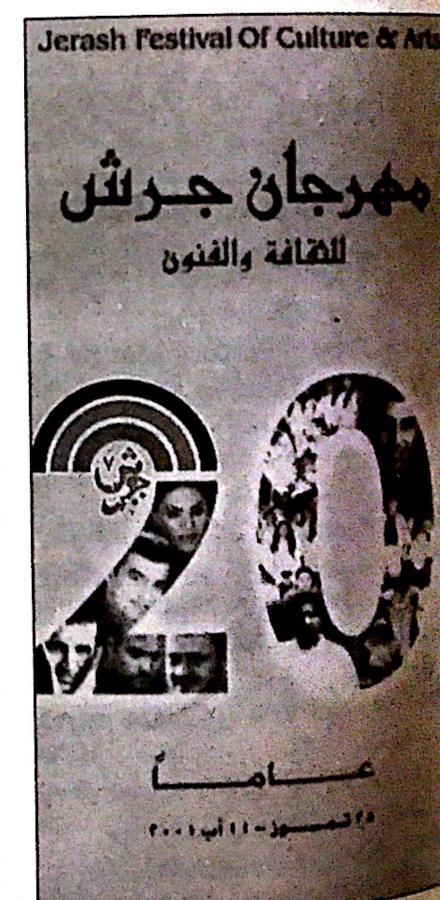


الشاعر السوري نزيه أبو عفش.



سامية البكري في مسرحية «الزاروب».

منطقتنا العربية ودوت القاعة بالتصفيق لصبحي عندما تحدث عن العجز والصمت الذي تعيشه الحكومات العربية حيال ما يحدث في فلسطين، حيث قال: «حين نقرر الكفاح بوساطة الفن علينا أن نعيش هذا الكفاح في



حياتنا الشخصية أيضاً، لا أن نشتم أمريكا على المسارح ثم نجعلها ترعى أعمالنا الفنية عبر منتجاتها الاستهلاكية الرخيصة».

مسك ختام مهرجان جرش والذي أذهل الجمهور رغم أنه يعرض للمرة الثالثة في الأردن، كان العرض المسرحي المشترك، فلسطين، الأردن، تونس، وحمل عنوان «من تراب وأرجوان» موقعاً من المخرجة الأردنية سوسن دروزة، اعتمد العرض فكرة الارتجال والتجريب أو الورشة المسرحية التي كانت تدور على الخشبة أثناء العرض الذي يستحضر روح النصوص الكنعانية التي وجدت على ألواح أوغاريت في شمال سورية منذ أكثر من قرن، هذه النصوص التي لم تتعرض للتشوه الطبيعي بمرور ثلاثة آلاف عام على كتابتها وحسب ،إنما تعرض كثير منها للسرقة والتزوير والطمس المتعمد وهذا ما سنراه في داخل النص الذي يثير إشكالية للمثلين وإنعدام تعيين دائم بالحقيقة.

يقدم عرض «من تراب وأرجوان» أسطورة عن المكان فلسطين الكنعانية وفلسطين اليوم، وموضوعات هذه الأسطورة تدور حول الحب الحرب الموت لأجل تراب مشبع بدم من قاتلوا العبرانيين وغزاة هذه الأرض عبر التاريخ، أشخاص في الأساطير بحكاياتهم المختلفة التي هي أكثر فجائعية وحزناً من البكاء والنواح المباشرين، قصة زانئشة بنت النقاش، نساجة ماري، أقهات بن دانيال، ملحمة بعل وعناة، وقصة الملك الكبير هؤلاء الذين نشعر من خلال الممثلتين الشابتين رانيا الحارثي وتهاني سليم والشباب الآخرين الذين ملؤوا فضاء المسرح بالابداع والمشاعر واختلط اللعب بالجد والتمثيل بالحقيقة عندهم ـ خاصة حين يقدمون لنا أنفسهم بأسمائهم الحقيقية ،أسماء بلداتهم في فلسطين ـ نشعر أن ما يقدمونه هو قصص حية مأخوذة من الأسطورة، الطقوس الدينية، حياة الناس العادية التي لم تتوقف يوماً في أرض الكنعانيين الأوائل وأحفادهم فلسطينيو اليوم.

وأخيراً من داخل فلسطين جاءت فرقة كفر ياسيف في منطقة الجليل لتقدم أمسية «فلسطين تغني عربي» حيث أدت الفرقة مجموعة من أجمل الأغاني الوطنية الأكثر شهرة وحماساً مثل «الأرض بتتكلم عربي، أناديكم، الأرض لنا، سنرجع يوماً، زهرة المدائن»، والفرقة تسعى لتأكيد هويتها الفلسطينية العربية خاصة لدى الجيل الجديد الذي خُلِق تحت الاحتلال وفرضت عليه هويته وثقافته ولغته أيضاً، وبالحديث مع السيد خالد الخوري مدير الفرقة ومؤسسها والعازف الأول فيها الموسيقار عماد دلال نتعرف إلى هموم فلسطين 1948 عن قرب وبوضوح أكثر، فهؤلاء الشباب الذين يقدمون أغنياتهم بالعربية وعن انتمائهم العربي بغض النظر عمّا فرض عليهم من وثائق وجوازات سفر إسرائيلية، قدّموا أنفسهم للجمهور كشعب جائع إلى الحرية والاعتراف به وبنضاله، فرقة كفر ياسيف تستمر بالتطلع عبر غنائها إلى تحقيق حلمها حين تستل ألحانها من غياهب الليل، مع ذلك وبعد التحيات والتصفيق الحار والحماس الذي يقابل به موقفهم الفني، آلامهم وأفكارهم، لا يتحرك شيء في الجمهور في الأمسية، لا يتحرك شيء سوى الصمت المطبق ■■

"الهدف" تحاور المخرج السينمائي الفلسطيني ميشيل خليفي

حاوره: إدريس علوش ومصطفى النحال

- **في الجانب المتعلق بالصناعة وشروطها السينما العربية لم تصل إلى المستوى الحقيقي للسينما العالمية.**
- **في الوطن العربي الحكومات تراقب وأجهزة الحكم تراقب والجماعات الإسلامية تراقب.**
- **الحكومات العربية غير مشغولة بقضايا السينما، وأكاد أقول أنها غير آبهة بقضايا الثقافة بصفة عامة.**
- **دون فضاء للحرية يصعب أن ننتظر الشيء الكثير من فن السينما.**
- **طبيعة الانتاج المشترك ليست مادية فقط، بل هي كذلك حضارية وثقافية وموضوعاتية وروحية..**
- **عندما أعمل فيلماً فأنا لا أستحضر النخبة لكني أعمله للجميع ودون تمييز.**
- **نحن بحاجةٍ إلى سينما عربية الآن ودائماً وفي نفس الوقت بحاجة إلى مظاهرات واحتجاجات وتعبيرات عن السخط ضد العدوان الإسرائيلي الغاشم.**
- **أحد مظاهر الأزمة التي تعاني منها السينما العربية هو القمع والمنع اللذان يستشعرهما المواطنون وبالتالي المبدع والمخرج والمنتج وكل من له صلة بالموضوع.**
- **في فيلم «عرس الجليل» العراء لم يكن مجانياً لكن الموضوع هو الذي فرض علي نفسه.**
- **لا يمكن القول أن هناك إنتاجاً سينمائياً فلسطينياً كل ما هنالك أفراد يعملون بجهودهم الخاصة وينتجون أفلاماً تتحدث عن الموضوع الفلسطيني.**

الحديث مع المخرج السينمائي ميشيل خليفي الذي حضر إلى أصيلة للمشاركة في ندوة تخص «السينما العربية والتعاون الأوروبي» مفيد ومنتج من حيث الأفكار التي عبر عنها وبجرأة نادرة، وهو المؤمن بأهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه السينما في مجتمعاتنا من حيث التحديث والتأسيس للوعي النقدي الذي يتوخى المستقبل والغد الأفضل. حول جملة من القضايا حاورناه ونضع نص هذا الحوار لقراء «الهدف» بقصد الإطلاع والاستمتاع به:



■ ما هي طبيعة مشاركتكم في ندوة «السينما العربية وآفاق التعاون الأوروبي»؟..

□□ جئت للمشاركة في هذه الندوة الهامة بموضوع يتعلق بعلاقة الإبداع السينمائي وتقنيات الإخراج والتصوير.. وذلك بطبيعة الحال انطلاقاً من تجربتنا نحن العرب في الجنوب. وتعرفون أن الإنتاج السينمائي العربي عرف انتعاشة أساسية منذ مدة طويلة، انتعاشة على صعيد الابتكار الأدبي والروائي، وعلى صعيد السيناريو، وكذلك على مستوى التمثيل والتشخيص والإخراج. لكن رغم كل ما يمكن رصده من عوامل التقدم، فإن ذلك لم يصل إلى المستوى الحقيقي للسينما العالمية أقصد الجانب المتعلق بالصناعة وشروطها. كما أن هناك جانباً آخر يتعلق بطبيعة الإنتاج والتوزيع وبعض العوائق الأخرى.

■ هل تقصد بالعوائق الأخرى ما له صلة بالمجتمعات العربية نفسها من حيث المراقبة والخوف من الإبداع الحقيقي كما أشار إلى ذلك البعض..؟

□□ أجل نحن نعرف أن من بين المشاكل التي تحول دون تطور الإبداع السينمائي العربي وأنظمة السلطة في هذه البلاد العربية، فالحكومات تراقب وأجهزة الحكم تراقب، والجماعات الإسلامية تراقب وتفرض أسلوبها وطريقة نظرتها إلى الثقافة، رغم أنها جاهلة بكل ما يتصل بالإبداع، ورغم اننا نعرف أنها تسخر الإسلام لأغراض أخرى. وقد نتج عن هذه الوضعية التي أبرزتها أن الكثير من المؤلفين والمخرجين وحتى الممثلين صاروا يتهيبون ويخافون من ركوب المغامرة الفنية.



الزميلين مصطفى النحال وإدريس علوش مع الفنان ميشيل خليفي

فإذا أضفنا ضعف البنى التحتية وشبه خلو الساحة من معاهد ومؤسسات عُليا للتكوين السينمائي، علاوة على انعدام الإمكانيات المادية، والمراقبة بكل أشكالها، حتى المراقبة الذاتية التي أصبح البعض يفرضها على نفسه، فإننا نلاحظ الوضعية المزرية التي وصلنا إليها، والتي قد تستفحل أكثر إن لم نتداركها. لكن يبدو أن الحكومات العربية غير مشغولة بقضايا السينما، وأكاد أقول غير آبهة بقضايا الثقافة بصفة عامة. غير أن الإبداع السينمائي أخطر وأكثر وقعاً نظراً لقدرته المباشرة على التأثير على الناس بحكم اعتماده على الصورة أساساً. فأنت عندما تخاطب العين، بمرافقة الصوت بالطبع، تكون أكثر وأسرع وأعمق تأثيراً من باقي الوسائل الأخرى. وبالتالي فإن للإبداع السينمائي قدرة فائقة على تغيير العقليات والسلوكيات، وعلى تعرية الواقع الاجتماعي المعيش في جميع مستوياته، وكذلك على فضح الممارسات السلطوية والأجهزة الإيديولوجية. وعلى كشف حقيقة الواقع العربي، لهذا السبب تُراقب السينما أكثر، وتوضع لها آليات معقدة للمراقبة. فبدون فضاء للحرية يصعب أن ننتظر الشيء الكثير من هذا الفن. انظر ما يحدث في مصر مثلاً من حين لآخر حيث يصل الفنانون إلى حد المحاكمة. كيف يمكن الحديث عن تقدم ما داخل المجتمع في غياب هذه الفضاءات، وفي فسح المجال رحباً أمام المبدعين والفنانين. وأحياناً نجد أن آليات المراقبة والمحاسبة قد أصبحت مُعممة على فئات المجتمع. لم يعد رجل السلطة وحده من يُراقب، وإنما المنتج كذلك يلعب دور المراقب الذي يضع حدوداً لا ينبغي تخطيها، ويقدم في سبيل ذلك حُججاً وبراهين واهية مثل الجمهور والظروف والتسويق والربح والخسارة.

■ ناقشت الندوة كذلك موضوعاً عرف جدلاً واسعاً وحاداً بين المتدخلين، ويتعلق الأمر بالإنتاج المشترك بين السينما العربية والسينما الغربية، فما هي طبيعة هذا الإنتاج ولماذا كان الجدال حوله حاداً..؟

□□ أنا لا أتفق مع المخرج المغربي الأخ سعد الشرايبي حين أبرز وأوضح مفهوم الإنتاج المشترك وحقيقته. ذلك أنه حين نقول «هذا إنتاج مشترك» فإن المقصود وجود تكافؤ كلي بين طرفين قد يكونان شخصين أو شركتين أو دولتين. وأقصد بالتكافؤ الكلي التكافؤ في الأفكار وفي الأموال وفي التمثيل وفي التوزيع إلى غير ذلك من الأمور الضرورية. لكن الملاحظ هو أن مثل هذه العلاقة منعدمة، فهناك من جهة الفكرة، وهناك من جهة ثانية المال. هذه نظرة تبسيطية، وهذه ليست اشتراكاً، بل هيمنة وتبعية وتحكم واستغلال.. الخ. وكل ذلك يأخذ شكل مساعدات. وإذن فإن الصحيح هو أن نقول: «هذه مشروعات عربية تفتقر إلى المال، وتطلب من الغرب أن يُوفره لها، أن يساعدها على إنجاز هذه المشروعات. وذلك بطبيعة الحال يتطلب تقديم تنازلات. وقضية التنازل واضحة مثلاً في فيلم «وداعاً بونابرت» ليوسف شاهين. فأنت كمبدع أو كمخرج تضطر من أجل المال لأن تتغاضى عن بعض الأحداث، وتتجاهل بعض التواريخ. وهذه علاقة غير سوية وغير معقولة. وهو على أية حال واقع لا يمكن إنكاره. ثمة عوائق موضوعية، وهناك عقلية لابد من تغييرها، عقلية لدى الغرب بالطبع، وحتى لدى العرب كذلك، فمسلسل المساعدات مسلسل خاطئ. ولابد من تدخل القطاع الخاص أيضاً وليس فقط الدولة، ينبغي للقطاع الخاص في البلدين المعنيين بأمر الإنتاج المشترك أن يتدخل ويبادر ولايترك المبدعين عرضة للابتزاز. وباختصار فإن طبيعة الإنتاج المشترك ليست مادية فقط، وإنما هي كذلك حضارية وثقافية وموضوعاتية وروحية..

■ في إطار تقييم تجربتكم الفنية، هناك من يقول أنكم تنتجون سينما النخبة، إلى أي حد يمكن أن نعتبر هذا القول صحيحاً..؟

□□ نعم سمعت شيئاً من ذلك. لكن لست أدري هل يمكن أن تسير الدول بدون جامعات فيها مراكز أبحاث قوية؟ وذلك حتى في البلدان الأكثر تقدماً. لنأخذ على سبيل المثال الولايات

المتحدة الأمريكية. هل تعتقد أن الناس يقرأون ما يجري داخل مجموعات البحث النخبوية؟ وهذا جزء من عملية تغيير عميقة لها ميكانيزماتها الخاصة التي لا نراها للوهلة الأولى. ومع ذلك فأنا عندما أعمل فيلماً معيناً، لا أستحضر النخبة في ذهني وقت العمل. أعتقد أني أعمله للجميع دون تمييز. لكن المشكلة هي أن هذا الجميع الذي نسميه جمهوراً أليس عملية عاطفية وليس كتلة متراصه ومنسجمة بقدر ما هو نسيج مشتت. الذي يجمعهم أكثر هو الفكر التبسيطي، وهذا ليس حطاً من قيمة الجمهور،ولكن هذا واقع وحقيقة نلمسها بصورة يومية في العروض وفي طبيعة الإختيارات. لنأخذ مثلاً واحداً: الناس حين يحتفلون بالعيد، فهم يحتفلون به دون أن يعرفوا أو ينشغلوا بمعرفة حقيقة هذا العيد وطقوسه وتاريخه والأسباب المنتجة له. هم فقط يدخلون في هذا الطقس ويطبقون جميع مراحله دون تساؤلات. لكن في الجانب الآخر هناك أفراد يقومون بدراسات ويجرون تحاليل عن هذه الطقوس. ويبحثون في تاريخها وفي الخيال الذي أبدعها وفي أبعادها الاجتماعية أو الدينية أو حتى السياسية.

ولهذا فإن تاريخ الإنسانية بكل مستوياته عرف مثل هذا التقييم وهذا التميز، الجمهور من جهة وما يطلق عليه النخبة من جهة ثانية. وهو تمييز طبيعي في نظري. لذلك تحدثت في هذه الندوة، أو ناديت بسينما متعددة، بتعدد مستوى الإنتاج السينمائي. هناك من يرغب في الأفلام البوليسية. وهناك من يحب الأفلام التاريخية أو العاطفية، وهناك من يعشق أفلام العنف والحرب والجريمة، وهناك كذلك من يود رؤية أفلام فكرية أو إنسانية تتطلب مستوى معيناً من الثقافة، كما نجد اختيارات وأذواق أخرى لدى الأطفال والشباب والنساء.. وإذن فبدون هذا التعدد لن نفهم هذا الجمهور ولن نلبي ما يرغب ويطلبه منا. فالإقرار بتعددية سينمائية تقربنا نحن من الجمهور وليس القيام باختيارات محددة نيابة عنه. وعلى أية حال لا يمكن للإنسان أن يتناول كل يوم نفس الأكلة، لابد من التنويع.

■ في ظل ما يعرفه الواقع العربي اليوم من تشتت، وما تعرفه الأراضي الفلسطينية هل نحتاج إلى سينما عربية..؟

□□ شيء طبيعي أننا في حاجة إلى سينما عربية الآن ودائماً. الفن يبقى فناً وهو شيء ضروري لكي يعيش الإنسان. لكن في نفس الوقت نحن في حاجة أكثر إلى مظاهرات واحتجاجات وتعبيرات عن السخط ضد العدوان الإسرائيلي الغاشم على الشعب الفلسطيني الأعزل إلا من أسلحة خفيفة لا تنفع. وهذه المظاهرات لا ينبغي أن تصدر فقط عن المعارضة كما جرت العادة، بل يتعين أن تقوم بها جميع المؤسسات والجمعيات والمنظمات في العالم العربي. الشعب الفلسطيني ينتظر مبادرات حقيقية وعملية، وهي مهمة لا يمكن أن تتحقق إذا لم تعط الحكومات والمسؤولون إمكانيات وفرص تعبير الشعوب عن ذاتها وتعاطفها وسخطها بدون عنف والسينما في مرحلة معينة تكون جزءاً من هذه الحركة. ويمكن القول أن أحد مظاهر الأزمة التي تعاني منها السينما العربية هو القمع والمنع اللذان يستشعرهما المواطنون وبالتالي المبدع والمخرج والمنتج وكل من له صلة بالموضوع. إن ثقل السلطة مازال قوياً، مازالت السلطة تخاف من التجمعات والمظاهرات السلمية التي تريد أن تقول: «ليست هناك فكرة طوباوية أو إيديولوجية أو أخلاقية تقول أن الإنسان العربي مواطن غير صالح، وبالتالي يجب كبح جماحه وقتل طاقة الشعور بالحرية داخله، نحن مواطنون صالحون ونحب أوطاننا وشعوبنا، ولا نرغب سوى في الإبداع داخل فضاء الحرية والديمقراطية والعيش الكريم، فقط، هذا ما نرغب فيه».

■ الملاحظ أن بعض أفلامكم تم منعها في بعض البلدان العربية، فهل يعود السبب إلى مشاهد معينة كالأجساد العارية في بعض أفلامك، أم أن السبب في نظركم يعود إلى عوامل أخرى؟

□□ هذا صحيح في بعض جوانبه فقط، وليس من جميع النواحي، مثلاً بالنسبة لفيلم «عرس الجليل» الذي هو الفيلم الوحيد الذي صورت فيه جسد امرأة وجسد رجل في حالة عُري، وليس الأمر كذلك في أفلامي الأخرى، وفي فيلم «العُرس» لم يكن هذا المشهد مجانياً وإنما الموضوع هو الذي فرض علي نفسه، وبالتالي حين طلبوا مني في المراقبة أن أقص هذا المشهد لكي يعرض الفيلم رفضت واستغربت، فهذا حقي يريدون أخذه مني، أنا مواطن منتج وأريد المساهمة في تحقيق الحداثة المجتمعية التي تغرب فيها شرائح واسعة من المجتمع العربي، لا نُريد أن نبقى مستهلكين فقط. لذلك أقول إن العلاقة الوجدانية بين المواطن العربي والفرد العربي لابد أن تتخلص من فكر السلطة ومن الخطاب الأخلاقي الزائف. والمشكل الحقيقي ليس هو عدم وجود قيادة، وإنما المشكل هو عدم وجود مؤسسات وبنى تحتية وبنى وسطية. الإنسان على سبيل المثال ماذا يريد..؟ يريد أن يشتغل في ظروف كريمة وجيدة دون قيود ولا إكراهات، بالإضافة إلى التأمينات الاجتماعية والصحية والتعليم، فهذه الأمور وغيرها ينبغي أن توضع بين يدي المؤسسات بعيداً عن السلطة التي تخلط بين الأمور، هذا شق أساسي للتغيير الفكري الذي ينبغي أن يتحقق في أوطاننا. نحن نحتاج إلى مواطن صلب لتأسيس مجتمع حر، نحن المواطن حر، المواطن واحد رغم اختلاف الاهتمامات والاتجاهات والميول. من هو المواطن العربي..؟ أنا مثلاً، من يتكلم باسمي..؟ لماذا بعد مؤتمر أوسلو ألغينا نحن كمثقفين عرب، فقبل أوسلو كان لنا دور، لكن بعده انتهى كل شيء، دور المفاوض ودور الاستراتيجيات الكبرى ودور ما يجري داخل الكواليس، دور الجيوبوليتيك.. إلخ. لذلك يبقى دور المثقف العربي هو أن يكون نقطة تقاطع الإحساسات ورغبات وآلام المواطن العربي، وذلك من خلال رواية مثلاً أو فيلم أو قصة أو مسرحية أو لوحة أو غير ذلك من الفنون.

■ هل يمكن القول أن هناك سينما فلسطينية اليوم..؟

□□ والله لا يمكن القول إن هناك إنتاجاً سينمائياً بقدر ما هنالك أفراداً يعملون بمجهوداتهم الخاصة وينتجون أفلاماً تتحدث عن الموضوع الفلسطيني، فقط هذا ما يمكن قوله. وسوف أشرح لماذا: السينما ليست هي الكتابة التي لا نحتاج فيها سوى إلى أوراق وأقلام، وإنما تحتاج بالإضافة إلى ذلك إلى بُنى وصناعة وآليات ويد عاملة وفضاء.. هذه هي السينما، فهل يوجد عندنا في الأراضي الفلسطينية مثل هذه الصناعة؟ قطعاً لا، هي لا توجد حتى في بعض البلدان العربية المتحررة سياسياً. فما بالك بشعب مازال يناضل من أجل استرداد أرضه المغتصبة، شعب يموت في صفوفه عشرات الشباب يومياً، فكيف نتحدث عن سينما في ظل هذه الظروف. نحن نشتغل بطريقة متفرقة وفردية. يمكن الحديث عن وجود سينما مصرية وأخرى سورية وأخرى مغربية، لأن هناك بُنى تحتية أساسية للإنتاج، للتحميض، للتصوير.. نحن بقوة الفرد وإيمانه بقضيته، نصل إلى إنتاج فيلم فلسطيني، لكن هذا لا يعني أنني متشائم أو سلبي، أنا فقط أرصد الحالة وأشخصها، لكن ذلك لا يمنع من القول إن هناك جيلاً جديداً يعمل عن طريق وسائل أسرع مثل الفيديو والتلفزيون. الحقيقة هي أنني كمخرج لأفلام عربية أشعر أنني جزء من السينما المصرية كما أنني جزء من السينما المغربية وجزء من السينما التونسية والجزائرية، هم في داخلي وأنا في داخلهم، وهذا هو الخط المستقبلي، أي أننا نهدف إلى تكوين نواة تجمعنا ■■

فرقة سرية رام الله الأولى للموسيقى والرقص

لأول مرة فرقة من فلسطين المحتلة في أرض الفيحاء!

خاص الهدف

من فلسطين المضمّخة برائحة الحنون، وعبق البيارات وقدسية الزيتون.. جاؤوا محملين، بعشق الأرض، وعمق الانتماء إلى أرض الفيحاء.. ليؤكدوا على وقع خطاهم الرشيقة وحدة التراث، وتآلف الأرواح.. إنهم شباب وصبايا فرقة سرية رام الله الأولى للموسيقى والرقص.. الذين شاركوا في مهرجان بصرى الدولي، لأول مرة، بمجموعة من اللوحات الراقصة.. والأغاني الشعبية الفلسطينية، التي تعكس خصوصية الروح الفلسطينية أيام الحصاد وجني الزيتون والأعراس الشعبية.. وقصص الحب الإنسانية بين الشباب والصبايا والحكايا الشعبية التي تعبر عن أصالة الهوية والانتماء إلى تاريخ ضارب الجذور، تتناقله الأجيال عبر المواويل والميجانا والرقصات الفلكلورية.

يعود تأسيس الفرقة كما قال مصمم الرقصات: خالد عليان إلى أوائل الستينات، حيث تأسست بين عامي ١٩٦٣-١٩٩٦ بمبادرة من سميرة طوطح، ومها الجزّار في إطار سرّية رام الله، وهي مؤسسة مجتمعية تهتم بالنشاطات الشبابية الثقافية والرياضية والكشفية والفنية، وكانت تنظّم مهرجانات الطيرة. توقفت الفرقة عن العمل في العام ١٩٦٧ بسبب حرب حزيران، وفي عام ١٩٨٥ أُعيد تأسيسها من قبل مجموعة من شباب وصبايا السرّية المهتمين في مجال الموسيقى والرقص. ومنذ العام ١٩٨٥ وحتى الآن قدمت الفرقة خمسة أعمال درامية مسرحية راقصة هي: العاشق ١٩٨٦، وصور فلسطينية عام ١٩٩٠، وجبينة ١٩٩٢، وأنشودة الرعيان ١٩٩٥.. والبرجاوي عام ٢٠٠٠.

وحول عرضهم في مهرجان بصرى الدولي قال العليان: فضّلنا أن نقدّم مجموعة لوحات وأغان راقصة، اخترناها من بين أعمالنا لنعطي المتلقي السوري فكرة بانورامية عن نشاطات الفرقة لأن تقديم عمل مسرحي راقص متكامل، يحتاج إلى شروط للعرض، وبعض التقنيات على صعيد السينوغرافيا والإضاءة من الصعب توفيره في عرض زائر، ولذلك ليس بالإمكان أخذ فكرة متكاملة عن نشاطات الفرقة ومستواها الفني من خلال هذا العرض.. ويضيف العليان: قدّمت الفرقة عروضها في معظم مدن وقرى ومخيمات فلسطين بالإضافة إلى مناطق الـ ١٩٤٨، وشاركت في مهرجانات خارجية في العراق، ومصر، وإيطاليا، وفرنسا وأمريكا وبريطانيا وسويسرا.. والآن نشارك في مهرجان بصرى.. وهي المشاركة الأولى لفرقة من فلسطين المحتلة في سورية، وهدفنا الأساسي هو نشر الفنون الفلسطينية وبالذات الفلكلور الفلسطيني والحفاظ على تراثنا الوطني.

وحول طريقة تعاملهم مع التراث يقول عليان: في بداية عملنا قدّمنا التراث تقريباً كما هو، أما في السنوات الأخيرة فقد تطورت الفرقة كثيراً إذ رغم الاستناد على الموروث الشعبي الفلسطيني الذي نستقي منه أعمالنا.. حاولنا أن ندخل لمسات خاصة بنا، فالرقص هو فن قائم بذاته، وفي السابق الدبكات الشعبية كانت تعتمد فقط على حركة القدمين. وبعد التطور الذي حدث، أصبحنا نعتمد على الجسد بشكل كامل، وعلى الرقص التعبيري، وأدخلنا الدراما على رقصاتنا، لنقدم عملاً مسرحياً راقصاً كما حصل في عملنا الأخير «البرجاوي».. وهذا التطوير ينطبق على الموسيقا والغناء أيضاً، وطبعاً خضع الراقصون لدورات تدريبية متعددة على أيدي أساتذة رقص متخصصين أجانب حضروا إلى رام الله.. وبعض الراقصين التحق بدورات تدريبية في الخارج، وأصبحت الفرقة الآن، من أهم الفرق الفنية في فلسطين.

وللحفاظ على رشاقة الراقصين قال العليان: رغم أن الفرقة ليست محترفة، إلا أننا نقوم بتدريبات مستمرة، وهناك تركيز كبير على اللياقة البدنية للأعضاء بإشراف مدربين متخصصين في هذا المجال.

وحول مصادر تمويل الفرقة قال: تخصّص السرية كمؤسسة مجتمعية ميزانية بسيطة للفرقة، لكننا نعتمد على دعم بعض المؤسسات الفلسطينية، كمؤسسة عبد المحسن قطان، أو بلدية رام الله، أو بيت لحم ٢٠٠٠.. وتقوم بعض المؤسسات الأجنبية الأهلية بمساندة الفرقة، ولكن هناك إشكالية في الجانب المالي يؤثر على عملنا.

وتحدث إلى «الصدى» الفنان منيف شبانة.. وهو مغني في الفرقة عن ألحان الأغاني يقول: معظم الأغاني كُتبت خصيصاً للفرقة لحّنها سعيد مراد من فرقة «صابرين» في القدس، وقام بتوزيعها أيضاً، وحتى الأغاني الفلكلورية التي يكتبها الشعّار أعاد سعيد مراد توزيعها بطريقة جديدة.

وعن تطوير الألحان الشعبية قال شبانة: الألحان الشعبية كانت تعتمد فقط على الطبلة والشبّابة. وكان لابد لإضافة آلات موسيقية جديدة أن نستبدل «الشبابة» بالناي، حتى تتناسب معها الآلات الجديدة كالبزق والعود.. لتحقيق الهارموني المطلوب، وإضفاء مسحة الحداثة على أعمالنا ■■



عزف منفرد

برحيل جورج آمادو مرة أخرى.. مات "كانكان العوام"!

هل كان لنا، أن نكتشف عظمة أمريكا اللاتينية، بتعدد ألوانها، وبكارة طبيعتها، وجمال نسائها، وسحرية صراعاتها، لولا انفتاحنا على أدبها، الذي صوّر لنا ـ بأخيلة كتّابه الفذة ـ تلك المناخات الغرائبية لإنسان تلك القارة، المشبع بتعدد الثقافات، وتجذّر الإرادات، وحرارة الإيقاعات التي تكثف برقصات «السامبا» تلك الروح الخلاسية، مزيجاً من حزن أفريقيا السوداء، وتعاويذ الهندي الأحمر.. وطوباويات المغامرين الإسبان؟!

هل كان لنا، أن نقف على أبواب فضاءات هذه العوالم، لولا أجنحة ماركيز الروائية التي حلّقت بنا في سماء التخييل والأسطرة، مع جنراله الذي ينتظر من يراسله.. وسنوات عزلته المئة.. وخريف بطريركه.. الذي لا يزال يخيّم بظلاله الثقيلة على أرواحهم.. وأرواحنا؟!

ومن أين لنا أن نكتشف، عمق تلك الصراعات الوحشية في حقول الكاكاو.. ومزارع الموز، بين المافيات الشرهة للسلطة والمال والجنس.. وبين ملايين العمال والمزارعين الفقراء على امتداد تلك القارة المترامية الأطراف.. لولا «كانكان العوام» الذي مات مرتين، و«بلد الكرنفال»، و«المحصول الأحمر» و«باهيا» و«غابرييلا.. قرنفل وقهوة».. وغيرها من روايات البرازيلي العجوز جورج آمادو الذي غادر عالمنا في ٦/ ٨ الحالي، عن عمر يناهز التاسعة والثمانين عاماً؟!

إذن رحل جورج آمادو.. وبرحيله مات «كانكان العوام» للمرة الثالثة.. وها هو ماركيز يصارع المرض في زمن «الحب والكوليرا»، منكباً على كتابة مذكراته بروح محمومة..

رحل البرازيلي العجوز، الذي ناضل في مطلع حياته في صفوف الحزب الشيوعي البرازيلي، دفاعاً عن الفقراء والمهمشين في حقول الكاكاو وأحزمة المدن.. واعتزل السياسة بعد المطاردة والسجن.. ثم بعد أن أصبح نائباً في البرلمان.. اعتزل، ليتفرّغ كلياً للكتابة الأدبية، وبصوغ روائعه الروائية التي تُرجمت إلى خمسين لغة.. تحكي هواجس الإنسان.. وعظمة كبريائه، بأفراحه وأحزانه، وشذوذه، وسفالاته.. ونبالته.. وكل تناقضاته..

علي الكردي

لا مكان يتسع لحب الناصر

عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق، صدرت مجموعة قصصية للكاتب حسن إبراهيم الناصر بعنوان: «لا مكان يتسع للحب». ضمّت المجموعة اثنتي عشر قصة قصيرة، استطاع الكاتب خلالها ان يعبّر بجدّية وشفافية عن الهم الخاص والعام بلغة قصصية متدفقة، التقطت مفاصل مشهدية في حياتنا، تعبر عن حالة الخوف والشك وانكسار الأحلام والفوارق المادية التي تحكم علاقات البشر.. وأمام هذا السيل من التزاحم والمشكلات يطرح الكاتب أسئلته المشروعة: عن مكان الحب في حياتنا التي طغت عليها العلاقات المادية الاستهلاكية السريعة، والعلاقات الانتهازية التي لا تقيم كبير وزن لقضايا الإنسان وطموحاته وأحلامه.

يقع الكتاب في (٩٤) صفحة من القطع المتوسط وصمم له الغلاف الفنان: عصام درويش.

أيام الناصر بلا أوراق

صدر حديثاً المجموعة القصصية الثانية للقاص حسن إبراهيم الناصر بعنوان: «أيام بلا أوراق» وفي هذه المجموعة قال الروائي حسن حميد: منذ الأسطر الأولى لقصة الناصر، يحس القارئ أنه أمام كاتب يكتب بأعصابه وروحه، لا بأصابعه وحسب. قاص ينحاز إلى الطبيعة ليعلم ما فيها من بكورية وعفوية وطزاجة، وجمال وحشي.. وإلى المتواري والمسكوت عنه لما فيها من أسرار ومستبطنات يبحث عنها اثنان هما: العقل والروح. قصة الناصر أشبه بالغابة لا ترى، أو تدرك أو تطوى من النظرة الأولى.

قصة لا تعترف بالحدود والتأطير والقوننة لأنها منداحة كنهر.. ومتوثبة كطائرة، ورهيفة كدالية عنب.

الطفل أشرف السهلي صور الانتفاضة في معرض دمشقي

انتزعه الحدث من اهتماماته الطفولية اليومية المعتادة، فانصرف عن متابعة برامج الأطفال في التلفزيون.. ولم يعد يكترث للعب الكرة مع أنداده.. واستحوذت عليه نشرات الأخبار التي راحت تنقل صور المواجهات اليومية لأطفال الانتفاضة.. هذه هي حال الطفل الفلسطيني أشرف السهلي، ابن العشر سنوات الذي يعيش لاجئاً مع عائلته في مخيم اليرموك بدمشق.

أراد أشرف أن يعبّر عن انفعالاته اليومية بالحدث وبما أن والده (الصحفي) يأتي بالعديد من الصحف اليومية إلى دارهم، وبتشجيع من أسرته، أخذ يجمع الصور من مصادر متعددة وحوّل غرفته إلى ورشة عمل محمومة، وبمناسبة مرور سنة على الانتفاضة افتتح معرض بدمشق ضم الأعمال التي انجزها أشرف ضمت صور الشهداء ـ الأطفال.. وصور أبرز أحداث الانتفاضة خلال عام، بما في ذلك رسوم الكاريكاتير التي نُشرت حول الأحداث.

خيمة تخفق تحت الشمس

عالم خصب، مترع بالثنائيات، يدفعنا الى مصادقة الشخصيات والتفاعل مع همومها، شخصيات نابضة، تعيش توتر عشقها متأرجحة بين ملامحها الأوروبية المعقدة وبين الإصغاء البداوة البكر المترعة بالعاطفة التي تتبدى من خلال سلوكها، الذي يشبه الى حدٍ كبير لقاء الثلج بالماء في حالة من التكوين البهي لعشق شام، ينقلنا من لحظتنا الراهنة الىّ دائرة واسعة من الضوء..

هذا هو الأفق الروائي الذي يعتمده وهيب سراي الدين في روايته الجديدة: «خيمة تخفق تحت الشمس» الصادرة حديثاً عن دار علاء الدين للنشر بدمشق.. وكما يقول الناشر: هذه الرواية تجعلنا نُركنُ المقاييس والأحكام جانباً، لأنه تستدرجنا بحد ذاتها وعالمها الغرب، لتأسرنا بشباك المتعة التي تتسرب الى العقل برهافة رشيقة.

أضواء على الصحافة المعاصرة

هل يمكننا الإحاطة بعالم «السلطة الرابعة» المترامي الأطراف، والمتشعب الاتجاهات، والمتنوع الأهداف؟! ألم يصبح عالم الصحافة شرياناً معرفياً وإعلامياً مهماً، يتداخل في شرايين حياتنا بكل وجوهها وألوانها.

كتاب الدكتور عطا الله الرمحين: «أضواء على الصحافة العربية والعالمية المعاصرة» الصادر حديثاً عن دار علاء الدين للنشر والتوزيع في سورية يلقي الأضواء الكاشفة على عالم الصحافة المعاصر، راصداً التحولات الجوهرية التي شهدتها الصحافة العالمية، حيث ارتقت هذه الصحافة من كونها وسيلة من وسائل الإعلام الجماهيري لتصبح عاملاً مؤثراً في صياغة الرأي العام، والرؤى السياسية التي تعكس المصالح الخاصة لمجموعات اجتماعية وشرائح وطبقات مختلفة.

من جهة أخرى يدرس الكتاب نشأة وتطور أمهات الصحف العالمية، واشهر الاحتكارات الصحفية التي تؤثر في مراكز اتخاذ القرار وتوجيه الرأي العام.



لقطة من معرض الطفل أشرف.

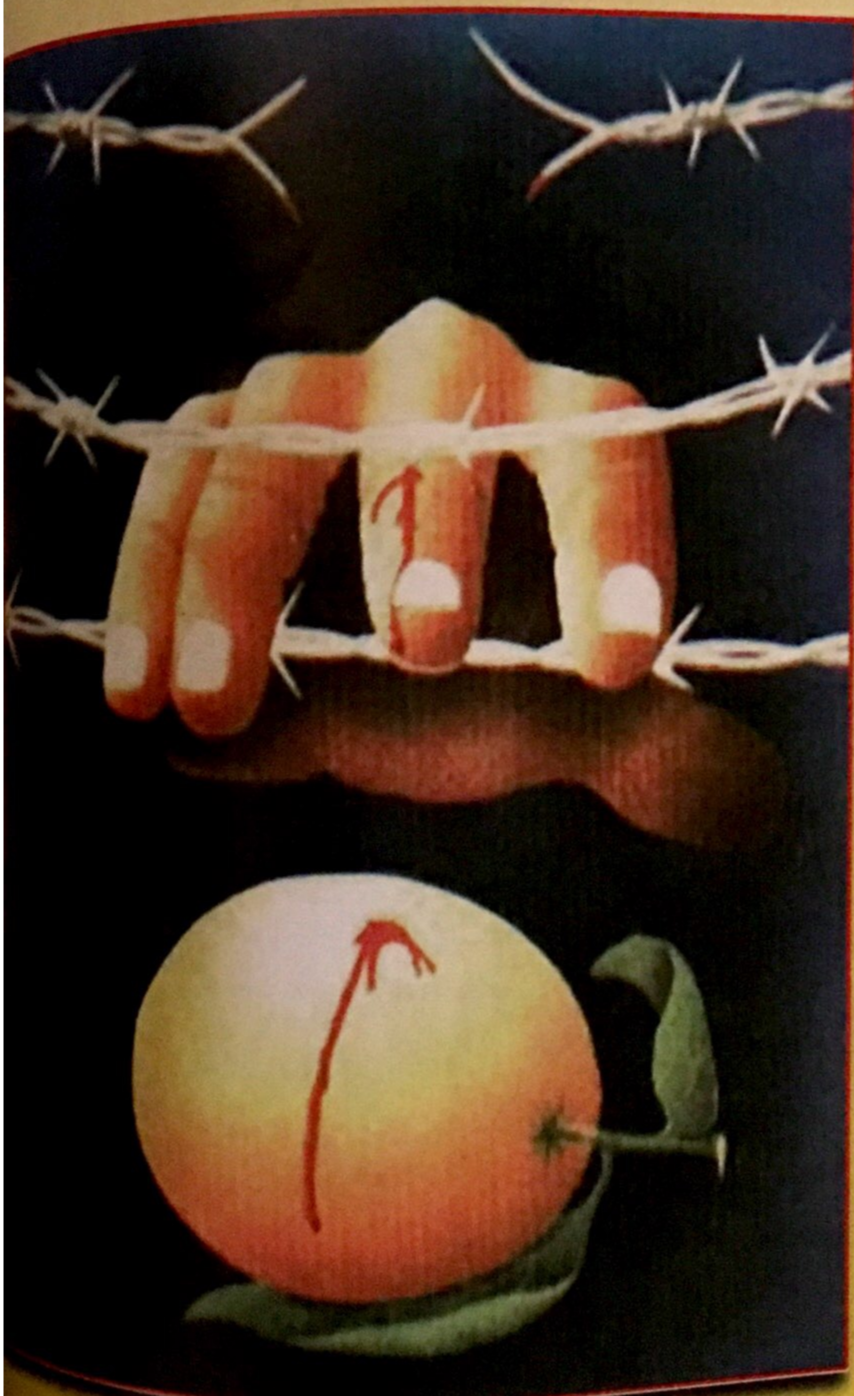
لقطات لفرقة سرية رام الله





إلى عبد العزيز إبراهيم..

محمد إبراهيم



نافضاً غبار الزمن، حاملاً وصايا الرفاق يطل علينا عبد العزيز إبراهيم مختزلاً عجزنا بصمته ومفجراً صمتنا بصدى صرخات أمهاتنا وعول حمامة سلام غطت جثتها كرتنا الأرضية.. جاء حاملاً ثقل الليل وتعاريج مسالك الأيام القاتمة.. جاء لوحة صارخة على خلفية من الطين يحمل ابتسامات العيد وبكاء أسقفنا الشتوية ودمعة أم الشهيد وارتعاش الأصابع فوق أسيجتنا الحزينة جاء كي يظللنا بحلمه عن برتقالة كبيرة من يافا وأمله أن يحتضن فلسطين كل فلسطين.

لكن هل هو صدى الآه؟ أم شظايا نقطة دم تفجرت في داخلي عندما أيقنت أن لا مكان لها في قلب ما عاد يحوي سوى الأحزان هو ما يجعلني أتساءل: هل رحلت يا صديقي متنبأً بالآتي؟ هل آثرت الموت على لحظةٍ قادمةٍ لا تعرف فيها ما تقول؟ هل خفت أن يسيح اللون في لوحاتك فلا تميز الظل من النور؟ هل تعرف يا صديقي أن البرتقال الحزين لم يعد يعتبر رومانسي يشعل الحزن فينا بل أصبح حزيناً فعلاً؟ يا صديقي سامحني سأخبرك أننا في زمن جعلنا نتساءل لماذا تتلبد الغيوم لا لتمطر بل لتحجب نور الشمس عن وردة سقيناها بدم الشهيد؟ هل هو الزمن العاقر؟

أم لم تحن لحظة الولادة؟ كلها أسئلة تعلن عن نفسها في عيون تعكس ألوان لوحاتك لتمتزج فيها لحظة هاربة مع حاضر جائرٍ فتسقط دمعة موشحة بالسواد تستصرخ فينا قليلاً من الأمل كي لا نموت.

إننا نكتشف من لوحاتك أنك تعلم في الحياة معنى الصرخة الأولى وسر السؤال وحاولت أن تجيب تارة بالملصق وأخرى بلوحة زيتية فكانت اللوحات معرضاً لرؤيا عاشت لحظتها بصدق ولجروح تصب دمها في جرحنا.. مشهد يشدنا للصهيل في زمن العواء ويزج بنا من جديد في مجزرة الموت كي نصرخ ويجعلنا نقيس المسافة بين ما يشهل فينا الطموح وما يجعلنا نتتبع شقوق الضوء من جدران لا تعرف ماذا وراءها.. مشهد يكنس ما تكوم من غبار فوق كوفية الفلسطيني كي تستعيد لونها في عمقنا.. كل لوحة تشق حنجرتنا بسؤال: هل ضللتم الطريق؟ أم أن دمنا سال كي تسقط الورود في مزهرياتكم؟

لا أتكلم عن المساحات اللونية ولا عن توزع الظل والنور، ولا عن نسق فكري ساد، ولا أسجد أمام عتبات الماضي لكني أتكلم عن رعشة تهز القلب وأنا أنظر لصرخة النساء في صبرا وشاتيلا ودمنا المتناثر فوق جدران المخيم..

أتحدث عما يحيل الروح رماداً وهي تتحسس دمعة صبية سمراء سالت حزناً على حمامات السلام وصبية تهوى جمع البرتقال لكنها في زمن الانتفاضة عشقت حجراً.

تمتزج الألوان في عيوننا لتخبرنا مع كل ضربة فرشاة أنك في ليلة خريفية اشعلت في القلب الحنين كنت تبحث عن لون لترسم به الوطن على جدار القلب فسال دمك كي يعلن أنه اللون الأنقى لرسم الوطن.

صديقي العزيز كنت تمد يدك عبر الأسلاك كي تصل إلى الوطن ونمد الآن أيدينا معك كي نحافظ على ما تبقى فينا من الوطن..